

مؤلفتا الروايتين الأكثر مبيعًا في العالم
The Unhoneymooners و The Soulmate Equation

كريستينا لورين

تجربة جامعة



رواية

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
www.jarir.com

الغلاف الأمامي

مؤلفتا الروائيتين الأكثر مبيعًا في العالم
The Unhoneymooners & The Soulmate Equation

كريستينا لورين

تجربة جامحة

رواية

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a bookstore



حقوق الطبع والنشر

تجربة جامعة

كريستينا لورين



للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarir.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublishations@jarirbookstore.com

تحديد مسؤولية / إخلاء مسؤولية من أي ضمان
هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والنتيجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسؤولية ونخلي مسؤوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمل أي مسؤولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2024

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2024. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو أية وسيلة أخرى .

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاء شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاء عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

SOMETHING WILDER

Copyright © 2022 by Christina Hobbs and Lauren Billings

published in agreement with the author, co BAROR INTERNATIONAL, INC.. Armonk, New York, U.S.A.
All rights reserved

CHRISTINA
LAUREN

SOMETHING

Wilder

الأغلفة الداخلية

رواية ساحرة مليئة بالضحكات العالية والمغامرات والكنوز، وبالتأكيد الحب.

نشأت ليلى -ابنة صائد الكنوز الشهير والأب الغائب ديوك وايلدر- وحيدة دون خبرة بالمهنة أو أموال في البنك، لكن ليلى بارعة وذات حيلة، وتستخدم الآن خرائط ديوك التي رسمها يدويًا لإرشاد السياح في عمليات البحث عن الكنوز التي لا وجود لها عبر وديان الصخور الحمراء في ولاية يوتا. يساعدها عملها على دفع فواتيرها، لكنه لا يترك ما يكفي لتحقيق حلمها في إعادة شراء المزرعة المحبوبة التي باعها والدها منذ سنوات، وبالتأكيد لا يكفي للتعامل مع عودة الرجل الذي أحبته ذات يوم إلى حياتها، يصحبه مجموعة من الأصدقاء على استعداد للذهاب في رحلة البحث عن الكنوز. بصراحة، تود ليلى أن تأخذها إلى البرية، وتتركه هناك.

عرف ليو جرادي أن السراب يكون في الصحراء، لكنه رآه حقيقة تحت أضواء نار المخيم، متجسدًا في حبه القديم. كان ليو مستعدًا لأن يترك الماضي وراءه، ولم يرد أكثر من أن يعود إلى حبه الأول والوحيد. لكن لسوء الحظ، لم تهتم ليلى وايلدر سوى بالعمل ورسمت خطأ واضحًا في الرمال: لن يحدث ذلك أبدًا.

ولكن عندما سارت الرحلة بشكل خاطئ ومضحك، تساءلت المجموعة عما إذا كانت أسطورة الكنز المخفي حقيقة وليست خدعة. هناك فرصة لتصحيح الأخطاء التي حدثت في ماضي ديوك وماضيهم، عندما يتمكن ليو وليلى من مواجهة تاريخهما والعمل معًا. وها هما ليلى وليو همفردهما تحت النجوم في متاهات كانيونلاندز المعزولة والخطيرة، ويجب عليهما أن يقررا ما إذا كانا سيخاطران بحياتيهما وقلبيهما في مغامرة العمر أم لا.

كريستينا لورين

هو الاسم المستعار للصديقتين المقربتين وشريكتي الكتابة: كريستينا هوبس ولورين بيلينجز، اللتين شاركتا في تأليف 28 رواية هي الأكثر مبيعًا عالميًا وفقًا لصحيفتي نيويورك تايمز، ويو. إس. إيه. توداي، ومن ضمنها:

سلسلة The Beautiful and the Wild Seasons، و The Unhoneymooners، و Twice in a Blue Moon، و The Honey - Don't List، و In a Holiday، و The Soulmate Equation.

للاطلاع على المزيد عن المؤلفتين، يمكنك زيارة موقع ChristinaLaurenbooks.com أو على إنستغرام أو تويتر @ChristinaLauren

من أعمال كريستينا لورين

Dating You / Hating You

Roomies

Love and Other Words

Josh and Hazel's Guide to Not Dating

My Favorite Half-Night Stand

The Unhoneymooners

Twice in a Blue Moon

The Honey-Don't List

In a Holiday

The Soulmate Equation

THE BEAUTIFUL سلسلة

Beautiful Bastard

Beautiful Stranger

Beautiful Bitch

Beautiful Bombshell

Beautiful Player

Beautiful Beginning

Beautiful Beloved

Beautiful Secret

Beautiful Boss

Beautiful

THE WILD SEASONS سلسلة

Sweet Filthy Boy

Dirty Rowdy Thing

Dark Wild Night

Wicked Sexy Liar

من أدب المراهقين

The House

Sublime

Autoboyography

إهداء

إلى فيوليت:

لقد طلبت أن نؤلف رواية تلعب فيها الخيول دورًا مهمًا،
فلبينا الطلب، وقمنا أيضًا بإدراج شخصية امرأة شجاعة وذكية
ومثابرة، تشبه كثيرًا شخصًا آخر نعرفه.

نحبك كثيرًا.

ملاحظة المؤلفتين

بالقرب من مدينة موآب، في مقاطعة يوتا، يقع متنزه كانيونلاندرز الوطني، الذي يعد أحد أروع الأماكن في الولايات المتحدة الأمريكية، فهو يتمتع بمناظر صحراوية رائعة، وكثبان رملية عالية، يتخللها نهر كولورادو، والنهر الأخضر، وروافد مائية متعرجة لا تنضب. كما يمكن للزوار المحظوظين التمتع برؤية السماء الزرقاء الواسعة، والمشهد الخلاب للصخور الحمراء التي تمتد أميالاً وأميالاً. كما أن هناك مناطق داخل حدود المتنزه يتعذر اجتيازها، ومناطق أخرى يمكن ارتيادها، والتجول فيها، والوصول إليها بالسيارة، وتتميز بأنها ممتعة جداً للسياح.

بعد شهور من البحث والزيارات، أصبحنا، نحن المؤلفتين، على دراية بتلك التضاريس والمناظر الطبيعية. حتى إننا وظفنا مرشداً استكشافياً خبيراً ليرسم لنا خرائط تخيلية للبحث عن الكنز المحتمل. لكن، عزيزي القارئ، في بعض الأحيان تكون مجريات أحداث الرواية أهم من تحري الدقة في وصف المكان، ولذلك على الرغم من كل ما تعلمناه عن جغرافية تلك المنطقة... قمنا على أي حال باختلاق بعض التفاصيل، ففي بعض الأحيان اختصرنا المسافات، وفي أحيان أخرى تحدثنا عن مواقع وأماكن ليس لها وجود.

إن الهدف من كل ذلك هو أن تعلم، أيها القارئ، أننا أَلْفنا تلك الرواية للمتعة، ولتكون متنفساً للهروب من الواقع، لا لتكون دليلاً لمغامرتك الخاص. (إذا اتبع أحد ذلك الطريق الذي وصفناه، فسوف يموت لا محالة. إنني أمزح بالطبع). ونود بكل تأكيد أن تكون قصة حب ليو وليلي مصدر إلهام لك لتبلي نداء البرية، وتشق مسارات جديدة في الحياة؛ ولكن إن كان مجرد جلوسك مسترخياً في ركنك المخصص للقراءة يمنحك وحده السعادة التي تريدها، فنحن نتمنى أن نقدم لك تجربة قراءة ممتعة.

مع حبنا

لورين وکريستينا

تمهيد

مدينة لرامي، ولاية وايومنج، أكتوبر، قبل عشر سنوات

بينما كانت ليلى وايلدر تشق طريقها من الإسطبل إلى الكوخ وتطأ حبات الحصى الناعم تحت حذائها، أخذت تتأمل مكانها المفضل على الإطلاق؛ إذ من خلفها كانت الخيول تتقدم لتشرب من حوض الماء، فقد كانت عطشى بعد ليلة طويلة أمضتها في المرعى. وفي خلفية المشهد أيضاً كانت بقايا دخان تندفع من مدخنة المنزل الكبير إلى السماء الرمادية الصافية. الفجر كان باردًا، فيما طفقت الشمس تشرق في الحال من خلف الجبال. بقيت ليلى يقظة ساعات عديدة.

وفي الشرفة، لمحت ظلًا طويلًا لشخص ينتظرها يحمل في يديه كوبين. خفق قلبها عند رؤية ليو متدفئًا بكنزته الصوفية وسرواله المجعد من أثر النوم، ومبتسمًا ابتسامته المعتادة. لا شك في أنها أرادت أن يبدأ يومها على المنوال نفسه كل صباح؛ فما زالت لا تصدق أن هذا ما سيحدث من اليوم فصاعدًا. ركضت ليلى على الدرجات الثلاث المتهالكة، وطوقت ليو بذراعيها، فيما كانت تشعر كأن أيامًا، لا ساعات، قد مضت منذ أن عانقته آخر مرة.

سألت ليلى: «أين هو؟»؛ حيث كانت تستعلم عما إذا كان والدها قد غادر المزرعة دون أن يودعها، فهذه لم تكن المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك؛ لكنها أول مرة لا تكثر لفعلته. وضع ليو الكوب الدافئ في يدها، وأشار إلى كوخ الحارس الواقع على الجانب الآخر من النهر، وقال: «لقد عبر الجسر ذاهبًا إلى منزل إروين ليودعه».

هل كان غريبًا أن تجهل وجهة والدها، أو كم من الوقت سيغيب عنها؟ إذا بدا الأمر كذلك، فأنا أؤكد لك أنها لم تدع تلك الفكرة تستحوذ على تفكيرها، فقد كان هناك ما هو أكثر أهمية بالنسبة إليها: أخيرًا أن لفصل جديد من حياتها أن يبدأ، فخلال هذا الصيف تعلمت كيفية إدارة كل شؤون المزرعة تقريبًا، كما وقعت أيضًا في الحب - ذلك الحب الذي طرق بابها فجأة - حبًا قويًا وراسخًا. لقد قضت أول تسعة عشر عامًا من حياتها بوصفها شخصًا يجري تجاهل ما يفعله وما يخطط له؛ ولكنها الآن، مع ليو، أصبحت أخيرًا مركز اهتمام شخص ما. فهي لم تبتسم قط بهذا القدر من قبل، أو تضحك بحرية هكذا، أو تشعر بمثل هذه الأحاسيس القوية. كان أقصى طموحها فيما مضى أن تمتطي حصانها وتركض به عبر أرض عائلتها، وكانت تلك لحظات عابرة. أما ليو، فقد وعدتها بأنه سيبقى دومًا إلى جانبها.

رفعت رأسها ببطء لتحقق إلى وجهه. لقد ورث بنية والده الأيرلندي، وملامح والدته اليابانية الأمريكية؛ لكنه امتلك روحًا فريدة من نوعها خاصة به وحده. ولم تعرف ليلي من قبل قط شخصًا يتمتع بهدوء ليو جرادي ورزاقته. وهي ما زالت لا تصدق أن هذا الرجل الحازم كان على استعداد لتترك كل شيء من أجلها.

سألته مئات المرات: «هل أنت متأكد من رغبتك في ذلك؟». كانت تحلم بالبقاء في مزرعة وايلدر، لم تكن تريد بعد كل ذلك الوقت الذي أمضته في إدارة تلك المزرعة السياحية على مدار العام أن تتول في نهاية المطاف ملكيتها إلى أي شخص آخر. فبالنسبة إلى والدها لم تكن المزرعة هي حلمه، وعلى الرغم من ذلك كان يبذل بعض الجهد للمحافظة عليها. أما بالنسبة إلى والدة ليلي، فقد كانت المزرعة مجرد شيء آخر تركته وراءها عن طيب خاطر. أما ليلي، فقد شعرت بأنها قد أمضت أيام حياتها كلها في انتظار تلك اللحظة التي ستعيش فيها في تلك المزرعة إلى الأبد، والآن حان الوقت لتحقيق حلمها، وبصحبتها ليو.

اقترب ليو منها، ووضع ذراعه على كتفها، وقال: «أنا متأكد؛ ليلي، ولكن هل أنت متأكدة من رغبتك في وجود مبتدئ مثلي هنا؟».

أجابته: «نعم متأكدة»، وقد علا صوتها ليكسر حاجز الهدوء الذي خيم على هذا الصباح. وعلى مقربة منهما سهل مهرها الجديد متجاوزًا معها. رمقها ليو بنظراته الحانية. صحيح أنه كان جديدًا في مجال تربية الحيوانات؛ لكنه كان موهوبًا في التعامل مع الخيول، وامتكنًا من القيام بذلك بطرق عديدة بسيطة. ويستطيع، نظرًا إلى طول قامته، الوصول إلى أعلى زاوية في الإسطبل؛ ولكن لا شيء من هذا كان سببًا في رغبتها في وجوده إلى جانبها. فقد رغبت في ذلك لأنها أحست بأنه قد أصبح حبيبها، أول حب في حياتها.

نظرت إليه نظرة مليئة بالحب والإعجاب.

قال ليو: «لقد أعددت لك الفطور».

مالت برأسها على كتفه، وابتسمت قائلة: «هل أعددت كعكات والدتك؟».

ابتسم ببهجة، وقال: «تحدثين كما لو أنها هي التي اخترعتها. عادة ما تطبخ لنا أمي الأرز والسمك. أنا متأكد من أن تلك الكعكات من اختراع راشيل راي».

في تلك الأثناء، كان ديوك وايلدر يسير عبر العُشب الذي يغطيه الصقيع متجهًا إلى الشرفة، وقد اختلج شاربه الكثيف الأسود الذي خالطته بعض الشعيرات البيضاء، عندما رأى ابنته رفقة حبيبها.

ولكن بعد أن مرت تلك اللحظة، أشرقت عيناه مجددًا، كان ديوك يشعر بالسعادة دائمًا عندما يكون على وشك المغادرة. وعندما كانت ليلي صغيرة، قادته مسيرته المهنية بعيدًا، حتى إنه ذهب إلى جرينلاند؛ ولكن رغبته الجامحة في المغامرات تقلصت بشكل كبير بعدما تركتهما والدة ليلي قبل سبع سنوات، وأصبح ديوك مقيمًا بالاعتناء بطفلته في الصيف في مزرعة لارامي السياحية. الآن كبرت ابنته، وأصبح أخيرًا حرًا للاستمتاع بكونه من المشاهير المحليين، وبالتركيز على حلم طفولته المتمثل في العثور على أكوام الكنوز التي أخفاها بعض الخارجيين على القانون في الصحراء منذ أكثر من مائة عام.

يبدو أن ليلي لم تكن الشخص الوحيد الذي شعر بالسعادة لأنها كبرت أخيرًا بما يكفي لتتحمل عبء مزرعة العائلة ومسئولياتها.

أشاح ديوك بوجهه عنها، وراقبته ليلي بينما كان يتبادل هو وليو بعض النظرات في صمت. أحيانًا كانت ليلي تشعر بأنها تعرف والدها معرفة باهتة، وأحيانًا أخرى كانت ترى أن باستطاعتها فهمه وقراءة أفكاره مثل كتاب مفتوح، فمثلًا لم يكن ديوك تستهويه مزرعة وايلدر رانش؛ غير أنها في هذه اللحظة تمكنت من قراءة أفكاره كأنه عبّر عنها بصوت عالٍ؛ حيث شعرت بأنه يقول: هذا الشاب لا يشبه رعاة البقر.

لم يكن ليو راعي بقر؛ بل كان طالبًا جامعيًا عبقرياً في الرياضيات يعيش في مدينة نيويورك، وقد جاء إلى المزرعة من أجل العمل في وظيفة صيفية؛ لكنه سرعان ما وقع في حب ابنته، وانقلبت حياته رأسًا على عقب عندما قرر أن يبقى معها بعد موسم الصيف. كان شابًا خجولًا وهادئًا ورصينًا. وعلى العكس من ديوك وايلدر، كان ليو مجرد شاب يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا، بينما كان ديوك رجلًا خمسينيًا يتمتع بشهرة محلية تشبه ما لأفلام إنديانا جونز من شهرة، وثقته بنفسه تماثل ثقة القبطان جاك سبارو في فيلم قراصنة الكاريبي بنفسه، ومع ذلك عند رؤية ليو لـ ديوك لم يُبد أي رد فعل أو يتحرك بعيدًا عن ليلي.

قالت ليلي لتنهى الموقف: «سنكون على ما يرام يا ديوك».

علّق ديوك بلهجة أمرة: «سوف تعتني بها حتى أعود» - قال ذلك بينما كانت عيناه لا تزالان مثبتتين على ليو؛ لذا لم يلحظ عبوس ابنته الغاضبة.

طمأنه ليو قائلاً: «سأفعل».

علقت ليلي مخاطبة كليهما: «لست بحاجة إلى أن يعتني بي أحد».

تقدّم ديوك إلى الأمام، وأخذ يربت شعرها الداكن بحنان، وقال: «بالتأكيد لست بحاجة إلى أحد يا ابنتي. لقد تركت لك ملاحظة في غرفة الطعام».

ردت قائلة: «عظيم». ربما ترك لها أحجية، أو لغزًا، أو بعض الرسائل المشفرة لتفك رموزها. لقد قام والدها بتربيتها منذ الصغر على لعب تلك الألعاب التي كان يحبها دائمًا، فقد كان يلهو معها بالحماس نفسه الذي يشاكس به طفل صغير خنفساء مسالمة، غير أن المطاف انتهى به وهو غير قادر على استيعاب كيف صارت ابنته شخصًا مختلفًا عنه كليًا. سوف تتقلب بين مشاعر الاستياء والفضول حتى تتغلب على كلا الأمرين وتهزمهما ضرورة سيجبرها ظهورها على أن تقرر أخيرًا حل اللغز الذي تركه لها. ومن الممكن أن تحتوي تلك الملاحظة على شيء سخي، مثل: أراك لاحقًا، أو لا تأكلي كل عجينة كعكة الشوفان، لكنها من المحتمل أن تحتوي أيضًا على بعض المعلومات المهمة عن كيفية إدارتها هذا المكان، ولن تعرفها دون مساعدة والدها. إن كل شيء أرادته ليلى، أو احتاجت إليه، كان مخبأ دائمًا في مكان يصعب الوصول إليه، وأحيانًا على بعد كيلو مترات من المنزل. وعندما لا تشعر بالرغبة في البحث عنه، يدرك ديوك حينها أنها ليست في حاجة إليه حتى الآن.

ربما لن تهتم اليوم بهذه الملاحظة. أو ربما تتفق هي وديوك في النهاية على حقيقة أنهما ليسا مضطرين إلى أن يحبا الأشياء نفسها - أو أن يحب أحدهما الآخر كذلك - حتى يتعايشا معًا. وللمرة الأولى أحست بأن ذلك يروقها. ربما سيعود ديوك إلى عالمه؛ حيث ينقّب عن القطع الأثرية، ويسعى إلى استخراج الكنوز المفقودة، بينما تظل هي في المزرعة مع خيولها، ومع قصة حبها الجديدة، متجاهلة الملاحظة التي تركها على الطاولة إلى الأبد.

ارتفعت حدة التوتر، ثم تراجعت فجأة عندما كان ديوك يلقي نظرة أخيرة على الكوخ والإسطبل، والتلال المنحدرة خلفهما. اشترى والداه تلك الأرض، وقاما بتربية طفلين هنا - ديوك وأخاه دانيال، الذي جعل منها ما هي عليه الآن؛ مزرعة وايلدر رانش، حيث اعتاد العيش هنا طوال العام مشرفًا على العمل، ومرحبًا بالسائحين كل صيف إلى أن توفي قبل عامين. وبعد وفاته تولى ديوك وليلى إدارة المكان؛ لكن العمل كان يسير ببطء؛ إذ لم تكن

لتلك المزرعة قط الأولوية في طموحات ديوك. أما ليلي فدائمًا ما كانت تحلم بها، وبأن تظل فيها طوال العام لتتولى مسئوليتها، ولتعيدها إلى مجدها السابق وعصرها الذهبي كما عهدتها في طفولتها. فقد كانت هذه المزرعة رمز الكمال بالنسبة إليها، بموقعها في ولاية وايومنج؛ حيث تمتد حدودها على مائتي فدان من الطبيعة الخلابة، ويعدو فيها ثمانية وسبعون حصانًا. وعلى العكس تمامًا، استاء ديوك من مرأى كل شبر فيها؛ بل كان يشعر بأنه مثل قط محبوس في قفص.

وضع والدها ضخم البنية قبعة رعاة البقر الخاصة به على رأسه، وأومأ إلى الاثنين قائلاً: «حسنًا. أنا ذاهب».

لم يعانق أي منهم الآخر، ولم يتحرك كل من ليو وليلي من مكانهما في تلك الشرفة الواسعة كذلك؛ بل أخذا يراقبان بصمت ديوك وايلدر طويل القامة، عريض المنكبين من بعيد وهو يخطو مسرعًا نحو شاحنته القديمة الضخمة ويستقلها.

استدارت ليلي إلى ليو، وهي تقفز على أطراف أصابع قدميها، وفي داخلها قوة هائلة من الفرح تدفعها إلى الرغبة في التحليق في السماء الزرقاء فوقهما.

سألها ليو: «هل أنت مستعدة لهذا أيتها المديرة؟».

رمقته ليلي بنظرة إعجاب، وداخلها كانت تتمنى أن تخبره بكل الأشياء التي لا تزال تكافح أحيانًا لقولها له.

وفجأة طرحت كل هذه الأفكار جانبًا؛ إذ إنه في الوقت الحالي، بدا كل شيء على ما يرام، وهي لا تريد لأي شيء أو أي شخص أن يفسد تلك اللحظة المثالية. وبينما كان غبار شاحنة ديوك لا يزال عاليًا في الهواء عقب رحيله، كان كل ما تكثرث له هو أن ليو يقف بجانبها، والأرض الساحرة حولها. إنه العالم الذي حلمت به دائمًا. أخذت نفسًا عميقًا لتتحدث، ولكنها فوجئت بالتعبير المرسوم على وجه ليو وهو ينظر إليها، ذلك التعبير الذي ينم عن العشق،

فهو «فتى المدينة المتيم»، ذلك الاسم الذي أطلقه عليه جميع رعاة البقر منذ اليوم الأول الذي قابلها فيه قبل خمسة أشهر.

قالت ليلى بينما تضحك بسعادة: «عِدني بأننا سنكون سعيدين هنا إلى الأبد».

أوما برأسه، وأمعن النظر في عينيها قائلاً: «أعدك».

الفصل الأول

هيوست، يوتا - مقهى أرشيمايو، اليوم الحالي

«لقد فات الأوان»، صاحت ليلى بهذا وهي فزعة وقالت: «كان ينبغي أن أتجاهل تلك المشاجرة في المقهى، تلك التي احتدمت خلفي مباشرة».

مد أرشي يده القوية نحوها، ومرر إليها قطعة من القماش تقطر ماء، وملفوفة فيها قطع من الثلج، وقال: «أتعجب كيف تلقيت تلك الضربة بالمرفق على مؤخرة رأسك حتى صرت بالكاد ترتجفين».

أخذت نفسًا عميقًا فور إحساسها بصدمة البرودة التي أحدثها تأثير الثلج على الجزء الخلفي من رقبتها، وقالت: «هل أعتبر قولك هذا مزحة عن صلابة رأسي؟».

انحنى أرشي إلى الأمام وقال: «ما أود قوله هو أنك سيدة صعبة المراس يا راعية البقر الصغيرة؛ ليلى وايلدر».

أشاحت ليلى بيدها وهي تضحك.

نظر إليها وقال: «أنا في خدمتك دائمًا».

بينما كانت ليلى تُبقي على قطع الثلج فوق موضع الألم، ارتكزت بمرفقها على الخشب المجرح، وأخذت تراقب السائل الذي أخذ يتكاثف ببطء، ومن ثم تدفق بغزارة على جدران كوبها الزجاجي؛ ولكن بمجرد أن حركت إصبعها فيه، تعكر الزجاج. طوال اليوم، كانت الرياح تعصف بغبار الصحراء الأحمر ليعلق بطيات ملابسها، وبين خصلات شعرها، وعلى يديها، وذراعيها، ووجهها. حمدًا لله على نعمة الاستحمام والدهان الواقي من الشمس. ولكن مع وجود ذلك الصنف من البشر عند أرشي، لم يكن الأمر يستحق عناء الاستحمام قبل

دخول المقهى، سواء كانت ليلي ستجلس لتتناول مشروبها، أو لتعمل خلف طاولة المقهى في فترات الركود. وتلك الضربة الطائشة أسفل رأسها كانت دليلاً كافياً على بشاعة مرتادي المقهى.

فُتح الباب، وخلال لحظة غمر الضوء الغرفة المعتمة، وخطت نيكول لتجلس على المقعد بجانب ليلي. بينما بدا شعرها الأشقر المجعد براقاً بشكل واضح فوق قميصها الصوفي ذي المربعات الحمراء والزرقاء. هزت نيكول رأسها إلى أرشي في تحية صامتة وهي تطلب منه مشروبها. وقام هو بدوره بسكب المشروب في كوب زجاجي كانت نظافته موضع شك، ثم دفع وعاء لا يبدو أنه غسل على الإطلاق، لكنه مليء بحبات الفول السوداني تجاه السيدتين. بدأت ليلي الأكل، فقد كانت جائعة حتى إنها لم تبال باتساخ الأوعية.

أشارت نيكول إلى لفافة الثلج، وقالت: «يا إلهي ماذا حدث لرأسك؟».

قالت ليلي: «بيتي ولو كانا يتعاركان، وهذا نصيبي من معركتهما».

ردت نيكول: «هل ترغبين في أن أعنفهما؟»، ثم تحركت لتقف، لكن ليلي منعتها وهي تربت بيدها ذراعها.

كانت نيكول أطول وأقوى من ليلي، وحبها لها جعل تصرفاتها شديدة الوحشية عند استفزازها. كانت ليلي على يقين بأن بيتي ولو يخوضان قتالاً عادلاً ومناسباً لقوتها الجسدية. أما إذا ما أشارت هي إلى نيكول لتتدخل، فقد تموت صديقتها وهي تحاول؛ لذا لن تفعل ذلك؛ لأنه لم يتبق لها سواها الآن. وبدلاً من ذلك، حركت ليلي رأسها نحو كومة من الأوراق الصغيرة على الطاولة بالقرب من ذراع صديقتها، وقالت: «هل تلك الأوراق تخص المجموعة الجديدة؟».

أومأت نيكول برأسها: «ستصل غداً».

سألت ليلي: «أهي مجموعة من الرجال؟». كان عملاؤهم دائماً من الرجال القادمين للبحث عن الكنوز، ومتقمصي أدوار الخارجين على القانون؛ لذا كان وجود مجموعة من النساء أشبه بنسمة من الهواء النقي، وكانت الرحلات معهن أكثر هدوءًا وراحة، فهن يجعلن المهمة تستحق العناء.

أجابت نيكول: «نعم. أربعة منهم».

سألته ليلي: «أهو حفل توديع العزوبية أم ذكرى ميلاد؟».

هزت نيكول رأسها قائلة: «إنهم، على ما يبدو، مجموعة من الأصدقاء، وهم مشتركون فقط في رحلة معًا».

عند قولها ذلك، انزعجت ليلي، فعلى الأقل حفلات توديع العزوبية كانت أشبه بالمهمة الروتينية؛ حيث يحضر الأفراد متسللين إلى هنا لتناول الكثير من المشروبات، والحصول على أسبوع من المرح الذي سيظلون يتحدثون عنه طيلة سنوات تالية؛ لكن المجموعات التي تأتي إلى مؤسسة ليلي للرحلات الاستكشافية السياحية، تلك المؤسسة التي تحمل اسم «وايلدر أدفنتشرز» لمجرد «القيام بإجازة» كانت تحتاج دائماً إلى مزيد من الاهتمام والنظام. وفيما مضى كان لا بأس بذلك – فقد كانت مساعدة الناس على الاستمتاع بعطلة يركبون فيها الخيول مصدر بهجة ل ليلي منذ أن كانت طفلة حتى يومنا هذا؛ لكنها الآن ليس لديها المال الكافي لذلك.

سألت ليلي: «هل وقّع جميعهم وثيقة الإعفاء من الرسوم؟».

أجابت نيكول بينما كانت تحك خدها مترددة: «نعم».

سألت ليلي وهي تشير إليها: «ماذا يعني ذلك؟».

قالت نيكول: «حسنًا، يبدو الأمر كأن الوثائق جميعًا وقّعت من قبل الشخص نفسه».

رفعت ليلى مشروبها إلى شفيتها، وتمتت بهدوء «تبًا».

قالت نيكول: «إنه مجرد إجراء شكلي».

ردت ليلى: «وإذا لم يكن الأمر كذلك، فماذا سأفعل؟ إنني لا يمكنني تحمل دعوى قضائية».

حدقت نيكول إلى صديقتها وقالت: «ماذا بك يا فتاة، أنت بمشقة يمكنك دفع ثمن هذا المشروب». وعندما مالت برأسها لتلقي نظرة خاطفة على ليلى، غطى شعرها الكثيف نصف وجهها، تاركًا عينًا واحدة من عينيها الزرقاوين ظاهرة، وكانت تلمع وهي تتفحص أعز صديقاتها قائلة: «هل تعتقدين أن تلك هي رحلتنا الأخيرة؟».

حدقت ليلى في الخطوط الدائرية لخشب الطاولة المتآكل. كانت تأمل من كل قلبها أن تكون تلك هي آخر مرة تنطلق فيها رحلات وايلدر أدفنتشرز. أرادت أن تكون تلك هي المرة الأخيرة التي تأخذ فيها أولئك المتأنقين؛ أبناء المدينة، إلى الصحراء للقيام بأنشطة الفريق التفاعلية، وتجربة بعض «التقشف» أثناء البحث عن الكنز المزييف، وأن تضع دفتر يوميات والدها بعيدًا، وألا تضطر إلى إلقاء نظرة عليه مرة أخرى، وأن تعيش في مكان لا يسألها أحد فيه عن خرائط ديوك وايلدر أو عن قصصه، حيث يمكنها نسيان كل شيء يخص ذلك المجرم المدعو بوتش كاسيدي. أرادت ليلى ألا ترى مرة أخرى رجلًا مرتديًا حذاءً رسميًا لامعًا أثناء ركوبه الخيل، وألا تسمع صوت امرأة أخرى ترتدي قميصًا أشبه بقمصان «رعاة البقر» ويحمل علامة «برادا»؛ وهي تشكو ألمًا أسفل ظهرها بعد قضائها نصف ساعة فوق السرج على ظهر الحصان. أرادت أن تدير مزرعتها الخاصة، وأن تعتني جيدًا بالفرس بوني عند شروق الشمس، وترعى خيولها وسط الحقول العشبية والمراعي المغطاة بقطع الثلج المتلائي مثل أحجار الألماس التي تنهشم تحت حوافر الخيول. أرادت أن تمتلك ما يكفي من المال لتغادر كوخ والدها القديم المتهالك، وتترك تلك المدينة القذرة المتربة. ودت أن تكون تلك الرحلة هي آخر رحلة لها، وقد رغبت في ذلك أكثر من أي شيء آخر.

لكن الرغبة في شيء فقط لا تعني أنه سيتحقق، وهذا هو الدرس الذي تعلمته منذ زمن طويل.

ومع ذلك، ظلت فكرة التوقف عن ذلك العمل تستغرقها ذهنيًا بشكل يومي؛ فبعد سبع سنوات من اجتهادها في العمل، شعرت بأنها محاصرة. لقد تمكنت من توفير احتياجاتها بصعوبة؛ حيث كانت ترشد السياح وهم يتجولون بين جنبات الصحراء؛ لكن الخيول كانت باهظة الثمن، وهي بحاجة لهذه الخيول لإتمام العمل، ومن ثم كان عليها أن تعيش بقدر زهيد من المال. يا له من موقف يصعب حله.

سألت نيكول متناولة الأمر من زاوية مختلفة: «كيف سارت الأمور في البنك؟».

هزت ليلي رأسها.

ردت نيكول: «مرة أخرى؟».

أجابت ليلي: «من ذا الذي سيقرض من هم في مثل حالتي؟ ثم كيف يمكنني الحفاظ على دخل ثابت إذا ما توقفت عن القيام برحلات البحث عن الكنوز؟».

انحنت نيكول إلى الأمام مرة أخرى، وقالت: «هل أخبرتهم بأن تلك كانت خطتك؟ كيف سيعرفون ما تنوین القيام به؟».

نظرت ليلي إليها قائلة: «لم أفعل يا نيكول؛ لكنهم ليسوا حمقى. قال لي ذلك الرجل: < إذا قمتِ بشراء قطعة أرض، وبدأتِ إنشاء فريق عمل جديد، فكيف ستتمكنين من كسب المال حتى يحل موعد السداد في المستقبل؟ > قلت له إن الأمر سيستغرق بضع سنوات؛ لكنني على دراية بالمنطقة والعمل فيها، وأعرف ما يريد الناس فعله عند قيامهم برحلة برية في الغرب؛ لكن ما جدوى كلامي. فهو لا يمثل أي أهمية، إن مشروعني لا يبدو له استثمارًا جيدًا».

أخذت نيكول نفسًا عميقًا، وحدقت إلى يديها، وفي تلك اللحظة لاحظت ليلي مظهرًا يحمل اسمها ظاهرًا من بين كومة البريد ووثائق الإبراء من المسؤولية القانونية. تعرفت على الفور على عنوان المُرسَل، فقد كان ذلك عنوانها السابق.

في الحال، أعاد ذلك إلى ذهنها سيلاً من الذكريات: الرائحة النفاذة لعشبة المريمية، ومشهد قطيع الخيول التي تعدو بينما يظهر قرص الشمس خلف قمم الجبال، ووجبة من قطع بسكويت الزبد الغني والدافئ في الصباح، وتلك اللحظة المحددة عندما رآته للمرة الأولى، والأسابيع التالية التي وقعت فيها في غرامه... إلخ.

وبينما كانت ليلي تضغط بيدها على موضع الألم بين الضلوع، حاولت أن تبعد عن نفسها تلك الأفكار، مشيرة إلى المظروف متسائلة: «ما هذا؟».

أزاحت نيكول المظروف بعيدًا مرة أخرى قائلة: «لا شيء».

حاولت ليلي أخذه، وقالت: «إنه آت من مزرعة وايلدر رانش، ويحمل اسمي عليه. أعطني إياه».

لكن نيكول دفعت يدها بعيدًا قائلة: «أنت لا تريدين ذلك الآن، صدقيني».

ثرى لماذا ليس الآن بالتحديد؟

سألت ليلي: «هل يتعلق الأمر بالمزرعة؟».

ردت نيكول: «لا تهتمى بالأمر، يا ليل».

غلى الدم في عروق ليلي وهي تسألها: «هل فتحته؟ أقسم بالله أنك أكثر شخص فضولي رأيتته في حياتي على الإطلاق». وحاولت مرة أخرى أخذ المظروف؛ لكن نيكول تحركت سريعًا محاولة الإفلات منها.

قالت نيكول: «قلت لا، لن تأخذه».

غضبت ليلي بشدة لمجرد التلميح بأنها لن تستطيع تحمّل ما ستعرفه عند قراءة ما في داخل المظروف. كانت نيكول هي الشخص المتهور في تلك الصداقة، بينما كانت ليلي هي من يتروى دائماً؛ لكنها فجأة أصبحت لا تريد أي شيء آخر أكثر من أن ترى محتويات ذلك المظروف الأبيض الذي يبدو عادياً.

دفعت ليلي ذراع نيكول؛ لكنها علمت ما هي مُقدّمة على فعله، فانحنت إلى الأمام، مطوقة بذراعيها الأوراق، ومتشبثة بمكانها. قفزت ليلي من مكانها دافعة نيكول من خاصرتها لتسقطها أرضاً، فتناثرت وثائق الإعفاء القانونية حولهما، كأنها فقدت أهميتها فجأة، ومن ثم سقطت بين قشور الفول السوداني الملقاة على الأرض فوق طبقة لزجة من الشراب المسكوب على الأرض. عندئذ هتف الرجال في المقهى وشفقوا مشجعين هاتين المرأتين المتصارعتين. ولو لم تكن ليلي تتعجل الحصول على المظروف الذي استحوذت عليه نيكول لأنّ هت ذلك الجدل في مكان آخر؛ لكن كل تركيزها كان منصباً على كيفية استرجاع ذلك الظرف الذي استولت عليه نيكول، وكانت تحول بينها وبينه، وتغطيه بجسدها.

صرخت نيكول وهي على الأرض: «مستحيل أن أعطيك إياه»، بينما كانت ليلي تضربها على كتفها بلا فائدة، وتصفعها، وتوجه إليها اللكمات أسفل ظهرها.

نظرت إليها ليلي وقالت: «المظروف مدون عليه اسمي وليس اسمك، أيتها البلهاء».

ردت نيكول: «أنتِ لا تريدين رؤيته، صدقيني».

ردت ليلي: «أنت تتركبين جريمة»، ثم التفتت، ونادت: «بيتي أنت شرطي، أليس كذلك؟».

أجاب ضاحكاً بينما كان يحتسي مشروبه: «ولكنني الآن خارج أوقات العمل؛ لذا يمكنك أن تلكميها مرة أخرى».

«سألكم أنت بعدها إذا لم تساعدني».

«عزيزتي، يمكنك لکمي إذا أردتِ ذلك».

ضربت ليلى صديقتها بقوة، ومدت يدها أسفل جسدها، وظلت تبحث عن المظروف وهي تتمتم بغضب. أطبقت بأصابعها عليه، فمزقت جزءاً منه وهي تنتزعه بقوة من تحت جسد صديقتها. جرت ليلى بعيداً واختبأت خلف مقعد بيح إيدي بالقرب من لوحة التصويب؛ لتمنع نيكول من الاقتراب منها.

حذرتها نيكول: «هأنذا أخبرك مجدداً، أنت لا ترغبين في معرفة ما هو مكتوب فيه». أحست نيكول بالهزيمة، لكنها نهضت، وأخذت تزيل أوساخ أرضية المقهى العالقة على خدها بظهر يدها. عادت إلى كرسيها حيث يوجد مشروبها ووعاء المكسرات في انتظارها، ثم أردفت قائلة: «فقط لا تأتي إليّ عابسة عندما ترين ما هو مكتوب».

وفي الزاوية الخلفية، فتحت ليلى المظروف، وأخرجت منه الرسالة، وظلت عيون الجميع في المقهى مسلطة عليها وهي تقرأ. في البداية أحست بأن الكلمات غير مفهومة - دوامة من كلمات تسبح في بحر من الحبر الأسود - وبقيت لاصقة وجهها بالرسالة، ثم عادت بنظرها إلى بدايتها لتقرأها من جديد. بدأت الجمل في التبلور، وأخذ المعنى يتضح، وبدأت مشاعر الألم، والخسارة، والتعاسة، والخواء، التي تجمعت في قلبها تتحرر وتتجسد أمامها كأنها سرب من ذباب الخيل.

كانت الرسالة من الرجل الذي يملك الآن أرض عائلتها، إنه رجل التقت به مرة واحدة فقط، تقريباً بعد أسبوع من تحطم قلبها بمنتهى القسوة. وبقدر ما كرهت ليلى جوناثان كروس، أرادت قراءة تلك الكلمات كل يوم على مدار عشرة أعوام.

... إنني سأتقاعد... المزرعة معروضة للبيع... أود أن أعطيك الفرصة الأولى...

لم يكن من المهم جودة الصفقة التي كان يعرضها عليها؛ إذ لم يكن بوسعها فعل أي شيء لاستعادة مزرعة عائلتها مجددًا.

بمجرد ضياع شيء من بين يديك، تخسره إلى الأبد. اعتقدت ليلي أنها تخطت حزنها واشتياقها إلى ذلك المكان؛ لكنها شعرت بالحسرة من جديد.

ولتحافظ على رباطة جأشها، تطلب الأمر منها أن تستنفر كل قواها البدنية؛ حيث عضت بأسنانها شفتها السفلى، وأطبقت فكيتها لتبقي فمها مغلقًا. وأبقت كتفيها ثابتتين وحافظت عليهما هكذا لتمنعهما من الارتفاع لتغطيا رقبتها، وحتى لا ينحني ظهرها أيضًا. فلا أحد - على الأقل في تلك الغرفة - سبق له أن رآها منهارًا. أخيرًا، عندما فقد الجميع اهتمامه بها، أو ابتعد بدافع من الاحترام، عادت مجددًا إلى مقعدها.

كانت نيكول قد طلبت بالفعل لصديقتها مشروبًا جديدًا، ودفعته إليها وهي تستقر في جلستها على المقعد المجاور لها.

قالت نيكول: «لقد حذرتك».

ردت ليلي: «نعم، لقد فعلت».

سألته: «ماذا ستفعلين حيال ذلك؟».

أجابت ليلي بينما تضع الكوب بين شفتيها: «لا شيء».

الفصل الثاني

مدينة نيويوركمايو، اليوم الحالي

الجانب السلبي لفكرة المغادرة ذهابًا إلى مطار جون كينيدي في الساعة 8:15 صباحًا يتمثل فيما يلي: على مدار الدقائق العشرين الأخيرة، تعطلت حركة المرور بسبب وقت الذروة الصباحية، ولم تتخطَ قط بحال من الأحوال سرعة 16 كيلو مترًا ونصف الكيلو متر في الساعة. وبالنسبة إلى الجانب الإيجابي المحتمل، فتمثل فيما يلي: بإمكان ليو الإجابة عن سئل من أسئلة رئيسه في العمل، تلك الأسئلة التي من الممكن أن يوجهها حرفيًا إلى أي شخص آخر موجود في المكتب الآن... لكنه للأسف لم يفعل ذلك.

عندما أعلن صوت هاتفه أن لديه رسالة أخرى جديدة، والتي كانت الرسالة العاشرة في آخر خمس دقائق، أغلق ليو عينيه متأفمًا.

قال برادلي وهو يفتح نافذة السيارة على اتساعها، ليسرع بعدها ويغلقها حتى يحول دون دخول دخان العادم الذي كان يندفع من المحرك: «ضعه على وضعية الصامت».

قال ليو وهو يكتب ردًا سريعًا: «لا بأس».

سُمع صوت تنبيه الرسائل على الفور مرة أخرى.

قال برادلي: «ليو، هذا يحدث كل عام».

قال ليو بينما كان يواصل النقر على هاتفه: «تلك هي الحالة التي تنتاب ألتون عندما أكون خارج المكتب».

«بالضبط، وهذا يؤكد وجهة نظري. إنه يتصرف كأنه لا يوجد شخص آخر في الولايات
الثلاث يمكنه استخدام الآلة الحاسبة».

تلك المرة، رن هاتف ليو.

نظر برادلي إليه ليحذره قائلاً: «لا ترد».

هز ليو كتفيه يأسًا، وأشار إلى اسم ألتون الظاهر على الشاشة، وقال: «إنهم يتخذون
قرارات بشأن الدور الذي سيقوم به نائب الرئيس الأسبوع المقبل، بينما أنا في تلك الإجازة
لا أستطيع تجاهل الأمر».

قال برادلي: «قلت لك لا ترد».

قرب ليو الهاتف إلى أذنه قائلاً: «مرحبًا».

زمجر برادلي وانحنى إلى الأمام، وحدّث سائق سيارة الأجرة - الذي لم يبدُ عليه الاهتمام
مطلقًا - قائلاً: «إنه لا يدع رئيسه في العمل يتواصل معه مستخدمًا خاصية البريد
الصوتي».

همس ليو في أذن برادلي قائلاً: «نعم هذا صحيح»، ثم عاد لمحادثة ألتون على الهاتف،
حيث قال: «النص البرمجي لخوارزمية داكستون أمازون يوجد على الكمبيوتر داخل مجلد
باسم «داكستون أمازون» على محرك الأقراص سي».

استدار برادلي ونظر إليه فاغراً فاه؛ لكن ليو لوّح بيده متجاهلاً إياه، وأكمل المكالمة قائلاً:
«نعم. يمكنك إعادة إرساله مباشرة إلى أليس، أو حفظه في سحابة التخزين».

انتزع برادلي الهاتف من يده، وانحنى، وقرب فمه من الهاتف، وبدأ يتحدث مُصدرًا أصواتًا
ليبدو الأمر أن هناك تشويشًا في الاتصال: «لا يمكنني» - أصوات خشخشة - «سماعك» -

أصوات خشخشة - «بسبب النفق» - أصوات خشخشة. بعدها أغلق الخط، ووضع الهاتف في جيب معطفه وهو يبتسم بمكر.

حدّق ليو في وجهه وهو لا يستوعب ما حدث من فوره، وقال: «ماذا فعلت يا رجل؟».

«تلك هي رحلتي، وأنا المسئول عن التنظيم هذا العام؛ لذا ستنفذ رغباتي وتطبق قواعدي أنا. القاعدة رقم واحد: غير مسموح باستخدام الهواتف».

ومع ذلك، مد ليو يده ليستعيد هاتفه، موضحًا: «لقد اتصل ليسأل عن...».

دفع برادلي يده بعيدًا، وقال: «إذا كان رئيسك لا يستطيع العثور على خوارزمية داكستون أمازون في مجلد باسم داكستون أمازون أيضًا، فإنني أتساءل حقًا كيف انتهى به المطاف بشغل منصب المدير».

استدار ليو ليحدق من النافذة، إذ لم يكن قادرًا على الجدل. لقد حان الوقت للتوقف عن القلق بشأن العمل على أي حال، وبدء التساؤل عن المكان الذي سيأخذه إليه برادلي. فتلك الرحلة السنوية برفقة أفضل صديقين له من بين أصدقاء الكلية كانت هي إجازته الوحيدة، ونظرًا إلى أن حياتهم أصبحت أكثر انشغالًا، فقد تغير الوضع من المنافسة على من سيقوم بالتخطيط إلى لن يعرف أحد أي تفاصيل على الإطلاق حتى نصل إلى وجهتنا. ومجرد معرفته أنهم كانوا متجهين إلى مدينة سولت ليك، لم تعن ليو أي شيء، غير أنه عندما كان يحين دور برادلي في التخطيط للرحلة، كان من الطبيعي أن يشعر صديقه بالقلق، فقد كان في كل مرة يعطي الأولوية لرواية قصة جيدة في الطريق عن الاهتمام براحتهم الشخصية، أو القدرة على التمييز السليم.

رن هاتفه مرة أخرى، ليخرجه برادلي، ويبتسم عندما علم من المتصل: «إنه رئيسك الآخر».

أراه الاسم الظاهر على الشاشة.

الاسم الظاهر على الشاشة هو كورا.

مرر برادلي إصبعه على الهاتف ليتلقى المكالمة: «هذا هاتف ليو، العم برادلي يتحدث».

انحنى ليو مرة أخرى محاولاً أن يأخذ الهاتف منه.

لكن برادلي وضع يده على وجه ليو، ودفعه بعيداً، وهو يقول: «كيف حالك يا عزيزتي؟».

لم يستطع ليو سماع أي شيء سوى همسة بسيطة مما كان يبدو كأنه صوت أخته الصغيرة عبر الخط. فانكمش في جلسته على المقعد مستسلماً أخيراً لتصميم صديقه. وكانت كورا تحب برادلي؛ لذا لو تمكن ليو من استرجاع هاتفه أيضاً، فسرعان ما كانت ستطلب منه أن يعيده لـ برادلي مرة أخرى.

قال برادلي: «تهانينا على التخرج، يا كورا. يا له من خبر رائع». وظل برادلي يومئ برأسه مبتسماً لأي شيء كانت تقوله. وفجأة قال: «هل هذا صحيح؟»، واستدار ونظر إلى ليو، ثم أردف قائلاً: «باريس غداً؟ لا، أخوك لم يخبرني على الإطلاق بأنه قدم إليك وإلى صديقتك رحلة إلى باريس بوصفها هدية التخرج».

يا إلهي من المؤكد أن برادلي لن يغفر له هذا.

قال برادلي بينما اتسعت عيناه وهو يحدق إلى ليو ساخرًا ومحذرًا: «أجزم بأنها كانت ليلة رائعة»، ثم صمت ليستمع إليها، وقال: «سأبلغه بالتأكيد. أمامك رحلة مذهشة في انتظارك، وأنا أحبك أيضاً يا صغيرتي». أنهى المكالمة، وبابتسامة ساخرة، سلّم ليو هاتفه أخيراً قائلاً: «كشفت تلك المحادثة الكثير».

وضع ليو الهاتف في حقيبة ظهره، ومال برأسه على مسند الرأس في المقعد قائلاً: «لا تهتم بالأمر».

قال برادلي: «أرادت كورا أن تخبرك بأنها مرت على منزلك وأخذت النقود التي تركتها لها»، ثم توقف عن الكلام قليلاً، وأخذ يمسد لحيته الخفيفة، بعدها تحدث بتشاقل قائلاً: «لقد

أزعجني كثيرًا قرارك بعدم دعوتي لحضور حفل عشاء تخرج كورا الليلة الماضية. بالتأكيد لم يكن ستكلفك إضافة شخص آخر إلى القائمة الكثير من المال، خاصة أنك كنت قد دعوت بالفعل اثني عشر شخصًا، وتكفلت بمصاريف رحلة كورا غدًا إلى باريس».

توقفت سيارة الأجرة أمام مبنى الركاب في مطار جون كنيدي، فترجل الصديقان وشرعا في إخراج حقائبهما من صندوق السيارة. وبينما كانا يواصلان السير داخل مبنى المطار شرح ليو الأمر قائلاً: «لم تكن النفقات السبب في إحجامي عن دعوتك. بل السبب الحقيقي هو اعتيادك مغازلة صديقات أختي الصغيرة».

قال برادلي: «هن لسن فتيات صغيرات».

كان برادلي صديقًا قديمًا لـ ليو، وهو الشخص الذي انتشله من حزنه عندما انهار عالمه قبل عقد من الزمن، ووقف إلى جانبه حتى استطاع أن يقف على قدميه مرة أخرى. وهو رجل مغامر، لعب دور العم المشاكس والمحب للمزاح والمرح، وقد أحدث وجوده في حياة كورا نوعًا من التوازن المفيد، خاصة بسبب ميول ليو المفرطة في الحماية الزائدة لشقيقته، والمبالغة في تعويضها.

ذكره ليو قائلاً: «لكنهن ما زلن أصغر منك بعشر سنوات».

رد برادلي: «من وجهة نظري عشر سنوات ليست فارقًا كبيرًا».

«لكنه لا يزال يمثل فارقًا يا برادلي».

ابتسم برادلي بتكلف قائلاً: «أنت تغير الموضوع. إن تدليلك لها سيفسدها».

نظر إليه ليو وقال: «أنت آخر شخص يمكنه إلقاء محاضرة عن إفساد شخص ما، انظر إلى نفسك، فأنت ترتدي ساعة يد ماركة رولكس، وحقيبة كتفك من تصميم برادا. لا تبدو لي متشردًا بحاجة إلى وجبة مجانية».

«لا، ولكنني أود بشدة أن أحصل على واحدة».

ضحك ليو وهو يرى برادلي يستمتع بلحظة الانتصار تلك، وحدثه قائلاً: «كورا ستنتقل إلى بوسطن. أنت تعرف أنه كان واجباً عليّ أن أدمعها حتى تنهي دراستها». وهو لم يساعدها على إنهاء دراستها فحسب، لكنه أيضاً قام بدور الشقيق الأكبر، والأب، والأم، والممول كي يعوضها عن العطف والحنان اللذين حرمت منهما قبل عشر سنوات.

«وقد قمت بواجبك على أكمل وجه. فبالإضافة إلى المصروف الأسبوعي، سددت كل القروض الدراسية، ووفرت لها شقة تسكن فيها على بعد أربع بنايات من حرم جامعة كولومبيا».

ذكّر ليو: «إنها تشاركها مع ثلاث غيرها، ولا تعيش في رفاهية أو ترف».

لوح برادلي بيده متجاهلاً حديثه ومعقباً: «لن تتمكن كورا من الاتصال بك في المكان الذي سنتوجه إليه، هل ستكون عندئذ قادرة على مواصلة حياتها بدون الاعتماد على الأخ الأكبر؟».

كان ليو قد ضاق ذرعاً بتلك المحادثة، فأجاب: «ستكون بخير». وتمنى أن يكون ظنه في محله، حيث قال: «على أي حال، ستكون مشغولة للغاية بالاستمتاع بزيارتها باريس، ومن ثم لن تفكر في الاتصال بي».

ضغط عليه برادلي قائلاً: «ولكن كيف سيكون حالك أنت؟».

«ماذا تقصد؟».

«ليو، تلك هي الرحلة الأولى التي سنقوم بها، إذ لن نستطيع التحقق من البريد الإلكتروني الخاص بالعمل على الإطلاق، أو استقبال المكالمات».

بينما كان ليو يحاول ألا يسبب الإزعاج لأفراد عائلة كانوا يعيدون حزم أمتعتهم من جديد عند مكتب الاستقبال، ألقى إلى برادلي نظرة سريعة، وقال له: «لا تقلق عليّ، لقد كنت أعد نفسي ذهنيًا لتلك العزلة، وأنا أتفحص قائمة الأمتعة الرهيبة التي وضعتها».

كرر برادلي متظاهرًا بالشعور بالإهانة: «رهيبة؟».

تقدمًا معًا إلى شباك التذاكر لتسليم هويتيها.

قال له ليو: «أنا لا أملك سروال كارجو، ولماذا سأحتاج إلى حذاء عالي العقب؟ هل تنتظرنا بعض أعمال البناء، أم سنقلد بعض المطربين، أم أن هناك ما هو أخطر من ذلك؟».

رد برادلي: «أنت تعرف القواعد. لا تسأل، فقط احزم أمتعتك».

قال ليو: «أنا أعرف القواعد؛ لكن عندما رأيت عبارة «قبة رعاة البقر» لم أعرف ماذا يعني ذلك».

في الواقع، كان ليو يعرف ما يعنيه ذلك بالضبط؛ ولكن مجرد التفكير في السبب الذي قد يجعله يحتاج إلى حذاء عالي العقب، وقبة رعاة البقر جعله يشعر بالقلق والتوتر. ولهذا السبب أجل حزم أمتعته حتى هذا الصباح، عندما قرر أخيرًا - متعجلًا - وضع كل شيء في حقيبته الرياضية ذات القماش الخشن. كانت لكل واحد من الأصدقاء الثلاثة مجموعة من القواعد لتلك الرحلات، بعضها معروف والبعض الآخر غير معلن. وعلى سبيل المثال، رفض برادلي السفر إلى كي ويست بسبب مشكلاته مع عائلة كانت تملك في عام 2012 ما يقرب من ربع المطاعم في المدينة. ورفض والتر زيارة أي ولاية يُحتمل أن تتعرض لأعاصير. وكانت قاعدة ليو غير المعلنة هي: أماكن لا توجد فيها خيول. وكان برادلي يعرف أكثر من أي شخص آخر السبب وراء ذلك.

لذا حتى لو لم تكن تلك العطللة في وايومنغ، فوجوده بالقرب من الخيول سيعيد إلى ليو ذكريات مكان لم يتعافَ من الألم العاطفي الذي تركه في داخله بعد - وفقًا لما قالته فتيات

عديدات حاول الارتباط بكل واحدة منهن سابقًا.

بدأ تقليد الإجازة السنوية في الربيع الذي عاد فيه ليو من لرامي حزينًا موجوع القلب. وبناءً على ذلك، تصرف برادلي مدفوعًا بقدر متساوٍ من النيات الحسنة والسيئة، وخطط للقيام برحلة مكونة من الشبان فقط إلى المنطقة الشمالية، بينما كانت كورا تقيم في جمعية للشابات في مخيم في فيرمونت. وفي تلك الرحلة، ضحك ليو بشدة للمرة الأولى منذ سبعة أشهر.

وفي العام التالي ذهب الأصدقاء الثلاثة بعيدًا مرة أخرى في رحلة بالسيارة إلى ولاية مين، وكان والتر هو من خطط لهذه الرحلة. وبعد ذلك، كلما تحسنت أحوالهم المادية، كانت جودة الرحلات ترتفع؛ حيث ذهبوا لتذوق أطعمة جديدة في ولاية أوريجون، وجربوا صناعة الجبن في فرنسا، وسبحوا مع الدلافين في إنسينادا، وأبحروا في زوارق الكاياك فوق الأنهار الجليدية في ألاسكا.

بالنظر إلى أن آخر رحلة خُطِّط لها برادلي، قبل ثلاث سنوات، كانت لقضاء أسبوع في جزيرة إبييزا، وعندها أدرج في قائمة الأمتعة بند توفير أموال للكفالة في حالة دخول السجن - ولحسن الحظ أخذ ليو والتر رغبة صديقهما على حمل الجد - لقد كانوا خائفين إلى حد ما من رحلة هذا العام.

قطع صوت ما آت من الخلف حبل أفكار ليو، كان هناك شخص ما يصيح: «ما الذي يحدث هنا، أيها الجبناء؟» كانا محاطين بما لا يقل عن مائة مسافر آخر، ولم يكن هناك أي سبب لافتراض أن تلك الكلمات موجهة إليهما؛ لكن ليو أدرك دون أن ينظر إلى الخلف أنهما كانا المقصودين بتلك الكلمات. بينما استدار كل المسافرين ليروا من تفوه بتلك اللفظة «الجبناء» وسط المطار، التفت ليو إلى برادلي ونظر إليه محدقًا وفي عينه نظرة اتهام.

صرخ قائلاً: «ما هذا؟ هل دعوته؟».

تراجع برادلي خائفًا على الفور.

وفي تردد حاول النظر نحو كتف ليو ليدرك بالضبط ما كان يتوقعه: هذا الرجل هو تيرينس «تيري» تروتل - شخص لم يسبق له الخدمة في الجيش؛ لكنه كان يرتدي زيًا عسكريًا كاملاً، ويحمل حقيبة ظهر عسكرية عالية الجودة تتدلى مباشرة فوق كتفه - وهو طويل القامة، ونحيف، ويمتلك وشماً غريبًا، ولديه لحية شعثناء، كان تيري من ذلك النوع من الرجال الذين يمكنك الحكم عليهم بدقة من خلال مظهرهم.

قال برادلي: «لقد طلب مني القدوم صراحة، فلم أستطع الرفض».

رد ليو: «بل كان يمكنك ذلك، إذ كان يمكن أن تقول ببساطة: «لا يا تيرينس، فأنت لست جزءًا من هذا التقليد»».

لم يكن تيري - زميل برادلي في السكن منذ السنة الأولى للدراسة - على علاقة وطيدة بالمجموعة؛ نظرًا إلى أنه كان من ذلك النوع من الأصدقاء الذين ستضطر دائمًا إلى الاعتذار نيابة عنهم، بصرف النظر عن الموقف، كان يظهر فجأة دون دعوة في المقهى مرتديًا قميصًا يحمل صورة امرأة تضع قطعة من الشريط اللاصق على فمها، ومطبوعة عليه كلمات مثل «استمتع بالصمت».

على الرغم من أن برادلي كان ينتقد ليو بشأن كورا، وفيما يخص وظيفته وحياته العاطفية المعدومة، لم يؤد ذلك إلى نشوب صراع حقيقي بينهما، وكان ليو صديقًا للجميع؛ بل كان هو الوند الثابت الذي تركز عليه صداقة تلك المجموعة؛ لذا كان برادلي يثرثر بكثير من الهراء بلا خوف. وعلى النقيض من ذلك، كان تيري شخصًا متهورًا، يتخيل دائمًا أن حديث من يحدثه هو إهانة موجهة إليه، سواء كان الأمر مقصودًا أم لا. وها هم على وشك التورط في العيش معه في مكان بعيد حتى إن شبكة الهاتف لا تصله.

يا له من موقف رائع!

تظاهرا بعدم رؤية تيري وهو يلوح لهما قبل أن يتقدم نحو شباك تسجيل الوصول على بعد أمتار قليلة. بينما كان أحد العاملين في المطار يضع البطاقات على أمتعتهما الصغيرة، حدق ليو إلى برادلي.

همس برادلي محتجًا: «لم يكن بهذا السوء من قبل».

في الكلية، تمثلت غرابة تيري في ولعه بجمع أغطية الزجاجات، وعدم غسل قميص الحظ الخاص به. وفي الوقت الحالي أصبح تيري يجمع الذخيرة العتيقة، ويعتبر أن لكلمتي النسوية والإرهاب المعنى نفسه تقريبًا، ولم يكن برادلي مخطئًا في أن تيري لم يكن دائمًا بهذا السوء؛ لكن لا فائدة من ذلك الآن؛ لأن تيري أصبح اليوم شخصًا كريهًا بالتأكيد. لقد كان ليو شبه خائف بالفعل من تلك الرحلة، والآن أصبح على يقين بأنها ستكون بلا شك مضجرة.

قال ل برادلي: «أرسل إليّ والتر لقطات شاشة لبعض الهراء المخيف الذي نشره تيري على الإنترنت. إنه يقضي كل يوم تقريبًا في تصفح مواقع غريبة».

رد برادلي: «أنا على علم بذلك؛ ولكن عندما نكون جميعًا بجانبه، سيخفف ذلك من حدة سلوكه».

أطلق ليو ضحكة ساخرة قائلاً: «هل تظن ذلك حقًا؟».

قام الموظف بتسليمهما التذكريتين ليبتعدا بعد ذلك عن الشباك.

نظر برادلي إلى الجانب لآخر، وقال: «أعتقد أنه سيكون هادئًا جدًا».

سأله ليو: «هل أنت متأكد؟». بعدها أشار إلى المكان الذي يقف فيه تيري، وكان على ما يبدو يقوم بـ «توجيه» وكيل الخطوط الجوية للطريقة الصحيحة لوضع البطاقة التعريفية على أمتعته، وأردف قائلاً: «هل ترى؟ إنه هادئ جدًا؟».

قال برادلي: «هل ستقول له إنه لا يمكنه مرافقتنا؟».

أجاب ليو: «برادلي، إنه يجري تسجيل الوصول ليشاركنا الرحلة. بالطبع لن أقول له ذلك لا الآن».

تمتم برادلي بصوت خفي: «لا أعرف لماذا تحاكمني، أنت لن تقول لا ولو ل كورا».

«سمعت ذلك».

«قصدت أن تسمع، لهذا السبب تحدثت بصوت عالٍ».

استدارا ليكملا سيرهما عبر بوابة الفحص الأمني؛ وبينما تلكأ برادلي لينتظر تيري، استمر ليو في التحرك واجتازها بعد بضع دقائق فقط. وفي النهاية، كان سعيدًا لأنه تقدّم تيري في المسير، لو أن والتر كان بالفعل منتظرًا عند البوابة، فمن المؤكد أنه سيحتاج أن يهيئًا نفسيًا لتقبُّل أخبار مجيء تيري، خاصة إذا كان التوتر الذي سينتج عن انضمامه إلى الرحلة كبيرًا جدًّا؛ ما يعني أن والتر سيحتاج إلى مزيد من الوقت للذهاب إلى دورة المياه قبل أن يضطروا إلى الصعود إلى متن الطائرة.

جلس والتر محتضنًا حقيبة ظهره، ومرتديًا سماعة الأذن، وكان يتمايل بسعادة في انسجام مع نغمات الموسيقى. إنه شخص يمتلك روحًا رقيقة، ونادرًا ما كان يعطي أشياء مثل قصات الشعر الجديدة، أو استبدال القمصان ذات الثقوب الأولوية، كان دائمًا أول من يتصل للاطمئنان على أي صديق يمر بوقت عصيب. وببساطة، كان هو وتيري على طرفي نقيض.

ظل ليو يحوم في الجوار، وهو منزعج من أنه على وشك إفساد مزاج والتر الذي كان يبدو جيدًا؛ ولكن عندما نظر والتر إلى أعلى إلى ما خلف كتف ليو، ظهرت الصدمة على وجهه، فأدرك ليو أن الأوان قد فات.

سحب والتر سماعة الأذن، وأخذ يحدق بعينه بينما كان تيري يقترب، وقال: «انتظر، لماذا تيري هنا؟».

رأى ليو أن هناك سببًا واحدًا يدعوه إلى الامتنان لطبيعة برادلي التي تخشى المواجهة: مع وجود تيري في تلك الرحلة، أصبح هناك شيء مثير للاستياء أكثر من فكرة ركوب الخيل للمرة الأولى منذ عقد من الزمن.

الفصل الثالث

استيقظ ليو فجأة بينما كان يجلس على مقعد الحافلة الصلب، وانحنى إلى الأمام، وسرعان ما مد يده إلى رقبته.

سأل برادلي: «ماذا حدث؟». بينما كان يستيقظ من غفوته، ويحاول تعديل جلسته على مقعد الممر.

رد ليو: «توقفنا».

تنهد برادلي متسائلاً: «أين؟».

قال ليو: «ليست لديّ أدنى فكرة». كل ما كان ليو يعرفه هو أن الحافلة، التي كانت تفوح منها رائحة التربة الكريهة والإيثانول، قد توقفت من فورها بشكل مفاجئ في مكان غير معلوم.

صاح برادلي مخاطبًا سائق الحافلة: «تبّاً ماذا يحدث يا صديقي؟»، وعقد ذراعيه على المقعد الذي يقع أمامه مباشرة، وأردف قائلاً: «هل بإمكانك تحذيرنا في المرة التالية؟».

بالكاد وصلهم رد السائق الفظ: «هذا هو ما أستطيع أن أخبركم به هو أن عليكم أن تغادروا الحافلة».

بينما كان ليو يجول بعينه عبر النافذة، لم يستطع تمييز أي شيء سوى بعض الأشكال الغامضة في الظلام الحالك. لقد كاد يقسم أن الشمس كانت ساطعة قبل بضع دقائق فقط؛ لكن يبدو أنه قد غفا وهم في مكان ما خارج مدينة جريرن ريفر، بمقاطعة يوتا. لقد قضى يوماً مرهقاً حقاً في رحلة السفر الطويلة تلك، فقد تأجلت الرحلة ثلاث ساعات في ساحة

مطار جون كنيدي، ناهيك عن أن الرحلة الجوية نفسها كانت منهكة ومزدحمة نوعًا ما، ثم أخيرًا جاءت تلك الجولة بالحافلة نحو مكان مجهول.

شعر ليو بأنه محاصر في صندوق صغير؛ ولكن على الرغم من الرحلة التي بدت كأن لا نهاية لها، ومغامرات رعاة البقر التي كانت في انتظارهم، بدا برادلي غير متأثر على الإطلاق؛ فقد كان يرتدي حذاء قيادة جلدًا خفيًا، وسترة من الكشمير، ومن ثم بدا مستعدًا تمامًا لرحلة في الهواء الطلق. وبجانب برادلي، كان والتر يميل على النافذة في وضع غير مريح، وهو يرتدي قميصًا أخضر اللون قديمًا مكتوبًا عليه سباق موردور للمرح السنوي على كوكب الأرض، وظل في سباته الهانئ، فيما كان يُسمع صوت غطيظه من بعيد.

خلفهما، كان يجلس تيري بوجهه المتورد، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مقلقة قبل أن يمد يده إلى الأمام ويضع والتر بشدة على رأسه، فانتفض بعدها مستيقظًا.

قال ليو: «ويحك ماذا فعلت!». عندما التقى ليو ب تيري للمرة الأولى، كان يعتقد أن حمرة وجهه سببها أنه مصاب بحروق مستديمة من الشمس، ثم تساءل عما إذا كان مصابًا بمرض ما. الآن، بالطبع، عرف ليو أن السبب الخفي وراء ذلك، أنه يعاني غضبًا داخليًا مزمنًا، فهو تائر دائمًا، وحانق على النساء والاشتراكيين وعلى أمه.

تحرك ليو من مكانه، ورمق والتر بنظرة مليئة بالمواساة كأنه يريد أن يقول عجبًا، لهذا السبب أكره تيري قبل أن يصرف انتباهه إلى هاتفه، وهو يتمتم: «لا يوجد سوى مقهى واحد فقط حتى الآن؟ هل نحن ذاهبون في رحلة إلى عام 1992؟».

قال تيري أثناء سيره في الممر: «كان يجب أن نحضر هاتفًا يعمل بالأقمار الاصطناعية، فخدمة الهواتف المحمولة - إن وجدت - ستكون رديئة على أحسن تقدير».

وقف برادلي أيضًا وأخذ يضرب بيده على صدره، بينما كان شعره الأشقر الكثيف ينسدل على جبهته في تموجات سلسلة لم تؤثر فيها صعوبات الطريق. وتمهل لحظة ثم قال: «هيا أيتها السادة. في المكان الذي سوف نتجه إليه لن تكون هناك حاجة إلى استخدام الهواتف».

قاد برادلي المجموعة للترجل من الحافلة لحمل الحقائب المختلفة. وعلى بعد نحو ستة أمتار من المكان الذي وقفوا فيه، استطاع ليو رؤية مأوى للوقاية من الرياح، كان صغيرًا ومتهالكًا ومحاطًا ببعض المقاعد الخشبية البالية. وحوله توجد مجموعة من النباتات الزاحفة التي تراكمت على الأسمت الجاف، فيما مرت بها زوبعة صغيرة من الغبار. وبينما بدأت عينا ليو التأقلم، تحولت السماء ببطء إلى اللون الأرجواني، وبدأت الأرض كأنما غشيتها ظلال كثيبة متعاقبة على امتداد أميال.

في تلك الأثناء، ارتفع صوت محرك الحافلة مؤذنًا بمغادرتها المكان، بينما كانت مجموعة الأصدقاء تشاهدها وهي تختفي بعيدًا، وأضواء المصابيح الخلفية يبتلعها الظلام.

عقد والتر حاجبيه في قلق، وقال: «هل يعرف أننا... أتساءل عما إذا كان...»، ثم نظر إلى ليو، ووصف المشهد الذي هو واضح بالفعل: «نحن لسنا في الحافلة معه».

قال ليو مخاطبًا برادلي: «ربما يجب عليك الآن أن تخبرنا لماذا نحن هنا».

رد برادلي: «كل ما تحتاج إلى معرفته هو أننا في مغامرة. لا تقلقوا يا رفاق، لن نبقى هنا بمفردنا فترة طويلة».

بمجرد أن أنهى الجملة، عوى أحد ذئاب البراري، ثم ما لبث أن بادله القطيع العواء الجماعي المخيف.

تمطى ليو، فبدأ صوت طقطقة ظهره مثل الصوت الذي يحدثه سقوط كومة من قطع الدومينو، بعدها قال: «لقد غفوت، لكنني أجزم بأننا لم نمر بأي شيء في طريقنا الذي استغرق ساعات. هل يمكنك أن تخبرنا على الأقل أين نحن؟».

أخرج تيري جهاز تحديد المواقع من أحد جيوب بنطاله العديدة، وقال: «نحن على بعد 38 درجة شمالاً و...».

قال ليو بحدة: «شكرًا لك».

رد برادلي: «يا إلهي، أرى أنه لا أحد هنا يستمتع ببعض الغموض». بعدها سحب هاتفه، وأضاءت الشاشة وجهه العابس؛ ما جعل بشرته المعتنى بها جيدًا تبدو مخيفة، ثم استأنف حديثه قائلاً: «يجب أن نكون بالضبط خارج مدينة هانكسفيل في ولاية يوتا، كنت أود أن أقرأ لكم كتيب المعلومات؛ لكنني للأسف لا أستطيع». أدار الشاشة في مواجهتهم، مشيرًا إلى أيقونة البريد الإلكتروني الخاصة به، والتي لم تستجب عند نقره عليها. وأوضح بشكل دفاعي: «إنها شركة سياحية تقوم برحلات مغامرات، سنركب الخيول، ونخيّم، ونبحث عن الكنوز. ألا تبدو تلك مغامرة رائعة؟».

لاحظ ذكرى غامضة أمام عيني ليو فجأة، شوشت أفكاره وأشعرته بالغثيان.

وعلى مسافة قريبة منهم، ظهر وميض زوج من المصابيح الأمامية الصفراء يشق الظلام.

قال برادلي مدافعًا عن نفسه: «أترون؟ جاء من سيقلنا».

ظلوا ينظرون في صمت بينما سيارة من طراز برونكو تتجه نحوهم، وبينما كانت هذه السيارة تتحرك على الطريق ذي المسارين، بدت نسبة الصداً فيها أكبر كثيرًا من المعدن. ولم تبدُ أي إشارة تدل على أنها تبطئ سرعتها أثناء اقترابها.

جعل القلق صوت ليو أعلى من المعتاد وهو يقول: «إنهم يقودون نحونا بسرعة كبيرة...».

انتابته حالة من الذعر عندما رأى السائق وهو يسرع بالسيارة نحو المنعطف الجانبي متجهًا مباشرة نحوهم بينما تتطاير حبات الحصى تحت العجلات وتتناثر هنا وهناك. اضطر الرجال إلى التراجع للخلف مجبرين، مستندين إلى المقاعد البالية، وأطلقوا صيحة جماعية

من نوع نحن على وشك الموت، قبل أن تتوقف السيارة فجأة على بعد بضعة سنتيمترات فقط من قدم والتر، محدثة صريراً حاداً ومثيرة عاصفة من الغبار.

همس والتر: «لم أشعر قط في حياتي بما شعرت به الآن، كدت ألفظ أنفاسي الأخيرة».

بينما كانوا جميعاً يتحركون بحذر مبتعدين بضع خطوات عن مقدمة السيارة، لوح برادلي بسعادة للسائق مجهول الهوية، وقال: «أخبرتكم بأن أحدًا سيكون هنا قريباً».

توقف صوت المحرك فجأة بينما كان يتردد صدى أغنية «جولين» ل دوللي بارتون في الأرجاء مبدداً الصمت.

حدق ليو بينما كان السائق يترجل من السيارة ببطء، ويدور حول الجزء الأمامي للسيارة، وسمع الجميع صوت خطواته وهي تدهس حبات الحصى الموحلة. كان ضوء المصباحين الأماميين مسلطاً عليه، واستطاع ليو تمييز ساقين طويلتين لشخص يستند بظهره إلى غطاء محرك السيارة.

كان وجه ذلك الشخص خافياً خلف قبعة رعاة البقر المغبرة؛ ولكن عندما رفع رأسه، فوجئ ليو بامرأة في منتصف العشرينيات، جميلة، يبلغ طولها نحو 1.82 متر، كانت تنظر إليهم وابتسامتها توحى بأنها في حفل أو قتال ما، لا فارق كبير بالنسبة إليها. كانت ترتدي سروالاً من الجينز وحذاء، بينما تلتف خصلات شعرها الأشقر القصير الذي لا يكاد يصل إلى ذقنها حول ياقة قميصها البالي كثير العرى. اقتربت منهم وقالت: «أنا نيكول. من المحتم أنكم أنتم العملاء الذين يجب عليّ الترحيب بهم هذا الأسبوع».

من جانب ليو، مد برادلي يده ليمسك ياقة قميصه بقبضته، ثم يطلقها، وهو يتنهد بسعادة، ليدفعه ليو بعيداً.

بقي الآخرون صامتين بشكل ملحوظ، فخطى ليو إلى الأمام، وهو يمد يده للسلام قائلاً: «أنا ليو».

سألته بصوتها العالي الرتيب، وهي تمسك يده بقبضتها القوية: «هل أنت الشخص الذي سجل أسماء أصدقائه لتلك الرحلة؟».

أجاب ليو: «لا، برادلي هو من قام بذلك». وبعدها أفلتت نيكول يده، وضعها على كتف برادلي، ثم أشار إلى مجموعة الرجال، وقال: «وهذا والتر». تردد قبل أن يشير إلى تيري، الذي كان يقف خارج دائرتهم الصغيرة على بعد خطوة؛ لكنه أكمل حديثه قائلاً: «وتيري الواقف هناك».

لوح والتر بيده، وقال: «كيف يمكنني مخاطبتك... آنسة، أم سيدة، أم أن عزيزتي ستكون أفضل؟».

ردت قائلة: «يمكنك مخاطبتي بـ نيكول فقط؛ ولكن آنستي سيكون تغييرًا لطيفًا عن المعتاد، فالآنسة نيكول لها وقع جميل على أذني».

رد والتر وهو ينظر حوله مراقبًا ظلمة الليل وهي تزداد: «حسنًا يا آنسة نيكول، أين نحن بالضبط؟».

أجابته وهي تدور حولهم وتتفحصهم: «في محطة الحافلات. الحافلة لا تذهب إلى المخيم؛ لذلك أنا هنا لاصطحابكم». تنهدت بانزعاج قائلة: «هل ترتدي حذاء دون كعب في الصحراء؟».

شرح برادلي الأمر لها قائلاً: «إنه حذاء طبي خفيف اقترحه عليّ مختص الأقدام الخاص بي».

ردت: «مختص ماذا؟ أمراض المستقيم؟».

دوى صوت ضحكة ليو قبل أن يتمكن من تدارك الموقف.

تأنى برادلي، ثم أضاف قائلاً: «لا عليك».

كانت حقيبة والتر موجودة على أقرب مقعد، وفجأة لمحت نيكول شيئاً من خلال طرف الحقيبة المفتوح، مدت يدها لتسحب جهازاً بلاستيكيًا أزرق زاهياً ذا فوهة من جهة، وزجاجة على شكل أكورديون من جهة أخرى.

قالت: «يا إلهي ما هذا؟».

أوضح والتر، وهو يمد يده ليدفعه إلى الداخل مرة أخرى: «إنه شيء يسمى الشطاف المحمول».

تحت وهج المصباحين الأماميين لمعت عينا نيكول في دهشة حيث قالت: «شطاف محمول!». أزاحت قبعتها إلى الخلف، وفي هذه اللحظة شعر ليو بأن هناك حقيقة مهمة أدركها جميع أفراد المجموعة، ألا وهي أن نيكول كانت أجمل عند رؤية وجهها كله. أردفت قائلة: «لقد رأيت الناس يجلبون الكثير من الأشياء الغربية هنا؛ لكن هذا جديد تمامًا بالنسبة إليّ. فمثلًا، هناك شخص ما أحضر معه طوق عنق غريب الطراز، وظن أن باستطاعته ارتدائه طوال الرحلة. وآخر أحضر لحفل توديع العزوبية عددًا كبيرًا من الألعاب النارية. لا أرى أن اصطحاب مثل تلك الأشياء يمكنه أن يتوافق بشكل جيد مع ركوب الخيل طيلة أسبوع». لقد انحنى إلى الأمام، ورفعت قدمها لتستند بها إلى لوح خشبي، وأكملت حديثها قائلة: «إلى جانب ذلك، يا عزيزي، يمكنك أن تسبح في النهر إذا كانت مسألة انعدام النظافة تلك تؤرقك، بدلًا من أن تحتفظ بهذا الشطاف الذي يشغل كل تلك المساحة في حقيبة ظهرك».

قال برادلي مزهواً بنفسه: «أخبرتكم بأن هذه الرحلة ستكون رائعة».

قاطع والتر الحديث بينما كان يصفحها قائلاً: «عذرًا، ولكن يبدو أنك قلت شيئًا ما عن امتطاء الخيول لنحو أسبوع تقريبًا».

ردت: «هذا هو سبب وجودكم هنا يا عزيزي - أن تعيشوا حياة رعاة البقر، وسوف نصحبكم في رحلة عبر طريق أوت لو تريل على ظهور الخيل. ومن ثم سوف تتركون وراءكم هواتفكم الذكية، وأحذيتكم الباهظة، والشطاف المحمول. وتستمتعون بالهواء الطلق، وتناول الوجبات حول نيران المخيم. وبعض الألعاب والألغاز، وإذا كنتم محظوظين للغاية فقد تعثرون على كنز حقيقي دفن في مكان ما».

سأل تيري بفضاظة: «أي ألعاب وألغاز؟ يا إلهي ما هذا؟ ما تلك المضيعة للوقت؟».

بعدم اكتراث، نظرت إليه نيكول وهي تتفحصه جيدًا، وبعد ذلك غمزت قائلة: «هذا ما سيبقيك على قيد الحياة هنا».

بعد يوم سفر طويل كان ليو متعبًا وسيئ المزاج لدرجة جعلته غير قادر كذلك على إجراء محادثة صغيرة، وفي المقعد الخلفي كان تيري يواصل كلامه الممل عن الخرائط الطبوغرافية، وتشكل الأخاديد والوديان، وغير ذلك من الموضوعات، بينما ينهال برادلي على نيكول بالأسئلة في حماس بالغ.

«إلى أين نحن ذاهبون؟».

«إلى المخيم».

«من غيرنا سيكون هناك؟».

«رئيس العمل المشغول الآن بتجهيز الخيول».

«أنت لستِ المسؤولة؟».

«أنا أنوب عنه عندما لا يكون موجودًا».

«هل توجد كبائن؟».

«لا، خيام».

«هل أنتِ عزباء؟».

متجاهلة سؤاله، سحبت نيكول ببطء من بين طيات ملابسها سكينًا صغيرة كانت لا تزال موجودة في غمدها الجلدي، ووضعتها على فخذه.

انحنى والتر إلى الأمام، وقال: «للتوضيح فقط، هل ستكون هناك مراحيض مزودة بشطافات على الطريق؟».

عند سماعها ذلك، ضحكت نيكول بعض الوقت، قبل أن تبادر بالجواب بأنه مع الأسف لا توجد مثل هذه المراحيض هنا.

اتكأ برادلي في مقعده غير مبالي، وهو يحاول أن يرفع وجهه إلى أعلى لمواجهة الريح، وبدأ يُحدِّث رفاقه قائلاً: «استنشقوا هذا الهواء أيها الرفاق. لا تلوث ولا عادم. هذه هي حياة المغامر، حياة الرجل على الحدود». بعدها رفع قميصه، وأخذ يضرب على ضلوعه، وأردف قائلاً: «أرى أنني أصبحت أكثر قوة، لا ينقصني سوى أنياب بارزة لأنسجم مع الحياة البرية».

لم يكد والتر يُخرج رأسه من النافذة حتى انطلقت منه صرخة وهو يرتعد، سارع بعدها إلى خفض رأسه وهو يتراجع إلى الخلف، وأخذ يسعل قائلاً: «لقد استنشقت حشرة».

قالت نيكول مؤكدة: «تنتظرنا حشرات أكبر حجمًا هناك».

تجاهل برادلي ذلك، وقال وهو يستدير في مقعده الأمامي لمواجهة أصدقائه: «أرى أنها ستكون مغامرة رائعة. سيكون أسبوعًا دون مسؤوليات. قد لا أرغب في العودة مطلقًا». ثم

أردف متحدثًا عن نفسه: «بالإضافة إلى ذلك، لديكم في فريقكم هذا عالم آثار حقيقي لا يقل عن هوارد كارتر في شيء».

لمح ليو نظرة نيكول المتسائلة، فأوضح لها الأمر قائلاً: «إنه الرجل الذي اكتشف مقبرة الملك توت. وإن كنت لا تعلمين، إن برادلي أستاذ في علم الآثار».

ضحك تيري ساخرًا، بينما كانت الرياح تعبث بشعيرات لحيته الخفيفة، وقال: «نعم، لكنه لا يخرج إلى ميدان العمل. الشخص الوحيد هنا الذي أمضى وقتًا فعليًا وسط شقوق الوديان هو أنا».

سأل والتر: «ما شقوق الوادي؟».

انحنى تيري إلى الورا، سعيدًا بالتحدث إلى جمهور منتبه إليه قائلاً: «إنها ممرات وقنوات طويلة وضيقة تكونت نتيجة اختراق المياه للتشققات الموجودة في الحجر الرملي الناعم على مدار آلاف السنين».

نظر برادلي إلى كل من تيري ووالتر، وقال: «هل هناك أي شخص آخر غيري يعتقد أن هذه الجملة بأكملها غير واضحة؟».

التقت عينا نيكول بعيني والتر في المرأة، ثم عقببت موضحة: «إنها أشبه بممر طويل وضيق منحوت في الصخر».

قال والتر برضا: «قد يكون ذلك رائعًا».

تنحى تيري، ثم قال: «على أي حال. ابق معي. فأنا أعرف ماذا أفعل».

أجاب ليو بهدوء: «سأبقى مع المرشدين».

غمزت نيكول إليه خلسة قائلة: «يا لك من رجل ذكي».

عرف ليو أنه على الرغم من أن برادلي اختار رحلة تعد - بلا شك - خارج نطاق اهتمامات تيري - استكشاف الكنوز والوديان، ومغامرات الجنوب الأمريكي المليئة بالتحديات والمخاطر - فسيظل تيري يتصرف كأنه خبير أو أحد السكان المحليين. وفي النهاية، هو لا يدري أيهما أفضل: الاستماع إليه وهو يتحدث عن شيء يعرف عنه الكثير أم عن شيء يجهله؟ حاول ليو تهدئة قلقه وانزعاجه، فأخذ يتنفس بعمق.

على أي حال لم يكن هناك شيء آخر ليفعله سوى أن يجرب تحويل خوفه المرتبط بركوب الخيل إلى ترقب مبهج لأسبوع إجازة يقضيه بعيدًا عن المكتب. لم يتمكنوا من رؤية الكثير فيما تنطلق السيارة مسرعة في الظلام. اعتقد ليو أنه لمح عينين متوهجتين بين الأشجار الكثيفة عندما كان ضوء المصباحين الأماميين يرتد وينحرف محددًا مسارًا عبر الطريق الفارغ أمامهم. وعند بلوغهم بقعة مرتفعة أحس بفزع رهيب عندما ارتفعت إطارات السيارة عن الأرض، ثم ارتطمت بها ثانية محدثة قعقة تسببت في ارتجاج عظامهم، وتطاير التراب والحصى، مخترقان السكون خلفهم.

توقفت السيارة أخيرًا محدثة ضجيجًا عاليًا، فترجل الأصدقاء منها، يملؤهم الحماس بدرجات متفاوتة. كانت خطوات ليو الأولى مترنحة وتائهة. وأثارت سحابة من التراب عندما لامس حذاؤه الأرض، وكان النسيم باردًا وجافًا على نحو غير مريح تمامًا، فالهواء كان يعبق برائحة عشب المريمية ودخان الأخشاب المحترقة، وكانت الأرض باردة بعد أن هجرتها أشعة الشمس الذهبية.

وبجانبه، ألقى والتر حقيبته عند قدميه، وأخذ ينظر بعيدًا، مثبتًا قبضتيه على وركيه، بينما ظل يحدق إلى الأفق. لم يكن من المرجح أن يرى الكثير، فالسماء أضحى لونها يميل إلى الأسود أكثر من الأرجواني، فيما اقتربت سحب تضيئها الأشعة الغاربة وراء ظلال الجبال؛ لكنه استشعر روعة المشهد، وعلى جانبي الطريق المؤدي إلى المعسكر الصغير المقام على بعد نحو 36 مترًا، اصطف عدد من الكشافات المضيئة.

كانت نيكول قد أخبرتهم بالفعل بأنهم سيقضون الليل في موقع للتخييم؛ ولكن في أكثر رحلاتهم السابقة صعوبة وقسوة كان هناك مصدر للمياه الجارية. وبينما كانوا يتبعونها متيقظين صامتين أدركوا أن تلك البقعة كانت مكانًا بدائيًا. فقد نُصبت ست خيام مضيئة على شكل دائري تتوسطه نيران المخيم المتأججة، بينما كان سهيل الخيول الناعم يتردد بالجوار في قلب الظلام. بدا المشهد غاية في الجمال. وكلما اقتربوا من النيران، كان باستطاعة ليو أن يميز بصورة أفضل ما بدا أنه إسطبل من الحديد مزود بمظلة معدنية متعرجة، ومبنى صغير، وما يشبه مبنى خارجيًا.

وعند الوتد الكبير الذي ثُبَّت في الأرض بالقرب من النار، أشارت نيكول بيدها إلى لوحة معلقة بمسمار في الزاوية عليه مكتوب عليها: «هذا هو المعسكر الأساسي؛ لذلك يوجد هنا الكثير من الخدمات أكثر مما سيكون لدينا في بقية الرحلة». وبينما كانت نيكول تسحق بعوضة مزعجة، أشارت إلى الخيام المنصوبة على شكل نصف دائرة قائلة: «تمتعوا بالرفاهية هنا يا شباب، فستجدون داخل الخيام حاويات بها بعض الطعام والماء؛ ما سيكفيكم طوال الليل. قد تجدون أيضًا القليل من الماء البارد؛ ولكن هذا يعتمد على مدى سخاء المدير. والقاعدة العامة، غير مسموح بتناول أي مشروبات سوى تلك التي نقدمها لكم فقط، ولن أتحمل طريقة رعاة البقر الفوضوية في التصرف».

حدقت إلى برادلي الذي قفز واقفًا في اهتمام، وإلى جانبه قفز والتر مذعورًا ممسكًا بليو عند سماعه صوت حفيف وسط العشب الجاف في مكان قريب. وأخذ الجميع باستثناء ليو ونيكول خطوة إلى الوراء.

همس برادلي: «تَبَّأ، ما هذا؟».

قالت نيكول دون أن تشيح بنظرها عن لوحة المعسكر: «قد يكون الثعلب القزم، أو أرنبًا بريًا، ولن يؤذيك أيٌّ منهما».

لم يبْدُ والتر مطمئنًا. حتى ليو رأى أنه من الصعب ألا يشعر المرء بالضعف وهو ليس محاطًا بأي شيء سوى السماء السوداء والنجوم السرمدية. أحس بمشاعر العزلة نفسها التي انتابته في الصيف الذي قضاها في مزرعة وايلدر رانش؛ ولكن على الأقل كان المكان هناك مضاء بالكهرباء ومزودًا بالمراحيض. أما هنا فهم يواجهون المجهول بصحبة القمر والنجوم وبعض المشاعل لتضيء لهم الطريق. حاول ليو أن يقنع نفسه بأنهم آمنون في المخيم؛ ولكن حتى الآن ليس هناك أي أثر لرئيس نيكول، وهو يظن أن نيكول غير مهتمة بشأن رفايتهم.

قالت نيكول: «سأطلب منكم ألا تتجولوا، فعلى الرغم من أن الأرض ممهدة هنا، فإن الحذر مطلوب، فأنا لا أريد لأحد منكم أن يتعثر من فوق منحدر إذا ضل الطريق وهو يتجول في الظلام». التفتت إلى مجموعة صغيرة من المباني، وأشارت قائلة: «ولأجل قضاء ليلتنا تلك، يجب أن تتعرفوا على معالم المكان، فسقيفة الخيل والمبنى الخارجي بهذا الاتجاه؛ لكن عليكم ألا تبتعدوا عن الحدود التي تضيئها الكشافات، فإذا كنتم لا تستطيعون رؤية الأرض، فنحن لن نستطيع رؤيتكم».

وقف تيري عاقدًا ذراعيه فوق صدره، وسألها قائلاً: «أين توجد منطقة أسود الجبال؟ لقد قرأت أنها موجودة في هذه المنطقة، ومن المفترض أن يكون ثمة نوع من السياج الخارجي المقام ليحيط بنا».

ابتسمت نيكول في استمتاع قائلة: «لن يبقها السياج في الخارج إذا ما أرادت اختراقه حقًا».

أجاب تيري: «البندقية ستفعل».

قالت: «ليس لدي مشكلة إذا تمكنت من إصابة الأسود بطلقة واحدة، على الرغم من أن تجربتي الشخصية أثبتت أن البنادق عادة ما تسبب مشكلات أكثر من تلك التي تحلها؛ ولكن إذا كنت قلقًا، فاعلم فقط أن أسود الجبال لا تهتم كثيرًا بنا، فهي عادة ما تطارد

الوعول في هذا الوقت من العام، وعلى أي حال، إذا التزمت بالتعليمات، فسوف نضمن لك سلامتك».

سألها تيري: «تضمنون! تقصدين بهذا أنت ومديرتك؟». في هذه اللحظة، تراجع الباقون خطوة إلى الوراء، لينأوا بأنفسهم عن لسانه السليط. يبدو أنه لم يرَ سكين نيكول.

سألته نيكول وهي ترفع حاجبًا في استنكار: «لماذا تفترض أن مديري فتاة؟».

أخذ تيري نفسًا استعدادًا للرد، لكن برادلي قاطعه بسرعة قائلاً: «أنا متأكد من أن كل ما يقصده أنه لا يتخيل أن رجلاً ما قد يتركك هنا بمفردك مع مجموعة من الرجال».

ضحكت نيكول من قوله وردت: «يمكنني تدبر أموري جيدًا».

لم يكن لدى ليو أدنى شك في صحة كلامها.

لكن تيري لم يستطع منع نفسه من التعليق: «هل يمكنك ذلك حقًا؟».

خطت نيكول خطوة إلى الأمام، وهي تنظر إليه قائلة: «إننا نعتني بالسياح منذ ما يقرب من عقد من الزمان. وهناك عدد قليل من رعاة البقر الذين يستخدمون هذا المعسكر عندما يحتاجون إلى ذلك، ولدينا رجل يترك الإمدادات المطلوبة على طول الطريق. لكنك لن ترى هؤلاء الرجال، ولن تحتاج إليهم». توقفت وأخذت تحديق إليه بهدوء وأردفت: «أهناك مشكلة بالنسبة إليك؟ يمكنني الاتصال بشخص ما ليأتي ويصطحبك قبل أن نغادر غدًا».

ضحك تيري؛ لكنه تراجع خطوة إلى الوراء قائلاً: «حسنًا، لا مشكلة على الإطلاق».

حدقت إليه مدة أطول، وابتسمت بمكر قائلة: «حسنًا، سوف تلتقي بالمديرة في الصباح، أود أن تطرح عليها تلك الأسئلة هي أيضًا».

أعطت كل واحد منهم مجموعة من الورق المطبوع، وعبر الوميض المتقطع للنار أدرك ليو أن هذه قائمة بالقواعد المشبوكة بدبوس مع مخطط مختصر لمسار الرحلة. إن كل ذلك كان عليهم أن يتصفحوه غدًا. وفيما يتعلق بالوقت الحالي كان عليهم أن ينتبهوا إلى رقم الخيمة المدون في الجزء العلوي من الصفحة الأولى تحيطه دائرة حمراء. طلبت منهم نيكول أن يأووا إلى الفراش، وسيقدّم إليهم الفطور في الساعة السابعة بالضبط. قالت وهي تغمز: «احصلوا على قسط وافر من الراحة، فسوف تحتاجون إليها».

تحرك ليو ليتبع المجموعة، وفجأة تشتت انتباهه عندما رأى وجهًا ما بين أسنة اللهب - أو ربما سرابًا ظهر في ضوء القمر - يخرج من سقيفة الخيل الصغيرة. أثارت رؤية الشعر المسترسل الناعم ذكرى بعيدة لتساقط أوراق الخريف على ضفة النهر. لقد كانت ذكرى ضبابية غير واضحة، أو ربما كان يحلم بالفعل. هز رأسه، ودلف إلى خيمته، ثم هوى على كيس النوم. لم يخلع ولو حذاءه. وتبخرت الصورة من رأسه تمامًا قبل أن يتمكن من التحقق منها، وبعد دقائق عدة غرق في النوم.

الفصل الرابع

بالنسبة إلى ليلي، كان النوم حتى ساعة متأخرة من النهار أمرًا لم تعتده. وبالطبع لم تكن هناك عطلات. لكن على سبيل التغيير فقط، كان يجري تحديد أيام عمل خاصة يُسمح فيها بارتداء الجينز النظيف – وليس ذلك المتسخ إثر العمل – على مائدة العشاء - حتى إنها وهي طفلة صغيرة، كانت تستيقظ مع شروق الشمس. ففي الصيف، كان يجب توزيع العلف وملء الأحواض بالمياه، وإعداد الوجبات، والاعتناء بالضيوف. وفي الشتاء، تتغير تفاصيل العمل؛ لكن على أي حال، تأتي الخيول دائمًا في المرتبة الأولى، ويليهما البشر في المرتبة الثانية. أما بالنسبة إلى الاهتمام بنفسها فقد كان يأتي في ذيل القائمة.

بينما كان جميع من في المخيم نائمين، خرجت ليلي من خيمتها في الوقت المناسب لترى أول بصيص من الضوء في السماء، وكانت تحب الموقع الذي أقيم فيه المخيم السياحي الرئيسي. وعلى حافة وادي هورس شو يشعر السائح بأنه بعيد بما يكفي، كأنه اقترب من الحياة البرية؛ لكنه مع ذلك يظل قريبًا من المدينة إذا شعر بالعزلة وقرر العودة من الرحلة. لا شك أن المكان جميل للغاية، ويبدو أن سكان المدينة كانوا يرسمون صورة ذهنية عن الصحراء بوصفها أرضًا قاحلة وحارقة، غير أن المكان كان بديعًا ونابطًا بالحياة كأنه حديقة مبهجة، فالجدران الصخرية مزينة بالنقوش، وقد نمت بجوارها غابات من أشجار الحور القطنية التي امتدت جذورها لتصل إلى قاع الوادي الرملي، ذلك الوادي الذي تدفق عبره جدول صغير متعرج. وهناك أيضًا مجموعات من نباتات الأشنة المتشبثة بالحجر الرملي في تكتلات تتراوح ألوانها بين الأحمر الفاتح، والبرتقالي، والأصفر، والأخضر. فيما قاومت شتلات الصبار الجفاف، وشقت طريقها عبر التربة اليابسة. وتناثرت الأزهار البرية هنا وهناك، وغطت الحشائش الدروب. وعبق الهواء برائحة العرعر القوية.

كان صباحًا باردًا ورطبًا إثر تساقط أمطار الربيع الخفيفة أثناء الليل. وتلك انفراجة محببة بعد موجة من ارتفاع الحرارة في الأيام القليلة الماضية؛ لكن هطول الأمطار هنا كان أمرًا

مقلقًا، فالمياه تندفع عبر الأخاديد ذات الحواف العالية، ومن ثم تتدفق نحو الأسفل؛ لذلك لم تكن الخطورة تكمن في العواصف؛ ولكن في الأمطار المتساقطة على بعد أميال وهي تنهمر على المرتفعات. كانت ليلي تحاول تدريب الناس على قراءة العلامات الواضحة للفيضانات، والانتباه أيضًا إلى الإشارات البسيطة: على سبيل المثال، عندما تمتلئ التيارات المائية بالعيدان والأغصان فجأة، أو عندما يعكر الطين المياه الصافية للجداول. لكن لم يهطل الكثير من الأمطار الليلة الماضية، فأني هطول للمطر يعني مزيدًا من الطين واحتمالية إخماد النيران؛ ما يعني بدوره تعذر طهو الطعام. وكما هو معلوم لأي مرشد سياحي، قد يتغاضى السائحون عن صلابة الفراش وتسببه في ألم جسدي لهم؛ لكنهم لن يتحملوا الجوع. لقد اعتاد والد ليلي قول ذلك عن عمله في مزرعة الخيل الترفيهية: «عليك أن تتأكد من شعورهم بالشبع، وحاول أن تبقوهم متعبين» - وقد كانت رؤيته صحيحة عند تطبيقها هناك، وتطبيقها هنا يوحى بالكثير من الحكمة.

أوقدت ليلي النار مرة أخرى، وأخذت تراقب بريق الفحم قبل أن تشتعل فيه النيران. وعندما رأت أعمدة الدخان تتصاعد إلى أعلى، قامت بغلي الماء، وأعدت القهوة.

امتلكت ليلي ثمانية خيول، وكان لكل منها خصاله الفريدة وطباعه الخاصة، ما سهل عملية تحديد الخيول المناسبة للرجال ذوي المهارات المتفاوتة. وكانت تتأكد بنفسها من أن الخيول نالت كفايتها من الطعام، وتفحصها جيدًا، وتنظيف حوافرها، فقد كان كل حصان منها أكثر تديلاً من ليلي نفسها.

كانت بوني فرسًا كستنائية اللون تبلغ من العمر عشر سنوات، وبالإضافة إلى ذلك كانت مثالاً للفرس المفعمة بالنشاط. كما كانت تستسلم لتمشيط شعر ذيلها بينما تنبش الأرض بحوافرها في انزعاج متشوقة للعدو. كانت الطبيعة قاسية؛ لكن تلك الخيول اعتادت لها، مفضلة السير بوتيرة أبطأ عبر التضاريس المتنوعة، والطعام اللذيذ الذي تحصل عليه عند قضاء يوم هادئ على الدرب المؤدي إلى المراعي حيث يقع كوخ ليلي. استخدمت بعض الجماعات سيارات الدفع الرباعي للتحرك عبر طريق أوت لو تريل بحيث يمكنهم عبوره؛

ولكن معظم الخرائط التي رسمها ديوك وايلدر كانت لطرق يمكن اجتيازها فقط سيرًا على الأقدام، أو فوق ظهور الخيل. اعتاد ديوك أن يقول: «إذا كان ذلك مناسبًا بما يكفي للخارجين على القانون، فهو مناسب تمامًا بالنسبة إليّ».

كان والد ليلي مهووسًا بتلك الأخاديد، وقد أمضى سنوات يطارد الأساطير والخرافات نفسها التي أصبحت ابنته تستغلها الآن لأخذ مجموعات الزائرين في جولات سياحية ورحلات للبحث عن كنوز مزعومة. وعلى عكس ديوك، كان المحاربون الطموحون الذين لجأوا إلى خدمات شركة ليلي السياحية يعودون إلى منازلهم في نهاية الرحلة، وإلى وظائفهم وعائلاتهم والواقع. أما ديوك، فكان يرجع بجسده، ويعبر باب المنزل في نهاية كل عملية تنقيب؛ لكن روحه لم تكن بأية حال مع عائلته، فقد ظل يحلم طوال حياته بالعثور على الكنز المدفون منذ سنوات طويلة - وتسبب هذا الحلم في إهماله زوجته، وصحته، ومزرعة العائلة.

سُمع وقع خطوات تسير عبر الشجيرات الكثيفة، فصهلت بوني برقة عند اقتراب نيكول ومداعبتها إياها ولمسها أنفها الناعم قائلة: «هل بوني المشاكسة جاهزة للذهاب؟».

وأردفت قائلة: «هناك من تعرف أنها ستحصل على وجبة من النعناع في نهاية اليوم».

جاءت نيكول إلى يوتا من مونتانا بحثًا عن وظيفة بعيدًا عن أنانية عائلتها ولؤمها، وللهرب من خطيب أكثر لؤمًا. التقت بها ليلي بينما كانت تعمل نادلة في مقهى أرشي؛ كانت نيكول تعمل في مطبخ صغير، وتنظف الأطباق، وتعد بعض الطعام الدسم السريع للمقهى. كانت تنام في شاحنتها في ذلك الوقت، وحينها اصطحبت ليلي إلى منزلها، ومنحتها مكانًا لتقيم فيه. كانتا محطمتين ووحيدتين تمامًا، وسرعان ما ربطت بينهما تلك الصداقة التي تربط بين امرأتين سئمت كل منهما تقلبات الأيام وحياتها التي أفسدها تهور الرجال وقراراتهم السيئة.

عندما رشح أرشي ليلي دليلاً لطاقم يستكشف مواقع تصوير الأفلام في موآب، لم يكن هناك أي شخص محل ثقة ليرافقها غير نيكول. تلك الرحلة الأولى تبعتها رحلة أخرى، وعندما كان يسأل أحدهم عن تاريخ المنطقة والأساطير المنسوجة حولها، وعن استخدام بوتش كاسيدي وعصابته تلك الدروب للهروب من العدالة وإخفاء المسروقات، وعما إذا كانت لا تزال هناك، كانت تشعر بأن شبح ديوك عاد من جديد ليطاردها. كما كانت تتذكر على الفور دفتر يومياته الملعون المليء بالملاحظات، والأحاجي العشوائية، والقصص، والخرائط. ذلك الدفتر كان واحدًا من الأشياء القليلة القيّمة التي يمتلكها، وقد أدركت بسببه أن شيئًا جيدًا من الضروري أن يحدث نتيجة نشأتها في كنف ديوك وإيلدر. فمن كان يعلم أن الكثيرين يريدون أن يلعبوا دور رعاة البقر؟

وها هي الآن تعمل في هذا المجال منذ سبع سنوات، وهي فترة طويلة للقيام بشيء بدافع الضرورة دون أي رغبة في البدء فيه. كان المال الذي حصلت عليه من هذا العمل كافيًا للتوقف عن عملها نادلة في الفترة من مايو إلى سبتمبر، وإعادة شراء بعض الخيول التي اضطرت إلى بيعها في الماضي، ودفع راتب نيكول؛ لكنها بذلت جهدًا كبيرًا بلا فائدة تُذكر، فقد كانت شاحنة ليلي والمقطورة الخاصة بالخيول قديمة، ولم تعد بوني صغيرة في السن، ولا هي أيضًا. لقد أحببت تلك الطبيعة البرية؛ لكنها أرادت منزلًا حقيقيًا، وأطفالًا، وقطعة أرض تعدو فيها الخيول. أرادت أن تستقر؛ ولكن ذلك لم يكن سهلًا في الصحراء. سألت ليلي: «كيف حال المجموعة الجديدة؟».

التقطت نيكول دلًا وملاّته بعلف حرصت على أن يكون خاليًا من الأعشاب الضارة. وعندئذ، ركض حصان أشهب عند سماعه صوتها (سنوبي). كان يهرول بسعادة تجاههما بين الأوساخ، ويميل برأسه إلخلف وهو يهز رقبتة. قد تكون عبارة «الخيول مثل أصحابها» مبتذلة؛ لكنها صحيحة، فإذا أغضب أحدهم سنوبي أو نيكول، فدون تفكير سيتلقى ضربة قوية على رأسه بأقرب فرع شجرة.

تجاهلت نيكول مداعبات سنوبي لها وهو يمزغ طرف قميصها قبل أن يدفن رأسه في دلو العلف، وقالت: «ما من فرق بينها وبين أي مجموعة أخرى أتت إلى هنا، أحدهم فظ بعض الشيء، والآخر ممل، فضلًا عن شخص غريب الأطوار، و...».

توقفت ليلي عن تمشييط بوني وهي تمسك المشط بيدها، وقالت: «غريب الأطوار؟ هل تسبب في أي مشكلة؟». كان بوسعها هي ونيكول تدبر أمرهما لكن إلى حد معين، ومن ثم تخشى من أنهم بمجرد أن يخرجوا على الطريق ستصبحان حقًا بمفردهما مع هؤلاء، ولن يمكنهما طلب المساعدة.

أخذت نيكول حفنة من الشعير، وقدمتها إلى بوني، ونظرت إلى صديقتها قائلة: «هو فقط شخص مزعج. هناك أيضًا شخص آخر هادئ، وهو بالفعل يبدو لطيفًا».

رفعت ليلي حاجبًا؛ ما جعل نيكول تضحك قائلة: «أفضل الشخصيات الرزينة من حين إلى آخر؛ لكنه بدا لي وديعًا أكثر من اللازم؛ حيث قضى معظم الرحلة وهو يحدق إلى السماء عبر النافذة».

مر شريط الذكريات أمام ليلي، ولم تتمكن من إيقافه: عن فتى المدينة الوسيم، المتعرق، والمتيم بحبها، وكومة من القش بجوارها، والنجوم تظهر جلية من خلال صدع في سقف الإسطبل القديم. وهمسات ليو لها كي لا تحدث صوتًا عاليًا. تذكرت هذا المشهد، وقالت: «الهدوء لا يعني بالضرورة الرزانة».

نظرت نيكول بدهشة، وقالت: «أهناك قصة لم أسمعها من قبل؟».

ردت ليلي وهي تقذف بمشط بوني في صندوق أدوات الفرس: «بلى، لقد سمعتها من قبل».

ضغطت نيكول على شفيتها بإصبعها؛ لأن التراب كان يغطي كلتا يديها، وسألت: «أي منهم كان هادئًا وغير رزين؟».

أجابتها ليلي: «لا شيء مما تفكرين فيه».

رفعت نيكول يدها وقالت: «المحاسب من كيبك؟ انتظري، لا، هل هو المهندس المعماري من ولاية أوريجون؟».

هزت ليلي رأسها بالنفي، وهي تحاول دفع تتابع تلك الصور في ذهنها، وقالت: «لقد أشرقت الشمس، ولدينا فطور لنعدده».

تمهلت نيكول، ثم أدركت أخيرًا: «هل تقصدين ذلك الشخص».

«نعم».

مع توقف المحادثة مؤقتًا، تحركت كلتاهما في صمت نحو نار الطهو. كانت معظم الطيور لا تزال ساكنة، ربما لشعورها بالبرودة أكثر من الجوع مع بزوغ الفجر، ومع ذلك في تلك الأثناء، صدح طائر نممة الوادي بأغانيه في الفضاء.

سكبت كل واحدة منهما بعض القهوة لنفسها، وأصلحتا هندامهما مرة أخرى، وبدأتا إعداد الفطور، وكانتا على يقين بأن رائحة اللحم المقدد كافية لإيقاظ أفراد المعسكر النائمين في خيامهم، حتى إن لم تكن كافية لإغواء الشمس الخجول بالظهور من بين قمم الجبال.

سألت نيكول، في محاولة منها لتغيير مجرى الحديث: «إنن، ما خططك للمستقبل إذا أوقفنا عملنا هذا؟». ولكن لم يكن سؤالها بالضرورة في الاتجاه الذي تفضله ليلي، التي كانت تعلم جيدًا أن قلة المال وما يخفيه المستقبل من احتمالات يمثلان أمرًا يؤرق نيكول بشدة، وبصراحة كان ذلك يستحوذ على تفكير ليلي أيضًا.

ردت ليلي: «لا أعرف بعد؛ ولكن يمكننا دائمًا العمل مع أرشي حتى نقرر ماذا سنفعل».

أحدث قطع الزبد صوت طشيش عالٍ عند ملامستها المقلاة الساخنة.

سألت نيكول: «ماذا عن مسابقات رعاة البقر؟ لقد اعتدت جني الكثير من المال عند مشاركتي في سباقات البراميل في المزرعة، أكثر كثيرًا مما كنت أحصل عليه مقابل عملي مدة أسبوع في مقهى أرشي. ويمكنني الاشتراك، على سبيل التجربة، ما رأيك؟».

قالت ليلي بنبرة حزينة: «لا أعرف ما إذا كان سنوبي قادرًا على القيام بذلك الآن؛ لكنني ممتنة لتفكيرك في الأمر».

تذمرت نيكول، وأخذت تفرغ غضبها بالانهماك في إعداد البطاطس الموجودة أمامها، وقالت: «هذا هو السبب في أن الناس في الأفلام يقومون بفعل أشياء غبية من أجل المال. ربما كان كاسيدي على حق، وعلينا فقط أن نسرق بنجًا».

ذكرتها ليلي قائلة: «لم ينجح الأمر معه».

ردت نيكول: «لأنه لم يكن امرأة، فالرجال أغبياء كما تعلمين».

ضحكت ليلي وهي تضع حفنة من البصل المفروم في المقلاة الساخنة المصنوعة من الحديد الزهر، وقالت: «سوف نتدبر أمرنا حتى لو اضطررنا إلى أن نعمل نادلات، ونحتال على كل من يطمح إلى أن يصبح راعي بقر، فليس لكل منا سوى رفيقتها، أتذكرين ذلك؟». أومأت نيكول برأسها، فأردفت ليلي قائلة: «دعينا فقط ننته من مهام هذا الأسبوع، وستحين ساعة الانطلاق».

علا حفيف قماش الخيمة على صوت دندنة نيكول وهي تعمل أمام موقد المخيم. أما ليلي فما إن رفعت بصرها حتى وقع نظرها على رجل بدا لها عابرًا للزمن.

وخرجت أنفاسها بصعوبة.

كانت ليلي تعرف الكثير عن السراب في الصحراء؛ عندما ينحني الضوء وينكسر ويتحرك عبر الهواء الدافئ جاعلاً العين ترى أشياء غير موجودة. لقد رأت هذا السراب من قبل؛

لذلك استغرق الأمر منها بعض الوقت لتفهم الموقف، وتدرك أن تلك المرة كانت مختلفة، إذ لم تكن خدعة ضوئية، أو هوائية، أو أمنيات وهمية كذلك.

تلك المرة، كان فتى المدينة المتيم يسير نحوها بالفعل.

الفصل الخامس

في الحال، فرت هاربة.

ومن دون إبداء أي تفسير، رمت ليلي الملعقة الخشبية على المنضدة، وأخذت تعدو سريعاً إلى حيث كانت بوني ترعى في كسل. واختبأت وراء الفرس، لتحجب نفسها عن الأنظار، وهي تريح ساعدها على خاصرة فرسها الملساء، وتحاول جاهدة السيطرة على ضربات قلبها المتسارعة.

يا إلهي ما هذا؟

ليو جرادي هنا.

ليو - الرجل الذي جعلها تؤمن بالسعادة الأبدية، ثم اختفى فجأة دون أن ينبس ببنت شفة - هل هو هنا حقاً؟

اختلست النظر من وراء ظهر بوني لتتأكد، وهي تشعر بثقل في صدرها يصعب عليها التنفس. لقد كان هو بلا شك.

بدا طويلاً ونحيلاً، بينما كانت ياقة سترته الصوفية ماركة «نورث فيس» تظهر عنقه عسلي اللون. كانت تستطيع تمييز ذلك العنق في أي مكان؛ تلك الوقفة وطريقة مشيه بخطواته الواسعة ولو من بعد كيلو متر. وعلى الفور تكونت الصورة الكاملة لمامحه في ذاكرتها تلقائياً. أغمضت عينيها محاولة دفع طوفان آخر من بقايا تلك الذكريات بعيداً. لقد استغرقت محاولة نسيانها إياه سنوات عديدة؛ لكن شجرة الذكريات ظلت حية تآبي الموت، وها هي ذكرياتها معه عاودت الظهور فجأة مثل فيضان جارف.

تمنت أن تختفي من على وجه الأرض، أو تغادر تاركة المكان بشاحنتها، غير أنها لم تكن لتترك نيكول بمفردها. وبنظرة سريعة على سروالها الجينز المغبر رأت مدى اهترائه. كما أن قميصها القطني الأزرق كان باهت اللون، فضلاً عن وجود بقعة المبيض الكبيرة على أحد كميته. على الفور أدركت ليلي أنها رثة الهيئة، وكانت خصلات شعرها مضفرة في تسريحة عملية غير أنيقة على الإطلاق. وبالإضافة لذلك، كانت تضع قدرًا كبيرًا من واقي الشمس أكثر مما كانت تضع من مساحيق التجميل. بدت أصغر من عمرها الحقيقي؛ لكن لم يكن هذا حقًا ما قصده معظم الناس عندما كانوا يقولون ذلك، ولو أن لمحتها السريعة ل ليو قد نبأتها بشيء - أنه قد أصبح رجلًا مكتمل الرجولة، بينما كانت تبدو امرأة فقيرة وبسيطة، تمامًا مثل الفتاة التي تركها وراءه منذ سنوات مضت - هذا إن تذكرها أصلًا.

ففي صباح واحد انمحي أثر خمسة أشهر قضاها معها. إذ في لحظة ما كانا يجلسان بجوار النهر ينظر أحدهما إلى الآخر بحب وشوق، وفي اللحظة التالية دخلا المنزل، وأخذا يحدقان إلى جهاز الرد الآلي القديم الموجود في المزرعة، ووميض المؤشر الأحمر الذي يعرض الرقم 29، وهو عدد المكالمات غير المردود عليها.

فجأة انقلبت أحداث اليوم رأسًا على عقب: كانت والدته قد تعرضت لحادث. أفادت الرسائل بأنها ستكون بخير؛ لكنها كانت في المستشفى، وكان ليو مضطرًا إلى العودة إلى المنزل، فاندفع إلى غرفة نومه، ثم بدأ يلقي بمتعلقاته في حقيبة سفره. تمكن من حزم نصف أغراضه قبل أن يحين وقت رحيله، ووعدا بأنه سيعود.

كانت آخر كلماتها لها ذلك الصباح: «سأتصل بك عندما أصل».

لكنه لم يفعل.

مع وجود والدته في المستشفى، افترضت أنه بلا شك مشغول، وكانت شقيقته كورا - التي تصغره بعشر سنوات - في الثانية عشرة فقط من عمرها آنذاك؛ وكانت والدته تعمل في وظيفة مرموقة تُحتم عليها تولى العديد من المسؤوليات؛ لكن عندما اتصلت ليلي به بعد

ثلاثة أيام، لم يكن هناك أي أثر للرجل العاشق لطيف الحديث الذي تعرفه. وبدلاً من ذلك، كان فظاً معها بشكل مفاجئ للمرة الأولى، حيث قال: «لا يمكنني التحدث الآن. سوف أتصل بك لاحقاً».

كانت تلك آخر مرة سمعت فيها صوته.

وبعد عملية بحث بائسة في وقت متأخر من الليل على محرك البحث جوجل، قبل بضع سنوات علمت أن ليو جراي تخرج في جامعة نيويورك العام التالي. وأنه عيّن سريعاً في شركة تقنية صغيرة في مقاطعة كوينز، ثم في شركة أكبر في مانهاتن. لم يكن لديه حساب على فيسبوك أو إنستجرام. ولم يكن لديه كذلك صورة شخصية على صفحة حسابه الشخصية في الشركة. وبناء عليه لم تعرف ما إذا كان قد تزوج وأنجب أم لا. لم تدر ليلى أتفرح بفكرة أنه من المستحيل تعقبه على شبكة الإنترنت، أم تشعر بالاستياء.

والآن، عندما اختفى شبح ماضيها داخل المنزل الخشبي الصغير في المخيم، ركضت عائداً إلى حيث كانت نيكول تكمل إعداد وجبة البطاطس.

سألت نيكول: «ماذا كان ذلك؟ هل تعرضت للعض؟».

أجابت ليلى بغموض: «نعم. عضني قارض كبير... بالمناسبة، هل تريدان القيام بالإرشاد السياحي هذا الصباح؟».

تجهمت نيكول في حيرة، ثم نظرت إلى ليلى من تحت حافة قبعتها، قد كانت نيكول دائماً تقوم بقيادة سيارة السياح. بينما كانت ليلى تهتم بالإرشاد السياحي، ولم يسبق لهما أن تبادلتا الأدوار.

ملأت نيكول مغرفة كبيرة من البطاطس المقرمشة والبصل ووضعتها في صينية من الألومنيوم وقالت: «تعرفين أنني أفضل وضع وجهي فوراً في تلك المقلاة الساخنة على القيام بالإرشاد السياحي».

تنهدت ليلي وهي تمد يدها إلى لوحة الكتابة، إحدى مهام نيكول الأخرى كانت توزيع الخيول على السائحين؛ بناءً على المعلومات التي قدموها عن الطول، والوزن، وخبرتهم في ركوب الخيل. ولسوء الحظ، كانتا تقومان بهذا العمل منذ فترة طويلة، للدرجة التي جعلت ليلي نادرًا ما تنظر إلى أسماء السائحين والخيول المخصصة لكل واحد منهم إلى أن تجتمع بهم حول مائدة الفطور لبدء الإرشاد السياحي. نظرت الآن إلى ورقة الأسماء.

الفارس: برادلي دانيلز الحصان: بولوينكل

الفارس: والتر جيب الحصان: ديناميت

الفارس: ليو جرادي الحصان: آيس

الفارس: تيرينس تروتل الحصان: كاليبسو

قالت ليلي وهي تحاول أن تبدو هادئة: «حسنًا، يا إلهي».

ربما كان ذلك العنق، أو هاتان الكتفان لشخص آخر، ربما يكون ليو جرادي آخر. بتوتر وعصبية شديدة، أخذت تتصفح المجلد الذي يضم استمارات السائحين. وفي الصفحة الثانية تجمدت يدها في الهواء؛ بينما سقطت استمارة لرجل يدعى برادلي مع صورته المشبوكة فيها على الأرض، وظلت تحديق إلى وجه الرجل الذي كانت تعرفه في الماضي.

أغمضت عينيها وهي تتلقى الصدمة الأخيرة، وحاولت جاهدة البحث عن طريقة للخروج من هذا المأزق: هل يمكنهما إلغاء تلك الرحلة، أو التنويه بعاصفة مقبلة؟ وهل يمكنهما ادعاء أن أحد الخيول أصابه العرج؟ هل يمكنها التظاهر بالمرض؟

يمكنهما ذلك... ولكن منذ فترة طويلة تعلمت ليلي درسًا مهمًا ألا وهو أن تزييف الحقائق يُعد مضيعة لوقت الجميع.

شعرت برغبة ملحة في معرفة شكله الآن، وبينما كانت تحقق إلى الصورة، تساءلت عن سبب وجوده هنا. كانت شركتها تسمى «وايلدر أدفنتشرز»؛ ما يعني أنها لم تحاول التخفي وتغيير هويتها.

نظرت ليلي إلى نيكول وقالت: «هل تتذكرين ما قلته سابقًا عن السائحين؟ قلت إن أحدهم كان فظًا بعض الشيء، والآخر ممل، والثالث غريب الأطوار و...؟».

نظرت نيكول إلى الجانب الآخر، وفكرت قائلة: «هاديء؟».

الهاديء - هل وصفته نيكول وصفًا آخر؟ هل قالت إنه لطيف؟ نظرت ليلي إلى صورته مرة أخرى. فيما مضى، كان ليو البالغ من العمر اثنين وعشرين عامًا لطيفًا، وخجولًا، وودودًا، ودائمًا ما يبدو غارقًا في التفكير. ولكن ليو الذي رأته اليوم - لا بد أنه يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عامًا - كان يبدو محطمًا. وفي تلك الصورة بدا كأنه يقف في شرفة بمكان ما، ممسكًا بمشروبه وهو يضحك للمصور. كان شعره لا يزال على حاله كما تذكره، داكنًا وناعمًا، ودائمًا ما يبدو متشابكًا في الصباح، وينسدل إلبالأمام من تلقاء نفسه. كان يتمتع بعينين داكنتين لامعتين؛ لكن وجهه فقد نضارة الشباب، وقست ملامحه، وأصبحت أكثر دقة ورجولة على مدار السنوات الأخيرة التي افترقا فيها. كما أن عظام وجنتيه قد برزت، وفكه بدا أكثر حدة. أما عنقه فظل طويلًا كما تتذكره دائمًا.

يا إلهي.

انحنت نيكول، واختلست النظر من فوق كتف ليلي لترى سبب ذهولها؛ ولكن ليلي أغلقت المجلد، وألقت به على الطاولة. وبقوة، التقطت كتلة اللحم المقدد وبدأت تقطيعها إلى

شرائح سميكة، ووضعها في مقلاة ساخنة، وظلت تستمع إلى صوت أزيزها الباعث على الشعور بالرضا.

سألته نيكول: «هل أنت بخير؟».

وعلى الرغم من أن العكس كان صحيحًا قالت لها: «نعم، أنا بخير».

بدأ أفراد المجموعة في الظهور واحدًا تلو الآخر، وأخذوا يتمطون أثناء خروجهم من خيامهم، وتوقفوا لمشاهدة المنظر العام الذي لم يتمكنوا من رؤيته وقت وصولهم.

قال ليو: «يا رفاق، يا له من منظر رائع هنا».

وبالقرب من نار المخيم، وصل صوت ليو إلى ليلي، فأصابتها قشعريرة لامست كل شبر من جسدها.

سوف يراها، بالطبع سوف يراها، ويجب عليها معرفة كيف ستتصرف، وبشكل عام كانت ليلي وايلدر امرأة حازمة، وتأخذ الأمور على محمل الجد، بما في ذلك البقاء بعيدًا عن أي تورط عاطفي. لكن ليو سيظل حاضرًا في محيطها طوال الأسبوع المقبل، ولم تكن تدري كيف ستتعامل مع هذا الوضع.

لذلك أبقت رأسها منخفضًا، مختبئة خلف حافة قبعة رعاة البقر التي ترتديها، وهي تحمل صواني البطاطس، والبيض، واللحم المقدد التي يتصاعد منها البخار إلى طاولة التنزه الخشبية في وسط المخيم. قرعت نيكول الجرس معلنة الانتهاء من إعداد الطعام، وعلى الفور سُمع وقع الأقدام الناعسة وهي تتحرك وسط الأوساخ الجافة. وعندما تردد صدى ضحكة قوية خلفها، توترت أعصابها. كان بمقدور ليلي أن تميز بمنتهى السهولة صوت الأفعى المجلجلة وهي تزحف عبر الشجيرات الهشة في المزرعة، والنعيق الخشن لغراب عابر، وخرير المياه في الربيع، والضوضاء التي تصنعها بوني عندما يعتريها التعب مثلما حدث اليوم؛ لذلك استطاعت أيضًا - بعد كل ذلك الوقت كذلك - تمييز النبرات العميقة

لصوت ليو جرادي في الصباح، والطريقة التي تزداد بها حدة هذه النبرات تدريجيًا، بالضبط مثلما تتحول قطع من الصخور إلى حبات من الحصى، ثم إلى مجموعة من الحجر الأملس المصقول.

أخذت نفسًا عميقًا، وجمعت شتات نفسها قبل أن تلتفت لمواجهة الرجال المصطفين لتناول الفطور قائلة: «صباح الخير جميعًا».

لم يتحتم عليها النظر إليه مباشرة لتلحظ مدى تحديقه إليها.

أخذ نفسًا عميقًا وهو مذهول، واستخدمت هي كل ما لديها من مهارة في إظهار الالمبالاة وعدم الانتباه وهي تقول: «تفضلوا واملأوا أطباقكم. وبمجرد أن تستقروا، سنستعرض خطة اللعبة». حاولت الابتسام بشكل طبيعي قدر الإمكان وهي تضبط وضع المقلاة، وترتب مجموعة من الشوك، ثم أردفت قائلة: «لدينا الكثير لنقوم به، كما أن الطعام أكثر من كافٍ للجميع».

احتشد ثلاثة رجال حول طاولة الطعام، وبصوت مرتفع تبادلوا أطراف الحديث عن المأكولات والمناظر الطبيعية؛ لكن ليو لم يشاركهم حديثهم. وفي هذه اللحظة لم تكن ليلي تعرف ما إذا كان قد تحرك من مكانه أم لا. وبعد عدة ثوانٍ، استفاق من شروده، وعثر على بقعة في الطرف البعيد من طاولة التنزه، وجلس ببطء على المقعد. لم يحاول كذلك تناول الطعام؛ بل اكتفى بالجلوس بينما كان يخفض قبعة البيسبول التي يرتديها ليخفي عينيه وهو يحدق إلى الغابة.

يا إلهي، هذا الموقف لا يُحتمل، كانت دقائق قلب ليلي تتسارع بقوة.

قالت: «لقد قابلتم نيكول الليلة الماضية». هكذا حاولت أن تستعيد رباطة جأشها، وهي تتلفظ ببطء بالكلمات التي رددتها من قبل ما لا يقل عن مائة مرة. لوح نيكول بيدها من

بعيد وهي تسكب لنفسها فنجائًا من القهوة، وشعرت ليلي بسعادة لرؤية الجميع وقد اعتدلوا في جلستهم انتباهًا لحديثها.

استطردت ليلي قائلة: «أنا ليلي وايلدر مديرة نيكول. مرحبًا بكم في وايلدر أدفنتشرز، أتمنى أن تكونوا جميعًا متحمسين لتناول بعض الطعام الجيد، وامتناء الخيول الرائعة، في مغامرة فريدة من نوعها، في أحد أجمل الأماكن التي يمكنكم رؤيتها».

افترضت ليلي أن السائح الذي وصفته نيكول بـ «فظ بعض الشيء» هو الرجل الرياضي ذو البشرة البيضاء، التي بها بعض الاسمرار بسبب الشمس، وتصيفة الشعر المدرسية، والأسنان الرائعة. فقد ضرب بيده المنضدة بقوة مبعثرًا أدوات المائدة وهو يقول: «هيا، هاتِ ما عندك».

أضفت قائلة: «أنتم هنا للقيام بجولة سياحية في أحد أكثر الوديان النائية جمالًا على الأرض. وفي أواخر القرن التاسع عشر، استخدم الخارجون على القانون مثل بوتش كاسيدي دربًا طويلًا ممتدًا عبر الغرب الأمريكي للهروب من العدالة، وعلى هذا الدرب سنستكشف مناطق جبلية وطبيعية عديدة مثل: هول إن ذا وول، وبراونز بارك، وروبرز روست، وسوف تمتطون الخيول متتبعين بعض تلك الدروب تمامًا كما فعلوا. وعلى طول الطريق سيكون لدينا بعض الألعاب الممتعة، وبعض الوجبات المنزلية، وقليل من القصص عن التاريخ والجغرافيا. وفي النهاية ستحاولون استخدام مهاراتكم الجديدة، ومعرفتكم طبيعة الأرض في العثور على الكنز المخفي».

أطلق رجل طويل ذو جسد يغطيه الوشم ضحكة ساخرة، وألقت ليلي عليه نظرة فاحصة وهو يمرر يده على شاربه الرفيع ولحيته الخفيفة. وخمنت لا بد أنه الشخص غريب الأطوار الذي أشارت إليه نيكول.

تجاهلته وواصلت حديثها: «لقد قضيت وقتًا كبيرًا من عمري وسط تلك الجبال، وأعرف كل درب، وكل علامة، وكل نبتة فيها. وما دمتم تفعلون ما نقوله لكم، أعدكم بأن تظلوا آمنين،

وأن تستمتعوا بأفضل رحلة في حياتكم. وكما هو واضح، سأكون أنا المسئولة عن إرشادكم خلال الرحلة، وعندما لا أكون في الجوار، ستحل نيكول محلي. وربما لاحظتم أننا امرأتان، فإذا كانت لديكم أي مشكلات في اتباع تعليمات امرأة، وأخذ التوجيهات منها، أو التحلي بالاحترام، فيجب أن تخبرونا بذلك الآن، إذ ما زال بإمكاننا الاتصال بشخص ما ليأتي ويصطحبكم من هنا».

وضعت نيكول سكينها الكبيرة بطريقة مضحكة على الطاولة، وابتسمت لكل منهم فترة طويلة جدًا حتى بدت كأنها مختلة بعض الشيء، ثم قالت: «هل هناك من لديه مشكلة في ذلك؟».

هز الجميع رؤوسهم، باستثناء واحد منهم، وتمتموا بأدب. والصوت الوحيد الذي اعتقدت ليلي أنها سمعته هو الهمسات الخفيفة للشاب «الممل» - صاحب العينين الخضراوين الواسعتين، وتجعيدات الشعر الداكنة الناعمة، والخدين الممتلئين الأحمرين - وهو يقول بينما يبتلع ريقه بصوت مسموع: «لا، أيتها السيدتان».

وبالنسبة إلى الرجل الذي امتنع عن هز رأسه، عقد ذراعيه فوق صدره، وانحنى مرة أخرى وهو يطلق ضحكته الساخرة.

سألته ليلي: «هل هناك مشكلة؟». كان يتمتع ببنية رياضية إلى حد ما، ويبدو في بداية الثلاثينيات من عمره، وتنم تعبيرات وجهه عن ازدرأ صريح. دائمًا ما تضم مجموعات السياح واحدًا على الأقل من هؤلاء الرجال الذين يأتون إلى هنا معتقدين أنهم يعرفون كل شيء، وكانت هي ونيكول تبدوان بالنسبة إليهم امرأتين ضعيفتين تحاولان أن تظهرتا قوتهما.

غير أنه مع نهاية الرحلة تتغير مفاهيمهم الخطأ هذه تمامًا.

قال وهو يعرض على أسنانه بينما ينظر إليها بتمعن مرة أخرى: «أنا بخير، أنا أجلس هنا محافظًا على احترامي يا عزيزتي».

صفقت ليلى بيديها، وقالت: «أنا سعيدة لسماع ذلك». وتمنت في نفسها أن يتمكنوا من تخطي الجزء التالي، وبدافع من الغريزة، نظرت إلى ليو واندهشت عندما وجدت نظراته الحزينة والمباشرة مثبتة عليها، وقد أشعل هذا التواصل البصري لهيبًا حارقًا امتد من رأسها إلى أخمصي قدميها، حتى شعرت بالحرارة تلامس رقبتها.

تَبَّأ.

عندما أشاحت بوجهها عنه، وقع بصرها على الشاب الممل، الذي كان يرتدي قميصًا برتقاليًا لامعًا مكتوب عليه بأحرف خضراء عريضة كلمة «مرحبًا».

قالت ليلى: «دعونا نتحدث قليلًا لأتعرف أكثر عليكم، ولتخبروني بمدى خبرتكم في ركوب الخيل، وما تتوقعون الخروج به من تلك الرحلة حتى نتمكن من تحقيقه، من منكم والتر؟» نظرت حولها إلى كل منهم، وقالت: «لتبدأ أنت».

رفع الشاب الممل يده، ثم تحسس زاوية فمه بمنديل ورقي، وقال: «هذا أنا، والتر جيب. لديّ القليل من الخبرة في ركوب الخيل منذ أن كنت طفلًا؛ ولكنني لم أمارس الأمر منذ فترة طويلة». تنحنح وهو يقول: «أنا من مواليد برج الجوزاء، أعزب، وأعمل وسيطًا في مجال الحفاظ على صحة الحيوانات الأليفة...».

قاطعته الرجل ذو اللحية ساخرًا: «إنه يدير مؤسسة بيتكو».

سألته ليلى: «طلبت من والتر أن يتحدث، هل تدعى والتر؟».

نظر إليها منزعجًا، وفي ارتباك قال مصححًا: «لا أنا تيري».

ردت عليه قائلة: «إذن أقترح عليك التوقف عن المقاطعة، والانتظار حتى ننادي من يدعى تيري، مفهوم؟». نظر إليها بفضاظة؛ لكنها بانزعاج عادت للتحدث مع والتر، حيث قالت: «تفضل. أخبرنا بالقليل عن هواياتك».

قال وهو يهز كتفيه: «لديّ قطعة أرض صغيرة في حديقة حي سكني، مزروع معظمها بالخس والزهور والطماطم»، ثم نظر نحو السماء مفكرًا، وأردف قائلاً: «أتناول وجبة الغداء مع ليو وشقيقته كورا أيام العطلات؛ ولكن بخلاف ذلك ليس لديّ الكثير من الأنشطة المنتظمة».

شعرت ليلي بغصة في قلبها عند ذكره حياة ليو في نيويورك؛ لكنها تجاوزت الأمر وقالت: «ما الذي تأمل في الخروج به من تلك الرحلة؟».

«حسنًا، عندما كنت طفلًا كنت أذهب للمكوث في المخيم الصيفي كل عام، وهو الأمر الذي كنت أكرهه. كنت أقضي كثيرًا من الوقت خائفًا من اليوم الذي سيقلني فيه والداي إلى المخيم، أكثر كثيرًا من الوقت الفعلي الذي أبقى فيه في المخيم. كنت طفلًا قلقًا؛ لذلك لم أركب زورقًا للتجديف، أو أتخط مضمار حواجز... أو أي شيء عدا صناعة الخزف، والتغني بأناشيد المخيم. وفي الليلة الماضية لم أرغب حقًا في أن أكون هنا؛ ولكن تأجيلي التفكير في الأمر حتى الصباح جعلني أعتقد أن تلك الرحلة قد تكون فرصة أخرى لإعادة الاستمتاع بتجربة المخيم». نظر إلى الآخرين قبل أن ينحني قليلاً وهو جالس على مقعده قائلاً: «شكرًا لكم».

أخذت نيكول نفسًا عميقًا، فقد كان لديها ضعف تجاه الشخصيات الحساسة والصادقة؛ لذا فقد حاز تعاطفها.

قالت ليلي: «تيري، الآن حان دورك».

أخذ وقته بينما كان يضع شوكته على الطاولة، ويطوي منديله في محاولة منه لجذب انتباه الآخرين، ليقول بعدها: «لقد جئت إلى هنا عدة مرات من قبل»، قال ذلك بينما كان يطوي أحد كمي قميصه العسكري المموه في محاولة بائسة لإظهار عضلات ذراعه المتواضعة نسبيًا. بعدها تابع حديثه قائلاً: «تبعًا لوجهتنا، قد يكون لديّ بعض الاقتراحات بخصوص أفضل الطرق التي يمكن اجتيازها خلال الرحلة، فأنا أدير شركة كابيلا في مدينة نيوارك».

تدخل الرجل الفظ قائلاً: «إنه يعمل في المخزن».

رد عليه تيري قائلاً: «بالإضافة إلى نشاط جانبي مزدهر خاص بي».

أضاف الرجل الفظ: «إنه يبيع أجهزة آيفون مخترقة».

أرادت ليلي تذكير الجميع بأنهم سيحصلون على فرصتهم في الحديث، ومطالبتهم بالكف عن المقاطعة؛ لكن تيري كان بالفعل شخصًا مزعجًا بالنسبة إليها؛ لذا لم تتدخل.

من جانبه، تجاهل تيري تلك المقاطعات، ومال في جلسته إلى الورا معتمدًا أنهم جميعًا مفتونون بحديثه، فاستطرد قائلاً: «أنا أعتبر نفسي بشكل عام مغامرًا وصيادًا. لا يروقني البقاء كثيرًا في المنزل، وأرفض أي هراء يظهر في مجتمعنا الذي سيطرت عليه في الآونة الأخيرة أفكار مخالفة للفطرة. كما أنني أعرف معنى أن يكون المرء رجلًا حقيقيًا».

لا إرادياً، ضمت ليلي قبضتها بغضب.

قالت نيكول معبرة عن أفكار ليلي ودون أي محاولة منها لخفض صوتها: «حتى الآن أرى أنه الشخص الأقل تفضيلاً بالنسبة إليّ». وفي هذه الأثناء وقفت قطعة من اللحم المقدد بحلق ليو ولم يقدر على بلعها.

وجَّهت ليلي إليها نظرة تحذيرية، بينما استمر تيري في حديثه قائلاً: «لقد حضرت دورة عن الحياة البدائية مدتها أربعة عشر يومًا في بولدر، وجدفت مئات الأميال في نهر كولورادو، وقفزت بالحبال من فوق جسر بلوكرانز في جنوب أفريقيا».

سألت ليلي غير مصدقة: «هل فعلتم كل ذلك معًا؟».

جفل الرجل الفظ منتبهًا: «هل تمزحين؟ بالطبع لا».

أوضح تيري الأمر قائلاً: «لا، هؤلاء الجبناء لن يكون بمقدورهم الوصول حتى إلى موقف السيارات. لقد نظمت تلك الرحلات مع شباب في شركة كاييلا».

تمتم والتر: «تيري لا يأتي عادة في تلك الرحلات».

متجاهلاً إياه، نظر تيري إلى ليلي قائلاً: «آسف، هل مسموح لي بقول جبناء أيتها المديرية؟».

ردت ليلي: «ماذا تعتقد؟».

لم تخف على ليلي الحالة التي كان عليها الرجال الثلاثة الآخرون الذين كانوا يودون لو تنشق الأرض وتبتلعهم.

ضحك تيري ساخرًا وقال: «كيف لي أن أعرف ما تحبه الفتيات؟».

أطلق الرجل الفظ ضحكة عالية. وحدقت ليلي إلى تيري متساءلة عما إذا كان هناك ما هو أكثر إحراجًا. لم يبدُ أن ليو سمع ذلك؛ ولكنها استطاعت أن تراه بطرف عينها وهو يرفع يديه ويضعها على وجهه. رمقت تيري بجديّة قائلة: «هل تنوي افتعال المشكلات؟».

ابتسم في وجهها وقال: «لم أقصد الإساءة».

ردت قائلة: «يسعدني سماع ذلك»، ثم التفتت إلى الرجل الفظ وقالت: «وأنت أيها الأشقر. حان دورك».

وقف رجل يبدو في عمر الآخرين نفسه، حسن المظهر، له عينان زرقاوان وشعر أشقر مموج، وابتسم لها ابتسامة جميلة وجذابة. كان يعرف في قرارة نفسه، كما كانت تعرف هي أيضاً، أنه في عالم آخر. وفي ظروف أخرى، ربما كانت ليلي ستنجذب إليه.

رد هذا الفظ قائلاً: «أنا برادلي، وعادة لا أجيب إذا ما دعاني أحدهم «براد»، كما أنني أستاذ في علم الآثار في جامعة روتجرز». أستاذ في علم الآثار. أمر مثير للاهتمام حقاً، لقد التقت ليلي بالكثيرين منهم في السابق مع ديوك؛ لكن برادلي بدا مختلفاً عن هؤلاء. فبدلاً من ارتدائه ملابس بالية ماركة «نورث فيس» أو «باتاجونيا» من رأسه إلى أخمصيه قدميه مثلهم، كان يرتدي قميصاً مزرراً على نمط رعاة البقر، تزين صدره كلمة «بربري»، بالإضافة إلى حذاء مصنوع من الجلد الأسود الناعم الملمع ومزود بخطافات وحلقات معدنية. يا له من أحقق، هذا الحذاء سوف يتسخ حرفياً، ومع حلول نهاية الأسبوع سوف يتخلى عنه بلا شك.

تابع قائلاً: «لقد امتطيت حصاناً مرة أو مرتين؛ ولكن كان ذلك منذ سنوات مضت. حتى آنذاك، كنت سيئاً جداً، أنا على يقين بذلك. كما أنني ألعب رياضة الكرة اللينة في عطلة نهاية الأسبوع. وأنا أعظم عم في العالم للأنسة كورا، وأركض من حين إلى آخر مع ذلك الفاشل هناك»، وأشار إلى ليو، ثم واصل حديثه قائلاً: «أنا هنا لأنني أريد فقط أن أكون راعي بقر طيلة أسبوع. فهل اجتزت الامتحان؟»، ثم وضع يديه في جيبي بنطاله الجينز الأزرق الزاهي الجديد.

قالت وهي تهز كتفيها: «أعتقد ذلك». حياه والتر قائلاً مرحى، بينما كان برادلي يجلس في مقعده.

أحست بصعوبة الموقف عندما نظرت إلى لوحة الكتابة، وأدركت أنه لم يبقَ سوى اسم شخص واحد فقط. أخذت ليلي نفسًا عميقًا محاولة كبح جماح توترها، وقالت: «أعتقد أن هذا يتركنا مع الشخص الأخير وهو... ليو». قالت ذلك وهي تحاول أن تتماسك قدر الإمكان؛ حتى لا يكشف تسارع نبضات قلبها حالها.

أومأ برأسه ووقف مستسلمًا للموقف، حاولت ليلي في حوار داخلي مع النفس أن تطلب من قلبها التوقف عن الخفقان المتجدد المحموم.

تحنح، وتمنت من أعماق قلبها ألا يدع الآخرين يعلمون أنهما كانا يعرف أحدهما الآخر. ولم تكن فخورة بما فعلته الأيام بها بعد فراقه إياها. لم تكن تريد عرض ندوب الزمان القاسية اليوم.

توقف قليلًا متجنبًا نظرتها، ثم قال: «اسمي ليو. أنا في الثانية والثلاثين من عمري، ولديّ خبرة مع الخيول». بدا الحال كأن الصمت يمتص الهواء من حولهما خلال بضع لحظات قبل أن يواصل: «أعيش في مانهاتن، وأعمل في مجال تكنولوجيا المعلومات».

بعد لحظات عدة، وبينما كانوا جميعًا ينتظرون سماع المزيد، انفجر برادلي ضاحكًا وقال: «رائع يا صاح. لا تخجل».

في حين أن عمله في مجال تكنولوجيا المعلومات لم يفاجئها، فإن طريقته في الحديث هي التي فاجأتها، فذلك الجانب من شخصية ليو الأكثر بعدًا وعزلة يختلف عن طبيعته الخجول اللطيفة. كان ليو الذي عرفته مهووسًا بالأرقام، ومولعًا بها كما هي حال الرسام مع لوحاته، وقد بذل قصارى جهده لجعلها تحب الرياضيات. كانت لديه معادلة مفضلة، ربما كانت تتعلق بحساب سطح الكرة، وكانت ليلي متأكدة أنها لن تفهمها حتى لو أمضى عقدًا كاملًا في شرحها.

لقد بحثت عن لمحة صغيرة تؤكد أنه هو، وأنه الرجل نفسه الذي عرفته في الماضي، العاشق السابق بشحمه ولحمه يقف أمامها مباشرة. وعندما كان يضبط وضع قبعتة، تمكنت ليلى من رؤية الجلد المتيبس في كفيه من الداخل، لم يكن من نوعية الجلد الخشن الذي يصاب به الشخص نتيجة العمل بيديه من أجل لقمة العيش؛ لكنه ذلك النوع الذي ينشأ بعد ساعات يمضيها المرء في صالة الألعاب الرياضية، أو العمل في مشروع إعادة تصميم المنزل في بعض الأحيان. كما أن اللون الأحمر على وجنتيه يعني أنه لم يقضِ النهار كله في المكتب؛ ربما كان يقود الدراجة في نهاية كل أسبوع، أو يركض عبر الحديقة. كانت ساعة يده ضخمة وباهظة الثمن، ولم تكن فقط من أجل معرفة الوقت، بل التاريخ، والاتجاهات، والارتفاعات كذلك. فكرت ليلى في عدد المرات التي يحتاج فيها حقاً إلى معرفة أي من ذلك خلال حياته اليومية. لم يكن يرتدي خاتم زواج، وحقيقة أنها لاحظت ذلك - بالإضافة إلى الشعور بالراحة الذي صاحب تلك المعرفة - جعلتها ترغب في تحطيم شيء ما.

توقف ليو قليلاً، كما لو كان يحدد مدى الصراحة التي سوف يتحدث بها، وكانت النسخة القديمة منه كتاباً مفتوحاً، على الأقل معها. أما الآن فهي ليست لديها أي فكرة عن الشخص الواقف أمامها. وبعد تفكير عميق قال: «هوايات... أنا أقرأ كثيراً. وأحب ركوب الدراجات والجري...».

قاطعته برادلي بضحكة حادة قائلاً: «والعمل».

أوماً ليو برأسه في إحراج قائلاً: «نعم والعمل. أما عما أتطلع إليه من تلك...».

عندما تباطأ في الرد، ركزت بنظرها على خشب الطاولة البالي. لقد تأكلت الحواف على مر السنين، وأصابت الخدوش السطح، واحتترقت بعض الأجزاء، وانبعجت مواضع أخرى بفعل الزمن. شعرت ليلى بأن الزمن قد نال منها هي أيضاً، وتركت علامات كثيرة على روحها.

أردف ليو قائلاً: «أعتقد أنني أبحث عن المغامرة، فحياتي اليومية روتينية بشكل كبير». أخذ يحرك قبعة البيسبول التي كان يرتديها بين يديه، ولاحظ أن الجو بدا مشحوناً

بالرسميات، فأضاف: «لكن دعونا نأمل ألا تكون هذه المغامرة مخيفة نواجه فيها الموت»، وابتسم ابتسامة خفيفة بينما كان الآخرون يضحكون من قوله هذا؛ ولكن تلك اللمحة الصغيرة لابتسامته زادت قلبها وجعًا.

صفق والتر مرة أخرى، ولكن بصوت أعلى تلك المرة.

ارتبكت ليلي قليلاً وقالت: «حسنًا»، ثم أومأت لـ نيكول لتتقدم إلى الأمام، فتقدمت وهي تحمل صندوقًا معدنيًا صغيرًا، وأردفت ليلي قائلة: «حسنًا، عليكم أن تسلموا هواتفكم الآن». ولو كان السياح يقرأون عادة التعليمات الإرشادية سابقًا، لتوقعوا ذلك التصرف؛ لكن ليلي وجدت أنه مهما نبهت على حتمية ذلك الأمر، فإنهم يواجهونها بموجة جماعية من الشكوى والتذمر. سارت نيكول إلى جوار الطاولة، وشكرت كل منهم وهو يضع هاتفه المحمول داخل الصندوق على مضض.

واصلت ليلي حديثها: «يمكنكم الاحتفاظ بأي دواء لديكم، وإذا كان هناك أي شيء آخر تحتاجون إليه - في حدود المعقول بالطبع - فقط أخبرونا. ومن المفترض أن تكون الرحلة تجربة لعيش حياة صعبة؛ لذا الهدف هو أن يكون الأمر شاقًا».

ضحك تيري بفضاظة، وكان معه جهاز ظن أنه صغير الحجم ويمكنه الاحتفاظ به.

أشارت إلى جهاز جي بي إس صغير يظهر من جيب سترته الغربية، وقالت: «يمكنك تركه في سقيفة الخيل، فلن يفيدك بأي شيء».

أغلق تيري عينيه وتنهَّد قائلاً: «إنه جهاز يحدد أماكن وجودنا في العالم يا عزيزتي. ووظيفته هي توفير معلومات عن المواقع، فربما نحتاج إليه إذا علقنا بمكان مجهول».

ردت ليلي قائلة: «حسنًا، أيًا كان من باعه إليك، فهو لم يسألك أين تنوي استخدامه».

مرر يده على لحيته وهو يسألها: «هل تفهمين كيفية عمل جهاز الجي بي إس؟».

أشارت ليلى إلى حيث يمكن رؤية قمم الصخور الحمراء من بعيد، وقالت: «سنذهب إلى هناك؛ حيث تنفد البطاريات، وتكون تغطية الهواتف المحمولة شبه معدومة، فجوانب الوادي الشاهقة تحجب الأقمار الاصطناعية، وهناك تحت أشعة الشمس الحارقة، لن تتمكن من رؤية أي شيء على تلك الشاشات الرقمية الصغيرة، كما أن لديك خريطة ورقية في حقيبة ظهرك. سوف تحتاج إلى الانتباه إليها وإليّ، لا إلى الجي بي إس. هل هذا واضح؟».

همس والتر في أذن ليو قائلاً: «يا لها من شخصية مخيفة! لكنها تستهويني نوعاً ما». وقد لاحظت هي أن ليو تمكن ببراعة من إخفاء أي ردة فعل تجاه تعليق والتر.

التقطت ليلى حقيبة ظهر مماثلة لتلك التي تركتها لهم داخل كل خيمة الليلة الماضية، وبدأت إفراغ محتوياتها قائلة: «كل منكم لديه حقيبة مليئة بالأشياء التي ستحتاجون إليها، وتستطيعون استخدام الأغراض المقدمة إليكم هنا، أو تلك الخاصة بكم. لكن إذا كان أحدكم سيستخدم الأغراض التي تخصه، فعليه أن يتأكد من نقل كل شيء، بما في ذلك كيس النوم المتروك على السرير النقال الخاص بالمخيم، ستحتاجون إلى كل شيء. وأي شيء تريدون تركه وراءكم سيُحتفظ به بشكل آمن في سقيفة الخيل».

بسّطت الخريطة على سطح الطاولة، ثم ألقت نظرة سريعة على المجموعة، فاطمأنت إلى أنها تحظى باهتمام الجميع، بما في ذلك ليو. كانت الخريطة عبارة عن نسخة ورقية مطبوعة ومكبّرة لواحدة من عشرات الخرائط التي رسمها ديوك على مدار حياته. لقد عرف والدها منطقة الجنوب الغربي أفضل من أي شخص تقريباً، وكانت خبرته مطلوبة بشدة. ولكنه لسوء الحظ نادراً ما استطاع التريح من هذا، فهو لم يستفد منها على الإطلاق؛ لكن المتاحف المحلية استفادت من تلك الخبرة في إعادة القطع الأثرية إلى موطنها الأصلي. غير أن ديوك لم يقحم نفسه في الأمر قط من أجل المال، وربما يكون قد تلقى مكافآت استكشاف بسيطة ساعدته على دفع الفواتير؛ لكن ما أثار حماسه حقاً هو ما كان يصاحب بحثه من إثارة، وتوصله إلى خيوط الحقيقة، وإعادة اكتشاف التاريخ. كانت تلك هي الجائزة التي يطمح إليها.

نقرت ليلي بأصابعها بالقرب من موضع التلال على الخريطة، حيث كتب ديوك ذات مرة كلمة حدوة الحصان، وحدثتهم قائلة: «هذا هو المكان الذي نحن فيه الآن». ثم حركت إصبعها إلى الأسفل على طول المسار المرسوم على الخريطة، وهي تشير إلى بعض محطات التوقف، وأردفت: «الليلة، سنخيّم على حافة النتوء الجبلي في منطقة روبرز روست، ثم بعد ذلك سنتجه إلى نبع فرنش سبرينج أسفل منطقة هانز فلات».

«الآن، هذا هو الجزء المهم». ثم أخرجت خريطة أخرى للمنطقة تحتوي على خطوط الارتفاع الكنتورية؛ كان هناك الكثير منها، وأوضحت قائلة: «عليكم أن تبقوا بعيدًا عن حافة أي وادٍ، فالحواف ليست صلبة كما تبدو، وأنتم لستم رياضيين بالقدر الكافي، ولا تملكون المرونة الضرورية للحفاظ على بقاء أقدامكم ثابتة كما تظنون في أنفسكم، فالتعلم بالتجربة هنا سيكون شديد الخطورة».

اتسعت عينا والتر ونظر في رهبة، لكنه أوماً بجديّة.

تابعت حديثها: «طوال الرحلة، ستتمكنون من حل بعض الألغاز، واستخدام الخرائط لاقتفاء الآثار، والعثور في النهاية على الكنز»، ثم أصلحت هندامها، واستطردت: «سنتحدث أكثر عن التفاصيل الأخرى أثناء الرحلة، ولكن أولاً يجب أن تتعرفوا على الخيول وتألّفوها. وأريد منكم جميعاً أن تطووا خيامكم، وتحزموا أمتعتكم بينما أقوم أنا ونيكول بتنظيف مائدة الفطور، ثم سنلتقي جميعاً في سقيفة الخيل. هل يحتاج أي منكم إلى زوج جيد من الأحذية الطويلة؟».

هز ثلاثة رجال رؤوسهم وهم يغمغمون في هدوء بكلمة «لا». فقط ظل شخص واحد صامت بشكل ملحوظ.

مرر ليو يديه بتوتر على بنطاله الجينز فوق فخذه، ثم اعترف أخيراً: «أنا أحتاج إلى واحد جديد».

آخر شيء أرادته ليلي في تلك اللحظة، هو وجود سبب يدفعها إلى التحدث معه على انفراد. وشعرت بأنه من المفترض أن يكون على دراية بمدى أهمية الأحذية المناسبة لهذا المكان، ومن ثم قالت بحدة: «حسنًا، احزم أمتعتك ثم انتظرنني في السقيفة بالقرب من الخيول».

أدرك بلا شك الحدة في نبرة صوتها، ثم غمز لها بطرف عينه قائلاً: «حسنًا».

بدأت ليلي إعادة كل شيء إلى الحقيبة مرة ثانية، ولاحظت أن الجميع كانوا يثرثرون، ويتباطأون في شرب القهوة الباردة، فقالت: «ماذا تنتظرون؟ هل تتوقعون أن أحملكم؟».

تفرق الجمع، غير أن نيكول وقفت هناك تتأملها بهدوء: «هل ستخبريني بما يحدث هنا؟».

نظرت ليلي إليها، ثم أشاحت بوجهها عنها قائلة: «أتريدين معرفة ما يحدث؟».

اتسعت عينها نيكول الزرقاوان، وأزاحت شعرها عن جبينها: «هل تمزحين معي؟».

لم يكن الأمر يستحق عناء محاولة إخفائه عنها: «أنا أعرف هذا الشخص».

«تقصدين الرجل الهادي»، لم تكن نيكول تسأل بل تقر بالأمر.

نظرت إلى حذائها، ورسمت خطأ بمقدمته على الأوساخ وقالت: «نعم، ليو».

وقفت نيكول مندهشة، ونظرت خلفها وقالت: «تَبَّأ. إنه هو! هل هذا هو ليو؟ من المزرعة؟».

«نعم».

«هل تعقبك؟».

هزَّت ليلي رأسها قائلة: «متأكدة أنه ليست لديه أي فكرة عن أنني سأكون هنا».

تفحصتها نيكول بهدوء: «هل هناك داعٍ للقلق؟».

طمأنتها ليلي: «ماذا؟ لا، أنا بخير، لقد حدث كل ذلك منذ أمد بعيد. لا بأس. أنا بخير حقًا».

قالت بلهجة جافة: «يبدو أنك على ما يرام حقًا».

وكانت كلتاها تعرف أن هذه مجرد كذبة، فهي ليست بخير على الإطلاق؛ لكن نيكول لم تكلف نفسها عناء السؤال مرة أخرى.

الفصل السادس

سار ليو إلى خيمته في حالة من الذهول والاضطراب؛ ما تسبب في تسارع دقات قلبه وتعرق راحة يده. ومع كل خطوة يخطوها كانت قدماه تتعثران على الأرض، وشعر كأنه يسير على منصة متحركة، أو نحو ثقب حلزوني. رؤيته إياها جعلته يعود بالتفكير إلى ذلك اليوم الأول في وايلدر رانش، عندما خرجت من الإسطنبول ورآها للمرة الأولى، وانقلب عالمه على الفور رأسًا على عقب.

الفارق في هذه المرة هو أنها لا يشوبها أي ترقب، أو توقع، أو ابتهاج، والحلم بأن تلك المرأة في يوم من الأيام ستقع في حبه. غير أن لديه فقط الذكرى المؤلمة لحقيقة أنه صادف الحب المثالي يومًا ما؛ لكنه انسحب وتركه وراءه.

كان من المفترض أن يحزم أمتعته؛ لكنه بدلًا من ذلك جلس داخل خيمته حزينًا مصدومًا. لم يسمع ليو صوتها منذ ذلك الصباح الذي اتصلت فيه للاطمئنان عليه عندما لم يتواصل معها. لقد كره الفظاظ الغليظة التي أبداها لها حينها. وتذكر أنه حاول التواصل معها لاحقًا وإصلاح الأمر؛ لكن بعد فوات الأوان.

إنها موجودة هنا الآن؛ الأمر الذي جعله يشعر بالحماس للمرة الأولى منذ عقد من الزمن؛ لكنه في الوقت ذاته كان غارقًا في إحساسه بالذنب، وتائهاً في دوامة من الترقب... وثمة شيء آخر وهو الأسى والشعور بالحيرة: لماذا لم تعاود الاتصال به؟

بعد سنوات من محاولاته لعدم التفكير والقلق بشأن مكانها الحالي، وماذا كانت تفعل الآن - والحسد الذي يكنه للرجل الذي تخيل أنه يحظى بحبها ويعيش معها الحياة التي أراد هو أن يحيها معها - ها هو ذا، وجهًا لوجه مع حبه الأول وسط مكان بعيد في الصحراء. لم تكن لدى ليو أي فكرة عن كيف يمكنه أن يتصرف وكأن شيئًا لم يحدث.

وبعد مرور بضع دقائق خف فيها طنين أذنيه، واطمأن أن ساقيه لن تخوناه فيسقط أرضًا، دفع ليو بأشياءه في حقيبة الرحلات الاستكشافية الواسعة التابعة لوايلدر أدفنتشرز، ثم خرج من خيمته، فرأى أن بقايا الفطور قد أزيلت، وأن برادلي يحاول معرفة كيفية وضع خيمته في حقيبة بحجم جيب المعطف. كان الجميع تقريبًا يرتدون الجينز وقمصانًا ذات أكمام طويلة؛ ولكن عندما خرج تيري من خيمته كان قد بدّل ثيابه، وارتدى بنطالًا آخر ذا طراز عسكري مموه، وبه جيوب أمامية منتفخة بكثير من الأغراض، وسترة مزودة بلواصق فيلكرو، وأحزمة، فضلًا عن جيوب إضافية.

سأل برادلي ليو: «هل أنت مستعد للقيام بذلك؟»؛ لكن ليو كان ينظر إلى السقيفة، ويشعر بأنه غير مستعد إطلاقًا لما ينتظره خلال الدقائق العشر التالية من حياته.

«لا بد لي من الحصول على زوج من الأحذية».

قال تيري: «لو أنك انتبهت لكل ما ذكر في قائمة الأمتعة، لما اضطررت إلى الذهاب لرؤية تلك المُدرّسة الآن».

ضربه برادلي في بطنه وهو يقول: «ماذا تقول - مُدرّسة؟ أنا لا أرى أنها بذلك السوء، بل أرى أنها تتمتع بجاذبية من نوع خاص».

وفي تلك اللحظة، دلفت نيكول وهي تضيق عينيها، فوقف برادلي معتدلًا على الفور، وهو يتمتم: «يا له من موقف محرج»، بينما ظهر والتر فجأة وهو يخرج من المبنى الخارجي، ووقف متحيرًا لا يدري ماذا يفعل، فقرر أخيرًا أن يلوح بذراعيه كتوع من التحية.

تمتم ليو لـ برادلي: «توقف عن إزعاجي». بعدها وضع حقيبته جانبًا مع الحقائب الأخرى، واتجه إلى الطرف المقابل للمعسكر.

كانت السقيفة عبارة عن مبنى خشبي مساحته نحو 7 أمتار عرضًا في 7 أمتار طولًا. كما أنها تجاوزت إسطبلًا مليئًا بمجموعة من الخيول المعدة للركوب، ويبدو أنها كانت تعلم أن

الوقت قد حان للذهاب. وبينما كان ليو يسير، مد يده ليداعب أنفه الرقيق، ثم توقف عند الباب. كانت السقيفة تميل باتجاه شجرة زيتون روسية طويلة ونحيفة، وخلفها توجد حجرة صغيرة مخصصة للغسيل، وشاحنة قديمة، ومقطورة. كان الباب واسعًا بالقدر الذي يمكن من خلاله إدخال السروج أو أكياس العلف التي يصل وزنها إلى أكثر من 20 كيلوجرامًا، كما أنه كان مزودًا بقفل قوي لتأمين المكان في الوقت الذي سيكون فيه على الطريق. كان كل شيء مرتبًا بدقة في الداخل، ولبرهة انتابته حالة من الحنين الحلو والمر على حد سواء بسبب رائحة البرسيم والجلود.

كانت ليلي واقفة في الخلف تعمل على شيء بجوار خطاف كبير وثقيل محمل بحبال من النايلون. تنحني ليو متسائلًا عما إذا كان بإمكانه تخيل مدى التوتر الذي ستكون عليه. وتمنى أن يتمكن من التلطف بالكلمات المناسبة، وأن يجد الطريقة الملائمة لفتح محادثات تبدو مستحيلة؛ لكن ذهنه كان مشوشًا. لماذا هي هنا؟ ولماذا تقود ليلي وايلدر، من بين كل الناس، مثل تلك الاستكشافات الوهمية للبحث عن الكنز، وهي التي كانت تشعر بالاستياء الشديد من علاقة ديوك بالكنوز الحقيقية؟

لم تستدر نحوه، وبدلاً من ذلك تناولت ولاعة لإذابة طرف جبل من النايلون وقالت: «هل تحتاج إلى أي شيء آخر غير زوج الأحذية؟».

حدق ليو إلى ظهرها، وأخذ يتأملها بشعرها المضفر الذي ازداد طولاً عما كان عليه عندما كانا معاً، وكان كماها مرفوعين حتى أسفل الكتفين مباشرة، كاشفين عن ذراعين مشدودتين، ويدين مثابيتين ومتصلبتين. كانت ليلي تمتلك يدين جميلتين وأصابع رقيقة لكنها قوية. لقد تذكر مدى رقة هذه الأصابع عندما كانت تربت رأس حصانها المفضل، ومدى ثباتها عند تعاملها مع حصان مرعب. وتذكر أيضاً عاداتها في النقر بأصابعها بلا كلل عندما تكون غارقة في التفكير.

سرح بخياله أيضاً متذكراً شعوره عندما لامس تلك الأصابع للمرة الأولى وهو يصافحها.

أحاطت به من كل جانب موجات متتابعة من الوعي، ما جعله يتساءل عما إذا كان بإمكانه مواجهة حقيقة أنه الآن يقف أمام ليلي. نعم إنها ليلي وايلدر تقف هنا أمامه مباشرة.

لكنه لاحظ أنها لا تُبدي أي ردة فعل تجاهه على الإطلاق.

قال على سبيل الاحتياط: «أنا أدرك أن ما أسألك عنه قد يبدو شيئًا غريبًا؛ ولكن هل تذكريني؟».

استدارت نحوه، وقالت: «بالطبع أتذكرك، فتى المدينة المتيّم». ارتسم على عينيها العسليتين تعبير ينم عن لا مباليتها ونفاد صبرها، وضيق وقتها. لقد كان تعبيرًا رآه ليو عشرات المرات... غير أنه لم يوجّه إليه قط من قبل. ففي الماضي كانت متحفظة معه في البداية، كما أنها حاولت أن تبعد عن طريقها تقريبًا؛ لكنه أدرك لاحقًا أنها كانت تفعل ذلك لاختبار مدى جاذبيته في عينيها؛ كما أنها حين استسلمت لمشاعرها بدت ضعيفة وهشة؛ ومنحته حبه وثقتها بسهولة.

قالت بنفاد صبر: «حسنًا، هل تحتاج إلى أي شيء بالإضافة إلى زوج الأحذية؟»

كان عليه أن يبتلع ريقه قبل أن يتمكن من الإجابة دون إظهار مشاعره: «لا».

ألقت ليلي الحبل، وسارت نحو الخزانة، وفتحتها لتظهر مجموعة مرتبة من الأحذية في حالات مختلفة من البلي والتمزق. لم تسأله عن مقاسه، لكن ليو أدرك أن عليه أن يأخذ أي شيء ستعطيه إياه. مدت ليلي يدها نحو زوج من الأحذية موضوع على الرف العلوي، ثم سارت نحوه، وألقت بالحذاء عند قدميه. فثارت سحابة صغيرة من الغبار حوله.

قالت له: «أعتقد أن هذا الزوج سيُفي بالغرض»، ثم عادت مجددًا لمواصلة ما كانت تقوم به.

وعندما انحنى لالتقاطه تجمد من هول المفاجأة، وقال في دهشة: «هل احتفظت به؟».

ردت قائلة: «التصرف بحكمة فيما تملك يجنبك الحاجة».

كان يعرف أن ليلي شخصية يصعب فهمها أو توقع ردود فعلها.

استقام وتقدّم إلى الأمام ليجلس على جذع شجرة مغبر، وخلع حذاءه الرياضي. وبعد لحظات من الصمت الذي سادته التوتر، خاطر بقوله: «لم أكن أعرف أنك تعملين هنا». ثم تمهل قليلاً، قبل أن يحاول الحديث مرة أخرى قائلاً: «أعني، لم أكن أعرف حتى أين كانت وجهتنا إلى أن وصلنا المطار. نحن لم...».

قاطعته بهدوء: «صدقني يا ليو، أنا أعرف أنك لم تكن لديك أي نية لمقابلتي مرة أخرى».

قال: «هذا ليس...»، لكنه سرعان ما أغلق فمه، فهو لم يكن متأكدًا مما يجب عليه قوله. ولم يكن يعلم ماذا يجري هنا؟ كان دائمًا على يقين بأنه سوف يجرح مشاعرها إذا لم يعد؛ ولكن ثرى ما الذي كانت تتوقعه منه؟

بعدما خانه لسانه في التعبير عما يجول في صدره، التقط إحدى فردي الحذاء وأخذ يحدق إليها ويتأملها، شعر بنعومة الجلد البني في يده، كان العقب مليئًا بالخدوش، لكنه كان لا يزال صلبًا. ومنذ سنوات مضت - أو ربما قبل شهر من رؤيته ليلي للمرة الأولى - عندما هاتفه ديوك وأخبره بأنه يجب أن يقتني زوجًا من الأحذية المخصصة لركوب الخيل، لم تكن لدى ليو حينها أدنى فكرة عما يميز حذاء ركوب الخيل عن ذلك الخاص بالتنزه. وعندما كانا في المدينة، ألقى ديوك نظرة على حذاء ليو ماركة تيمبرلاندز، فأرسله إلى أحد محال مارتينديل؛ حيث أخبرته المرأة هناك بأن زوجًا جيدًا من الأحذية يمكنه أن يدوم عشر سنوات إذا ما اعتنى به جيدًا.

وعندما وضع ليو قدمه فيه أدرك أن تلك المرأة كانت على حق. ومن الواضح أنه كان يُستخدم، ومع ذلك عندما وقف ومشى به وجد أن قياسه لا يزال ملائمًا عند مشط القدم والعقبين بدرجة كافية تمنع انزلاقه. نظر إليها قائلاً: «إنه ما زال مناسبًا تمامًا».

هممت في ركن بالقرب منه بكلمات معناها: إقرارك هذا لا يمثل أهمية بالنسبة إليّ.

تسبب سماعه نبرة صوتها التي تنم عن العناد والتمسك بالرأي في فتح الباب أمام ذكريات الأيام الماضية المحفورة في قلبه، فأحس بدفقة من الألم تجتاح كيانه. وبعدها رفع يده، وأخذ يدلك تلك المنطقة المجاورة لعظم صدره. لقد أحب ليلي بشدة، وكان متيمًا بحبها إلى الدرجة التي جعلت بيولوجية جسده تتغير. وها هو يقف الآن في هذا المكان معتقدًا أنه قد أغلق باب الحب في قلبه، لكنه أدرك في هذه اللحظة أن حبه إياها لم يختف؛ بل ظل حاضرًا طوال تلك السنين. وعند رؤيتها مرة أخرى، غمره طوفان من شوقه وافتتانه بها جعله يتشوق للحياة معها مرة أخرى؛ لدرجة جعلت الأدرينالين يندفع بقوة في أوردته. كان يعلم أنه يجدر به المغادرة؛ لكن قدميه لم تتحركا، وساد بينهما صمت متعمد، قطعه أخيرًا بقوله: «أخبريني كيف سارت الأمور معك؟».

قالت دون أن تكلف نفسها عناء الالتفات نحوه: «رجاء، لا تسأل عن ذلك يا ليو، نحن لسنا صديقين قديمين. أنا مرشدة الرحلة وأنت سائح. نحن نتحدث الآن فقط لأنك تدفع لي مقابل تنظيم تلك الرحلة».

عند سماعه ذلك، ابتلع ما كان ينوي أن يقوله ردًا عليها، فقد أدرك أنه لن يفيد؛ إذ كان هناك وادٍ كبير من الألم يفصل بينهما، وتلك المحادثة القصيرة في هذه السقيفة لن تبني جسرًا للتواصل بينهما.

إلى جانب ذلك، فإنهما كانا يقفان في غرفة مليئة بأدوات المزرعة الحادة. وليلي التي يعرفها جيدًا تتقن استخدام كل هذه الأدوات، وكانت هناك معزقة بجوارها مباشرة.

مع ذلك، كان لديه الكثير من الأسئلة، فدائمًا ما كرهت ليلي تلك القصص، وكل ما يتعلق بتقفي الأثر، حتى إنها كرهت كلمة «كنز». قد يكون ديوك أحد أولئك الأشخاص الذين يستهويهم التجوال؛ لكن ليلي التي يعرفها كانت تفضل أن تُدفن في إسطنبول وإيلدر رانش على أن تسمح لشخص آخر يدير المزرعة غيرها. لم تكن لتغادر مطلقًا بإرادتها.

تمكن أخيرًا من قول ما يريد؛ ولكن شعورًا سيئًا انتابه وهو يسألها: «إنني أتساءل فقط عما تفعليه هنا، ولماذا أنتِ هنا؟ أليس من الأنسب أن تكوني الآن في المزرعة تستعدين للموسم المقبل؟».

ارتسمت على وجهها علامات الغضب، ودفعه إحساسه الغريزي إلى أن يخطو خطوة إلى الوراء.

ردت باستعلاء قائلة: «لم تعد مزرعتي حاليًا. والآن ارتدِ حذاءك واخرج من هنا. فلا داعي لإطالة الكلام».

الفصل السابع

بعد شرح موجز للتعليمات الخاصة باستخدام المعدات، قادت ليلي المجموعة لرؤية الخيول. كان الحصان ديناميت صبورًا بما يكفي ليحافظ على ثباته، بينما كان والتر يستجمع شجاعته لاعتلاء السرج. في حين هاجم بولوينكل - الذي كان مهرجًا كبيرًا مثل فارسه - برادلي مرتين حتى إنه أسقطه عن ظهره قبل أن يغادرا الإسطبل. وفي مفارقة غريبة، كان الحصان الذي سيمتطيه تيري هو كاليبسو - العابس وكثير العض - وبعد لحظة من التردد، تمكن ليو سريعًا من ركوب حصان ليلي الأكثر حساسية، وهو حصان جميل أسود يدعى آيس.

كظمت ليلي غيظها، فقد رغبت في رؤيته يسقط من فوق الحصان هو أيضًا.

لقد دربتهم على توجيه الخيول، والتوقف والنزول من فوق ظهورها. وعندما أحست بأنهم جميعًا صاروا يجيدون ركوب الخيل والمشي بها، دفعتهم لأن يتعلموا الخب، حتى إن ليو وبرادلي حاولا الجري بحصانيهما في المحيط الآمن للساحة المسيجة الصغيرة.

وبمجرد خروج المرشدتين والسائحين إلى الطريق، كانت الطبيعة من حولهم تبدو كأنها تبتلع المخيم من خلفهم، وأحس الرجال بأن كل خطوة تأخذهم بعيدًا عن الأمان الذي يكتنف حياتهم اليومية. فلا توجد هواتف ولا أجهزة كمبيوتر، ولا أحد آخر يعتمدون عليه سوى ليلي ونيكول.

شعرت ليلي بأن ذلك سيكون أسبوعًا طويلًا جدًّا؛ لأنها مهما فعلت - مهما أغمضت عينيها، أو تعاملت بحدة، أو حدقت إلى الشمس لتحرق ما يطراً برأسها من ذكريات - فإنها لا تستطيع صرف ذهنها عن التفكير في حقيقة عودة ليو جرادي إلى حياتها من جديد.

بعد مرور ساعتين من الرحلة، أحست بأنها يمكنها تقبُّل الموقف دون أن تشعر بأي توتر. كان ليو لا يزال نحيفًا؛ لكنه زاد حجمه قليلاً ليصبح على النحو الذي يبدو عليه السباحون: عريض المنكبين، طويل الأطراف، قوي البنية. وحين تنظر إليه الآن لا تستطيع رؤية الملامح القديمة لذلك الفتى الغر الذي عرفته في الماضي، وكأن ليو الحالي رجل آخر حل في جسده بكل سهولة. وكانت وضعية ركوبه للفرس توحى بتمكنه غريزيًا من تلك المهارة، تمامًا كما كان الأمر في السابق: الوركين متجهتان إلى الأمام، والظهر مستقيم دون تشنج، وعقباه متجهان إلى أسفل في ركابيها، وإحدى يديه تستند إلى الفخذ، والأخرى تمسك باللجام بمنتهى السلاسة.

اختفت صورة ليو البالغ من العمر اثنين وعشرين عامًا بحماسة للحياة وانتباهه المفرط، وكأنه لم يكن سوى حلم طفولي، أو هلوسات محمومة، وشحب طيفه، وتضاءل عند مقارنته بذلك الرجل الذي تنظر إليه الآن.

في الماضي، خلال ذلك الصيف، استغرق الأمر منها وقتًا طويلًا لتدرك أن الطريقة التي لاحقها بها لم تكن طريقته المعهودة؛ حيث ظلت أسابيع تعتقد أنه شخص متلاعب يغازلها متظاهرًا بالخجل، فشخص بهيئته التي كان عليها، وتصميمه على مطاردة فتاة بمثل تلك النيات الواضحة لا يمكن أن يكون صادقًا حقًا كما بدا.

لكنه كان كذلك، فكلما عرفته أكثر أدركت أنه شخص متحفظ وعامل للغاية، ويميل إلى الصمت، وأنه يشاطر الأشخاص المقربين منه فقط بعض أفكاره المثيرة. والآن، حين تتذكر قدرته الفائقة على ضبط النفس - وكيف أن ضبط النفس هذا ساعده على فهمها أكثر من نفسها، ومكنه من دراسة الفكرة من كل جوانبها عندما قرر البقاء في المزرعة معها، وسمح له أيضًا بالاختفاء من حياتها تمامًا، مثل شبح ابتلعه الضباب - تشعر برغبة شديدة في أن تسقطه أرضًا من فوق ظهر الحصان آيس.

فجأة قال تيري وهو يفرك شاربه الخفيف بأصابعه: «إنني أرى أن امتطائي حصانًا عربيًا يناسبني تمامًا». ولم يكف عن محاولات حث الحصان على التقدم إلى الأمام ليسبق

المجموعة؛ لكن ليلى ظلت تنهاه عن ذلك، وأمرته بالتراجع إلى الوراء مع الآخرين.

وقاطعته نيكول بمرح قائلة: «كاليبسو حسان من سلالة كوارتر الأمريكية».

تابع تيري متجاهلاً قولها: «في العصور القديمة، كان امتطاء الخيول العربية مقصوراً على الرجال فقط».

سألته نيكول: «هل ستستمر في اختلاق الأكاذيب طوال اليوم؟». بدا واضحاً أنها قد ضاقت ذرعاً بوجوده، بينما لم يمر سوى اثنتي عشرة ساعة فقط على اصطحابهما إياهم. إنه بالفعل رقم قياسي جديد.

تمهل قليلاً، ثم تنحنح وبصق ما في فمه جانباً، ثم استأنف قائلاً: «ما أقوله ليس هراء، السلالة العربية هي السلالة النقية الوحيدة المتبقية في العالم».

تحدث ليو أخيراً بعد أن ظل صامتاً طيلة ساعات قائلاً: «هذا ليس صحيحاً، هناك الكثير من السلالات النقية الأخرى يا تيري».

قالت نيكول بتأثر: «إنه على حق».

مال والتر بجذعه أثناء جلوسه على السرج ليلقي نظرة عليه، وقال: «هل تعلمت ذلك عندما كنت تعمل في المزرعة يا ليو؟».

ارتعش جفنا ليو لحظات وهو ينظر إلى ليلى، ثم أشاح بوجهه بعيداً، وأجاب: «أنا... حسناً».

قاطعت ليلى حديثه في محاولة منها لإنقاذ الموقف: «لا تقسُ على كاليبسو يا تيري بينما تجذب الزمام»؛ لكنها شعرت بالارتياح لاكتشافها أن ليو لم يخبر أصدقاءه بما كان بينهما قبل سنوات مضت؛ لكنها رأت أنها مسألة وقت ليس أكثر، وسيكتشف الثلاثة الآخرون الأمر؛ لكن كلما طال الوقت الذي ظلت فيه الحقيقة غائبة عنهم حتى لا يتحدثوا عنها أو ينظروا إليها بشكل مختلف، كان ذلك أفضل.

قال تيري في غضب: «كاليبسو حسان يحتاج إلى التعامل معه بعنف».

ذكرته ليلي قائلة: «إنه حصاني أنا، وسوف تعامله برفق، وإلا ستكمل بقية الطريق على قدميك».

قالت نيكول وهي تلقي نظرة خاطفة حادة على كل من ليلي وليو: «اليوم هو أقصر يوم سئمضيه على ظهور الخيل»، ثم حوّلت انتباهها إلى بقية المجموعة: «ذلك لأنكم إلى حد ما ستتألمون بسبب القروح الناتجة عن الاحتكاك بالسروج. وعلى الأغلب سنصل الليلة إلى مخيم على بعد نحو كيلو متر».

حاول برادلي العثور على وضع مريح يجلس به على السرج، وقال متذمراً: «أمامنا مسافة كيلو متر آخر؟ أنا بالفعل أتألم».

وفور قوله ذلك، وجدوا أنفسهم أمام منعطف، ورأوا من بعيد المنظر المذهل لمخيم الليلة الثانية: فقد ظهرت في الأفق مجموعة من النتوءات الصخرية القرمزية المتماوجة، التي بدت كأنها تعانق التربة الخمرية للمرعى الصغير المفتوح، وتكتلات المريمية الخضراء الشائكة. حدقت ليلي أمامها محاولة رؤية حُزَم القش الأربع بأهدافها الجديدة المعدة لمسابقة الرماية، والحزم الأربع الأخرى المزودة بقرون الثيران الحديدية البارزة من أجل الصيد بالوهق. وفي صندوق مغلق قريب، ستكون هناك أربع مجموعات من الأقفال كي يجري فتحها دون مفتاح، وأربعة كتب تحتوي على شفرات تنتظر من يحلها، وأربعة من مربعات الأحجيات المركبة.

عادة ما يكون هذا اليوم هو يوم ليلي المفضل في الرحلة، فهو أول يوم كامل تستنشق فيه الهواء المنعش، وتستمتع بالمناظر الطبيعية الخلابة. ودائماً ما يشعر السائحون بحماس شديد لركوب الخيل، ولكنهم يكونون أكثر سعادة عند نزولهم عن ظهورها بعد ساعتين فقط. وعلى مدار هذا اليوم يبدأ السائحون التأقلم مع فكرة أنهم يقومون بذلك من أجل المتعة، ويستعدون لخوض تلك المغامرة بشجاعة حتى النهاية. إن وجبة العشاء التي تقدّم

تلك الليلة تكون من إعداد ليلى، وهي ماهرة جدًا في تحضيرها، وهذه الوجبة عبارة عن الفلفل الحار وخبز الذرة. ودائمًا ما أحببت كل تفاصيل هذا اليوم: أحببت الألعاب، ومشاهدة السائحين بثقتهم الجديدة بأنفسهم، ومنافستهم الودية المعتادة؛ لكن هذه المرة، كان يعتريها بعض الخوف الغامض، ربما لأنها تعلم أن تيري مخطئ في كل توقعاته بشأن ما ينتظرهم من ألعاب ومغامرات، فهو على الأرجح لم يرَ ليو من قبل وهو يستمتع باللعب وحل الألغاز.

وصلوا إلى المخيم وهم يسيرون ببطء وكسل في صف واحد، بينما كانت الخيول تتظاهر بالتعب حتى تتمكن من الحصول على طعامها اللذيذ. أما الرجال، فكانوا متألّمين حقًا، ويعانون جراء الشعور بالحرارة الزائدة. إن الجميع كانوا كذلك باستثناء ليو الذي حافظ على وضعيته المستقيمة والمتوازنة على ظهر آيس. يا إلهي ليته لم يبدُ كأنه قد خُلق لركوب ذلك الحصان.

ترجلت ليلى عن ظهر حصانها، وذهبت لجلب أغراض الغداء من المبرد الذي قد تُرك في وقت سابق لهم، بينما طالبتهم نيكول بالتوجه نحو السياج القصير؛ حيث تُربط الخيول الليلة حتى يسهل عليها في الصباح الحصول على العشب والماء والبقاء في الظل. نزل الرجال عن ظهور الخيول بدرجات متفاوتة من الرشاقة؛ فانزلق ليو بسهولة من فوق ظهر آيس، وربطه دون إحكام في عمود السياج، وأشاحت ليلى بوجهها دونه في الوقت المناسب لتري تيري وهو يسقط على ظهره بقوة، غير أنه تظاهر بأنه فعل ذلك عن قصد وهو يجتز عودًا طويلًا من العشب، ويضعه بين أسنانه.

قالت له ليلى: «الخيول تتبول هناك، هذا للعلم فقط».

أسقط تيري العود في الحال.

ثم استرعى انتباهها مشهد ليو إلى اليسار وهو يقوم بتمرينات التمدد ليخفف ألم عضلات جسده، وحينها ارتفع قميصه إلى أعلى. أرادت أن تنظر بعيدًا، لقد حاولت حقًا، لكنها كانت

واقعة تحت تأثيره، فلم تستطع إبعاد عينيها عنه، وعندما استدار ليبدأ إنزال السرج من فوق ظهر آيس التصق قماش قميصه بعضلات ظهره.

تعجبت ليلي وهي تتذكر كيف كان ذلك الرجل في يوم ما حبيبها.

صرخت بصوت عالٍ وبطريقة غريبة: «حسنًا، الطعام جاهز!»؛ ما أذهل الجميع، فاستداروا إلى الخلف للنظر إليها، فإذا بها تشير بيد ترتجف إلى الشطائر التي بدأت تخرجها، والغداء الذي كانوا في أشد الحاجة إليه قبل بدء الألعاب.

تقاطروا على الطاولة كأنهم لم يروا طعامًا قط منذ أسبوع، متجاهلين لهجتها الفظة. ولم تحدق هي على الإطلاق إلى ساعدي ليو وهو يمد يده لوضع قطعة من الخس على شطيرته، أو إلى الإطباق القوي لفكيه وهو يمضغ قزمة كبيرة من الطعام بنهم.

سألتهم ليلي: «من يستطيع أن يحدثني عن بوتش كاسيدي؟». كانت تحاول صرف انتباهها بعيدًا عن التفكير في ليو وحقيقة أنه تخلى عنها، والتركيز على العمل، وإظهار كفاءتها المهنية، بدلًا من إبداء سخطها. وفي خطوة استباقية أضافت: «شخص ما بخلاف تيري».

ضحك عقب قولها ذلك، وأمسك قطعة من اللحم المقدد، ثم قال: «لماذا؟ هل أنت خائفة من أنني قد أعرف أكثر منك؟».

طرفت عينا ليلي، وهي تبتلع ردًا حادًا كانت تنوي قوله.

رد والتر بصوت عالٍ، في محاولة منه لإنقاذ الموقف: «لقد كان لص بنوك. كما أنه سرق القطارات، فقد كانت لديه عصا تسمى العصا البرية».

قالت ليلي وهي تضع قطعتين من شرائح الديك الرومي على قطعة من الخبز: «لقد فعل ذلك».

مسح برادلي فمه بمنديل ورقي، ثم قال: «إذا كان هذا هو المسار الفعلي، فهل كانوا يستخدمونه للهروب من العدالة - أعني هنا بالتحديد؟».

ردت ليلي: «هذا صحيح، ونحن نتجه إلى أحد تلك الأماكن التي يفترض أن كاسيدي خبأ فيها المال ليعود إليه لاحقًا. وكثير من الناس يظنون أنه ما زال موجودًا».

قال تيري: «وتلك هي الحقيقة يا عزيزتي».

قالت بهدوء: «شكرًا لك على إثبات وجهة نظري يا تيري. والتر، هل تتذكر ما قلته لك عن طريق أوت لو تريل؟».

«إنه يمتد عبر الغرب، عبر مناطق جبلية مثل هول إن ذا وول، وبراونز بارك، وروبرز روست».

أومأت ليلي برأسها قائلة: «بالضبط، هذا هو المكان الذي نحن فيه الآن، فنحن بالقرب من روبرز روست. البقعة التي استخدمها العديد من قطاع الطرق للاختفاء عن الأنظار بعد عمليات السطو، أو للاختباء خلال فصل الشتاء. إن الهدف من تلك الرحلة هو قضاء وقت ممتع معًا في إحدى أجمل البقاع في هذا البلد، وتقفي الأثر للعثور على الكنز المخبأ في النهاية». أحست بالهرج، وشعرت بمدى سخافة وغباء هذا الكلام، ولم يبد لها هكذا من قبل، غير أنه لم يكن ليو موجودًا قبل ذلك، ليو الذي يعرف أكثر من أي شخص كيف كانت ليلي تعتقد أن أموال بوتش كاسيدي المخبأة ما هي إلا إحدى أغبي الأساطير التي صادفتها في حياتها. رفع والتر يده.

«نعم يا والتر؟».

«إذا كان الكثير من قطاع الطرق يعرفون هذا المكان، فكيف لم يكتشفه أحد من قبل؟».

قالت له: «إنها أعراف الخارجين على القانون».

تحدث برادلي بينما كان يقضم شطيرته: «إنه ميثاق شرف بين اللصوص».

أومأت ليلي برأسها وهي تقول: «إذا جرى إفشاء السر، فسيكون ذلك دمارًا للجميع».

قال والتر: «أعتقد أن هذا منطقي؛ ولكن إذا وجدنا الكنز، فهل نقسمه فيما بيننا؟».

قالت ليلي: «لا، أي شيء تجده هو ملكك».

عبس ثم قال: «أرى أن نقسمه، فهذا أكثر اتساقًا مع فكرة الحفاظ على ذلك العرف».

قال برادلي: «معك حق».

تابعت حديثها قائلة: «عظيم؛ لكن من أجل القيام بذلك أنتم بحاجة إلى حل الرموز والألغاز،

وفتح بعض الأقفال بلا مفاتيح، وربما كذلك معرفة ما إذا كان يمكنكم إصابة بعض

الأهداف. وسوف نتدرب على كل ذلك اليوم».

سأل تيري بغطرسة: «تقصدان الرماية؟ لقد أصبت ذات مرة عشر نقاط بسهم واحد».

متجاهلاً هذا، لوح والتر بيده في الهواء مرة أخرى وهو يقول: «في حل الألغاز سأستعين بـ

ليو».

انحنى برادلي إلى الأمام، حتى كاد يُسقط الطبقة الخارجية لشطيرته على نيكول في

اندفاعه إلى الاشتباك معه: «اللجنة عليك. أنا من سيستعين بـ ليو».

قاطعتها ليلي وهي ترفع صوتها ليغطي على صوت شجارهما: «سيعمل كل واحد منكم

على حدة. إنها مسابقة ودية. لا يوجد فريق ضد آخر».

ووسط احتجاجاتهم تداخلت أصواتهم: لكنني لم أرم قط بالقوس والسهم - يعلم الجميع أن

ليو هو خبير فك الشفرات - لا تثق بذلك جدًّا يا والتر - الأحاجي مثل تلك التي في فيلم

الناجي، أهذا ما تقصدينه؟ وفي خضم هذا المشهد وقفت ليلى وأزالت بواقي الغداء،
محاولة التغلب على رغبتها الملحة في إخبارهم بأنه أيًا كانت درجة قربهم من ليو اليوم،
فإنه فيما مضى كان ملكًا لها وحدها.

الفصل الثامن

حدثتهم ليلي بينما كانوا يقفون أمام الساحة المليئة بالألعاب قائلة: «هناك خمس محطات في انتظاركم: مربعات الأحجيات المركبة، فك الشفرات، الصيد بالوهق، الرماية، فتح الأقفال بلا مفاتيح».

سأل تيري: «ماذا عن إشعال النيران؟ هل تعتقدون أن هذا ليس مهمًا هنا؟».

التفتت إليه ببطء وقالت: «هل تريد أن يقوم أربعة هواة بإشعال النيران في الصحراء يا تيري؟».

ارتبك تيري وشعر بنوع من الإحراج، ثم التزم الصمت، وتابعت هي: «توجد مجموعة من الأدوات في كل محطة». وشرحت لهم الأساسيات، ولأنها تعلم أن الرماية تختلف قليلًا؛ إذ يجب أن يصاحبها تدريب عملي، أو مات برأسها وأشارت إليهم ليتجهوا نحو التجهيزات المعدة للرماية، وبينت لكل منهم كيفية حمل القوس، ووضع السهم في مكانه، والتركيز على الهدف، ومن ثم إطلاق السهم؛ ولكن بدا أن تيري وليو فقط هما من لديهما خبرة في ذلك؛ ولكن حقيقة أن والتر وبرادلي لم يطلقا السهم مباشرة فوق الرأس أو أحدهما صوب الآخر طمأنتها إلى أنهما سيكونان بخير.

سأل تيري: «ما الذي سنحصل عليه إذا فزنا؟».

ابتسمت نيكول ابتسامة عريضة ثم قالت لهم وهي تحمل أعواد تسليك الأسنان: «ستحظى بشرف الموت كرجل حقيقي».

صححت ليلي ما قالتها: «تكون قد نجحت في إيجاد خيط إضافي لحل اللغز. كما ستحظى بفرصة للحصول على مشروب إضافي الليلة».

لفت قولها هذا انتباههم، فتجمعوا عند بداية المضمار، ثم أطلقت ليلى صافرتها، وبدأ الرجال تنافسهم على حل أحجية المربعات المركبة. تأملها الجميع ما عدا ليو الذي اقترب بحذر من أحجيته - تأملها لكنه لم يلمسها، في حين أن الثلاثة الآخرين قاموا بشكل محمووم بتحريك المربعات، وتعديل اللوحة في زوايا مختلفة، أما ليو فقد أخذ يحدق إليها.

همست نيكول وهي تحدثها خلسة: «ماذا يفعل؟».

أجابت ليلى: «يحاول حلها».

وكما هو متوقع، تقدم ليو إلى الأمام، ثم انحنى لأسفل، وبعد أن خطأ عشر خطوات واثقة، تراجع.

أردفت ليلى قائلة: «ها هو يتحقق».

دنت منه بينما كان مشهد الطبيعية الصخرية الحمراء خلفها يبدو مثاليًا. وبالطبع أومات له بحدة قائلة: «تابع».

وبابتسامة ماكرة، أدرك أنه اقترب من حل اللغز. انحنى ليو، وقلمه في متناول يده وهو يستطلع مرة أخرى. هذه المرة، جرب بعض الأشياء، وشهدت ليلى تلك اللحظة التي أصبح فيها كل شيء واضحًا بالنسبة إليه.

قالت نيكول: «لقد عرف الحل».

راقبتاه وهو يكتب الإجابة، ثم يقلب الورقة حتى لا يتسنى لبرادلي، الذي كان قد أنهى من فوره حل اللغز، رؤية ما كتبه.

سألها وهو ينظر إليها بمرح: «هل تريدان التحقق؟».

أطبقت ليلى فكيتها في توتر، وفي محاولة منها لصرف انتباهها بعيداً وإخماد هذا التدفق المزعج من المشاعر المختلطة من الانجذاب والانزعاج قالت له: «فقط تابع».

لاقى ليو بعض الصعوبة في فتح القفل؛ لكنه نجح في ذلك قبل أن يتمكن برادلي من فك الشفرة، وتمكن تيري أيضاً من حل الشفرة سريعاً؛ ولكن لم يكن هناك أمل لأي شخص آخر. ولم تعتقد ليلى أنه في تاريخ وايلدر أذنتشرز استطاع أي شخص إنهاء سلسلة التحديات في وقت أسرع من ليو، فقد تمكن من صنع حبل الوهق ولفه حول قرون الثور المثبتة على حزمة القش في أقل من دقيقة، وفاجأ ليلى أيضاً عندما أصاب مركز الهدف في الرماية ثلاث مرات، ثم استدار ببطء، وخفض القوس الذي كان يمسكه بيده وهو ينظر إليها.

سألها: «هل هذا كل شيء؟».

ردت قائلة: «هل تستعرض مهاراتك؟».

مد يده وحك حاجبه وهو يحدق إلى وجهها الذي توهج تحت أشعة الشمس الذهبية، ثم قال: «ربما قليلاً». اشتعلت نظراته نحوها لحظات، وعلى الرغم من أن وميض تلك النظرات كان خافتاً، فإنها تمكنت من رؤيته، فأردف قائلاً: «يجب أن أذكر نفسي بأنني كنت جيداً ذات مرة في شيء آخر بخلاف الجلوس في المكتب».

أحست كأنها تلقت لكمة في معدتها بعد سماعها تلك النبذة الخاضعة في صوته، لذا سألته: «وهل أنت راضٍ؟».

أخيراً رأت ابتسامته الحقيقية وهو يقول: «راضٍ؟ ليس بعد».

تجمدت أنفاسها في صدرها فجأة، حيث أدركت أنها كانت مخطئة تماماً في ظنها أن تلك الصفات التي تميز ليو عن أي رجل آخر قد اختفت تماماً، قد تكون بطريقة ما كُبتت خلال تلك السنوات التي باعدت بينهما؛ لكن ليو الذي كان يقف أمامها لم يكن بارداً، لقد ألجمته صدمة لقائهما غير المتوقع؛ ولكن بدا أن أعراض تلك الصدمة قد بدأت تنحسر. كانت

تستطيع أن ترى بأَم عينيها أنه ما زال ذلك الرجل المتناقض الذي يجمع بين سرعة الغضب وضبط النفس، ووقعت في حبه قبل سنوات مضت.

كان لا يزال وسيماً بقميصه الأسود ذي الكمين اللذين بدوا كأنهما يعانقان كتفيه العريضتين. وبنطاله الجينز البالي الناعم. وحذائه المغبر قياس 46 ذي الجلد الأسوء الأملس الذي قذفته أمامه هذا الصباح.

لم تستطع ليلي كتم الضحكة التي أطلقتها كأنها في احتفال. أرادت أن تكرهه. أرادت أن تستاء من هذا الرجل إلى الأبد؛ لكن كيف يمكنها ذلك؟ فسواء أدرك ذلك أم لا، كان ينظر إليها كما لو كانت هي الجائزة في نهاية الرحلة.

أطلقت الصافرة مرة أخرى، وعلى الفور توقفت كل الأنشطة التي كانت تدور حولها لتعلن قائلة: «أيها السادة، لدينا فائز».

أطلق والتر ضحكة سعيدة؛ لكن تيري ضيق عينيه وهو يرمي الحبل أرضاً. «أنتِ لم تتحقي من حله تلك الشفرة».

قالت ليلي: «لا يوجد داعٍ لذلك»، والتفتت إلى ليو قائلة: «ما الإجابة؟».

ابتسم ابتسامة عريضة، ثم قال: «لقد استخدمتِ شفرة قيصر للتعبير عن هذه الجملة: أياً كان ما تقوله ليلي وايلدر فإننا سنفعله».

قال برادلي: «يا إلهي، كيف عرفت كل ذلك؟».

قال وهو لا يزال ينظر إلى ليلي: «أنا النسر المستكشف».

أخذا يحدقان طويلاً، أحدهما في الآخر، فقد بدا كأن توأماً عميقاً قد حدث بينهما. وكأن رباطاً ظل يقارب بينهما عبر الزمن.

قال والتر بهدوء وهو يلوح بيده المرتبكة في الهواء: «مرحبًا».

عندما فشلا في التوقف عن التحديق أحدهما إلى الآخر، سرت ومضة من الوعي بين أفراد المجموعة.

سمعت والتر يهمس: «انتظر، برادلي، اسمها هو ليلي وايلدر. ألم يكن ذلك...؟».

همس برادلي: «يا إلهي، أنت على حق. إنها صاحبة المزرعة التي كان يعمل فيها، أليس كذلك؟».

قالت ليلي: «بلى، أنا هي بكل تأكيد». بينما أخذ الدم يغلي في عروقها، واحتشدت في كيانها مشاعر الغضب، والانجذاب، والارتباك، وتملكت منه. لقد انكشف السر، وقد كان ذلك خطأها. إنها تدرك تمامًا هذه الحقيقة؛ لكن ما الذي يمكنها فعله؟

شعرت بدهشة شديدة وهي تراقب ليو الذي بدا مستمتعًا بالموقف، ثم استطردت قائلة: «أنا وليو تربطنا معرفة قديمة، أليس كذلك؟».

أومأ ليو ببطء وهو يخرج نفسًا مسموعًا: «بلى».

لسوء الحظ حتى مع ظهور تفاصيل ماضيها للملأ حتى رآها الجميع، فإن لحظة الانفعال تلك لم تمر على الفور، ومن أجل سلامتها العقلية، أرادت لذلك الموقف أن ينتهي.

قالت، وهي تشيح ببصرها بعيدًا في حزن: «حسنًا، عليكم جميعًا أن تقرأوا الشفرة. انتهى وقت القيل والقال، ليلي وايلدر تريد منكم أن تنظفوا المكان وتنصبوا الخيام».

الفصل التاسع

بعد تناول العشاء - الذي اشتمل على الكثير من الفلفل الحار، وخبز الذرة، ومشروب إضافي ليو، ومشروب الشيكولاتة الساخن اللذيذ الذي أعدته لي لي لجميع - وقفوا ببطء محدثين ضجة بسبب أناتهم وتأوهاتهم المصاحبة للألم الناجم عن جلوسهم على السرج؛ حيث بدوا في انحنائهم حول لهب النار أكبر سنًا عشر سنوات.

اتجه والتر إلى حيث كانت لي لي ونيكول تراجعان بعض الملاحظات حول مسار رحلة الغد.

قال: «أردت أن أتمنى لكما ليلة سعيدة وأسألكما عما إذا كان هناك أي شيء يمكنني مساعدتكما فيه قبل خلودي إلى النوم». تفحصت عيناه المكان؛ ولكن سرعان ما استرعى انتباهه دفتر ملاحظات جلدي قديم - دفتر يوميات ديوك - الذي كان موضوعًا على الطاولة. قال وهو يمد يده ليتحسس بأصابعه الشريط الجلدي الأصفر الباهت الذي كان يستخدم عادة لجمع أوراق الدفتر معًا: «رائع، ذلك يبدو عتيقًا».

قالت لي لي ضاحكة: «ليس رائعًا ولا عتيقًا، أؤكد لك أنه مجرد دفتر قديم».

وضع تيري كوبه في حوض الغسيل، وأشار إلى الدفتر قائلاً: «لا يمكنك العثور على مثله الآن».

ردت لي لي: «بالتأكيد لا أستطيع»، ثم أغلقت الدفتر ووضعتة في حقيبتها. لم تكن تحب تلك الكلمات والرسوم التي تزين الصفحات؛ لكنها شعرت بأن عليها أن تحافظ عليه على أي حال، ثم أضافت: «شكرًا على العرض يا والتر؛ ولكن أنا لست بحاجة إلى أي شيء آخر. يجب أن تناموا الآن يا رفاق».

تمتم والتر: «تصبحين على خير»، ثم تركهم ومشى وهو يجر قدميه من التعب. أما برادلي وتيري فكانا مستعدين لاحتساء المزيد من المشروبات، لكنهما نظرا إلى ليلي ثم إلى ليو الجالس بمفرده قرب حفرة النار، فاستقر رأيهما على الانصراف في صمت.

بقيت نيكول فقط. وعندما انتبهت إليها ليلي، رفعت حاجبًا لأعلى، وأومات لها برأسها في استفهام صامت عما إذا كانت ليلي تريدها أن تبقى أم أن عليها الذهاب.

قالت ليلي وهي تشير برأسها نحو الخيام بهدوء: «ليلة سعيدة يا نيكول».

رأت ليلي أن الوقت قد حان للقيام بذلك.

وبمجرد أن غادرت نيكول، جلست هي بجوار النار، لا تعرف من أين تبدأ. لقد بدأت تلك المحادثة في عقلها مرات عديدة؛ لكن نتيجتها لم تكن مرضية مطلقًا بالنسبة إليها. وحتى في تخيلاتها لم تسر الأمور في الاتجاه الصحيح. ولم تحقق الموازنة بين الفهم، والشعور بالأذى، والعزاء، والتوبيخ.

لحسن الحظ، لم يتركها فريسة لهذا الصراع في داخلها، وتحدث قائلاً: «كما تعلمين، لسنا مضطرين إلى التحدث عن هذا الموضوع».

أطلقت ليلي ضحكة قوية ساخرة وقالت: «لا أرى كيف لنا أن نتجنب ذلك بأية حال من الأحوال، فسوف نمضي الكثير من الوقت معًا حتى الأسبوع المقبل. فدعنا ننته من هذا الأمر».

لقد كانت دائمًا سيئة في إجراء المحادثات العاطفية حتى قبل أن تعرفه؛ لكن للإنصاف علينا ذكر أن ليلي هي الابنة الوحيدة لرجل كان لا يملك سوى قدر قليل من العمق العاطفي، وامرأة لم تتمكن من تحمل عزلة العيش وسط المجهول مع زوج لم يكن حاضرًا قط على الرغم من وجوده الجسدي فقط. والعم دانيال هو من علمها كل ما تعرفه عن

الخيول وتربية المواشي، غير أن مشاعره وعواطفه لم تكن جياشة؛ لكنها كانت أفضل قليلاً مما كان عليه ديوك؛ لذا المشاعر لم تحتل قط أولوية في حياتها.

عرفت ليلى أن الطريقة التي تربت بها جعلتها امرأة قوية؛ ولكن ليو أظهر الجانب الرقيق في شخصيتها، إذ على مدى الأشهر الخمسة التي أمضاها معها، جعلها تستسلم لإرادته شيئاً فشيئاً حتى أصبحت تفصح له عن أي شيء يدور في خاطرها. لقد تطلب الأمر بعض التحفيز؛ ولكن في النهاية كانت تستسلم وتفتح فمها وتفصح عن كل ما تضرره.

وبصراحة، لقد توقفت عن القيام بذلك منذ وقت طويل.

مرت بضعة ثوانٍ كان ليو يفكر فيها قبل أن ينطلق في الحديث في صلب الموضوع ليكسب الجولة الأولى: «إن، ماذا حدث - أقصد بعد أن غادرت؟».

نظرت في كوبها المصنوع من الصفيح قبل أن تأخذ رشفة من مشروب الشيكولاتة الذي أصبح بارداً منذ فترة طويلة، وقالت: «أرى أنك تريد الحكاية من البداية».

قال وهو ينظر إليها: «لا أظن أنك تريد أن أتحدث كما لو كنا صديقين افترقا منذ زمن طويل؛ ولكن ربما يكون من الأفضل أن أبدأ بقول: كيف حالك؟».

ركزت ليلى انتباهها على لهب النار؛ ولكن تركيز نظراته عليها كان مثيراً للتوتر. استدارت ونظرت في عينيه سوداوي اللون، الثاقبتين، المألوفتين جداً لدرجة مؤلمة وقالت: «في الواقع، أجل. ربما يكون هذا أسهل».

قال: «حسناً يا ليلى»، وابتسم ابتسامته المرححة التي حركت دوامة صغيرة من المشاعر الرقيقة المدفونة داخلها، وأردف قائلاً: «كيف حالك؟».

ضحكت ليلى بشدة، وهي تحاول دفع الفيض الغامر للغضب والحزن الذي تصاعد في حلقها: «أعتقد أنني كنت مخطئة، كيف حالك، ليست البداية المناسبة».

غمرت نظرتيه وجهها، من منبت الشعر وصولاً إلى فمها. فبدأ طوفان المشاعر في التحرك داخلها، بسرعة وبشكل خطير، فأشاحت بوجهها عنه.

عندما تحدث مرة أخرى، كان صوته متوترًا للغاية، فخرجت كلماته كأنها همسات: «إذن، ربما سأبدأ من حيث أريد حقًا أن أبدأ: ماذا حدث للمزرعة؟».

ركزت نظراتها على وجهه وهي تجيب، حيث تملكته رغبة قوية في رؤية ردة فعله: «باعها ديوك بعد مغادرتك مباشرة».

تجمد ليو في مكانه وقال: «ماذا؟ لماذا؟».

حوّلت ليلي انتباهها إلى يديها حيث شبكت أصابعها معًا، وقالت: «في الواقع، بعد نحو أسبوع من ذهابك، سلم المفاتيح. لست متأكدة مما إذا كنت تتذكر ذلك الصباح الأخير، كان ديوك متجهًا إلى خارج المدينة».

قال ليو: «أتذكر، كان ذاهبًا إلى التنقيب».

قالت له: «اتضح أنه لم يكن ذاهبًا إلى التنقيب. حقًا لا أعلم كم مرة حاولت أن أتذكر إذا ما كان هو من أخبرني بمسألة التنقيب هذه، أم أنني من افترضت ذلك. كان ذاهبًا إلى التوقيع على بعض الأوراق في إحدى الشركات التي تتحقق من ملكية العقار قبل توقيع عقد بيعه. وبيع المزرعة لرجل من المنطقة يدعى جوناثان كروس».

قاطعها ليو، وقد بدا الارتباك واضحًا عليه: «أنا لا... هل خطط لذلك عندما غادر ذلك الصباح؟ لقد شعرت حينها بأنه يترك كل شيء لك».

قالت ليلي: «أعرف»، وتذكرت كم كانت ساذجة، وكيف شعرت بالحماس لرؤيته يذهب، وأضافت قائلة: «اعتقدت ذلك أيضًا؛ لكن هل تتذكر أنه ترك لي ملاحظة على الطاولة؟».

توقف ليو قليلًا، ثم أومأ برأسه ببطء.

«لقد كان ذلك أحد ألغازه الغبية. لم يستطع حتى إخباري وجهاً لوجه بأنه كان يبيع المزرعة. استغرق الأمر مني ساعة لفك الشفرة وفهم الرسالة المتضمنة، وورد في الملاحظة أيضًا أن لديه خططًا لاستثمار ذلك المال. ربما في بعض الرحلات الاستكشافية الكبيرة التي من شأنها أن تمنحه فرصة لنشر صورته على غلاف مجلة ناشيونال جيوغرافيك، ثم مسحت راحتي يديها المتعرقتين في فخذيها، وأضافت: «كنت في شدة الغضب، وغادرت المنزل ذلك اليوم».

انحنى ليو واضعًا رأسه بين يديه وقال: «يا إلهي! إنه لم يذكر أي شيء عن هذا». كانت على وشك الاستمرار في الحديث عندما أدهشتها كلماته: «ماذا تقصد؟ متى تحدثت إلى ديوك؟».

رد موضحًا حقيقة ما حدث: «عندما اتصلت بك مرة أخرى، الرسالة التي تركتها لك». هزت ليلي رأسها في صمت بينما أربكتها الصدمة.

قال وقد بدا عليه الأسى: «عندما اتصلت بي - أنا آسف حقًا، لقد كنت أقوم بترتيبات دفن والدتي. لقد كان يومًا عصيبًا بالنسبة إليّ، وأعلم أنني كنت فظًا معك؛ ولكن...». «ماذا... دفن والدتك...».

«عندما تخطيت أثر الصدمة حاولت الاتصال بك، فلم أجد حتى رسالة بريد صوتي؛ لذلك اتصلت بالمزرعة، وأخبرني ديوك بأنك لست هناك؛ ولكن يمكنني ترك رسالة معه».

ظلت كلمة دفن تتكرر مرارًا وتكرارًا في ذهنها. لقد ماتت والدته.

سألته قائلة: «هل تركت رسالة لي مع والدي؟».

أوماً برأسه: «نعم، بضع رسائل في الواقع».

حدقت ليلى في زهول، ولكن كلماتها كانت قاطعة: «أنا لم أتلقَّ أي رسالة. كل ما أعرفه هو ما قلته لي في ذلك الصباح الذي غادرت فيه: أن والدتك تعرضت لحادث؛ لكنها كانت على ما يرام».

عبس ليو ثم قال: «لقد أخبرت ديوك بأن والدتي توفيت بشكل غير متوقع متأثرة بجراحها، وأني لن أتمكن من ترك كورا والعودة إلى وايومنج».

هبطت تلك الكلمات عليها مثل صاعقة من السماء، وزلزلت كيائها تمامًا. لقد كانت غاضبة، وتصرفت بانديفاع؛ لكنها دفعت ثمن لحظة الغضب القصيرة تلك غاليًا، لم تفوت مكالمة ليو فقط، لكنها قد فشلت أيضًا في تلقي الرسائل الواردة من ديوك عن وفاة والدة ليو.

لقد كانت غبية جدًّا.

قالت بصوت مكتوم: «أنا حزينة لمعرفة ذلك. يا إلهي، لم تكن لديّ أي فكرة يا ليو». اعتدلت ببطء في جلستها، ونظرت إليه. وخيم عليها شعور قوي بالذنب كان أشبه بضربات حادة من الرعد تدوي في صدرها؛ ولكنها استطاعت أخيرًا أن تنطق الكلمات التالية: «لم أكن أعلم أنك اتصلت. ولم أكن أعرف بموت والدتك».

«أنا...»، ثم توقف عن الكلام، وهو يحاول النظر إلى عينيها قائلاً: «حقًا؟».

شعرت بالارتباك والضياع، وفي هذه اللحظة بدأت ذكرى تلك الأشهر القاتمة التي تبعت رحيل ليو تُمحي من عقلها. وهزت كتفيها، وقالت: «كنت غاضبة من ديوك لبيع المزرعة؛ لكنني لم أفاجا، فلم يكن حريصًا قط على مشاعري. ولم أكن أرد على مكالماته لأنني لم أرد أن أسمع أي هراء أو أعذار ملفقة، وعندما مضت الأيام ولم أتلقَّ أي رسالة أو مكالمة منك... افترضت أنك عدت إلى حياتك السابقة في مدينتك، ونسيت كل شيء عني، وألقيت بهاتفي في النهر».

سعل ليو بصوت يعبر عن صدمته، بينما كان يمرر يده المرتعشة خلال شعره، لتسدل الخصلات السوداء الناعمة على الفور على جبهته، وقال بصوت مبحوح: «أهذا يعني أنك طوال هذا الوقت... طوال هذا الوقت كنت تعتقدين...؟».

«كنت أعتقد أنك لم تعاود الاتصال بي أبدًا».

تغيرت ملامح وجهه الهادئة، وابتعد عنها، وأخرج نفسًا بدا كأنه كان حبيسًا في مكان ما في صدره على مدى السنوات العشر الماضية. ودت لو تدفن نفسها في الصحراء، فقد كانت حينها شابة حساسة، جريحة القلب، وحيدة.

خفض ليو رأسه ووضعها بين يديه، وأطلق ضحكة ساخرة قائلاً: «لا عجب في أنك كنت غاضبة مني جدًّا وأنت تعطينني الحذاء في السقيفة، حسنًا، هذا يفسر الكثير».

شعرت بالغثيان وتنهدت قائلة: «ليتني علمت بكل هذا. أنا حقًّا حزينة جدًّا بشأن والدتك».

التفت لينظر إليها وقال: «يا إلهي، لا يمكنني تخيل كيف تجمعت كل تلك الظروف السيئة معًا؛ ولكنني حزين لاعتقادك أنني تخليت عنك».

ابتلعت ريقها حتى تتمكن من الكلام، فقد أحست فجأة بأن حلقها جاف جدًّا، ثم أومأت برأسها قائلة: «أنا أعرف».

قال وعيناه مثبتتان على أسنة النيران: «بقيت أُمي على قيد الحياة مدة ساعة تقريبًا بعد وصولي إلى هناك، سأظل ممتنًا دائمًا لوصولي على فرصة توديعها قبل أن ترحل. لقد ساءت حالتها فجأة عندما كنت على متن الطائرة. بعد ذلك لا أعرف ماذا حدث. ربما أكون نسيت كل شيء في بضعة أيام، حتى أنت. آسف لإدراكي كل ذلك الآن بعد فوات الأوان. حينها شعرت بأن شيئًا ما بداخلي انكسر؛ لكنني لم أمتلك رفاهية الانهيار لأن...». هز رأسه وأضاف: «كورا كانت مع أُمي عندما صدمتها السيارة، وكانت في حالة هستيرية».

عم الصمت أرجاء المكان، وغطى كل شيء بما في ذلك صوت الجمرات المشتعلة. وبدأت السيناريوهات المحتملة الأخرى لماضيها تتصارع في عقلها، ولبرهة من الزمن تركت نفسها تتخبط بسبب ما يدور في ذهنها من أفكار: لو أنني احتفظت بهاتفني، أو لو أن ديوك قرر قيادة سيارته إلى المدينة للعثور عليّ، أو لو أن أسوأ هذه الأحداث لم يقع وديوك لم...

وعلى الفور قالت لنفسها توقي، وصرفت تلك الأفكار من ذهنها؛ حيث أدركت أنه حتى إذا ما تمكنا حينها من التحدث معًا لم يكن ذلك ليُحدث فرقًا. فهي تعلم الآن، بعد عشر سنوات من النضج، أن علاقتها هي وليو لم تكن لتنجح قط. وكانت تلك هي الحقيقة المرة، وليس باليد حيلة؛ فقد كانوا من عالمين مختلفين.

نظرت إليه وهي تقول: «أظن أن والدك لم يأت قط؟». فكل ما أمكنها تذكره أنه أخبرها بأن والده غادر عندما كانت كورا صغيرة، وأنه لم يظهر في حياتهم بعدها.

هز ليو رأسه، وقال: «أحد أبناء عمومة أمي في اليابان تعقبه، وقد كان رده على ما حدث: أليس ليو كبيرًا بما فيه الكفاية للاهتمام بالأمر؟».

سألته متعجبة: «تعني تولي مسؤولية رعاية ابنته؟ يا له من رجل حقيرًا».

أوما ليو برأسه، وهو يغير جلسته بجانبها: «ها قد فهمت الأمر بشكل صحيح».

مرت لحظات من السكون والفهم المتبادل بينهما، وهب نسيم من الهواء الدافئ حولهما. لقد كان ليو في الثانية والعشرين من عمره فقط، عندما أسندت إليه مهمة تربية أخته الصغيرة بمفرده، سألته ليلي: «هل بقيت في نيويورك؟».

أجابها: «في بروكلين. كان صاحب العقار شخصًا رائعًا. لم يرفع قيمة الإيجار. بل أعتقد أنه على العكس خفض قيمته، ولم يتغير ذلك المبلغ على مدى سنين. كنت أعلم أنه من الممكن الانتقال إلى مكان آخر بتكلفة منخفضة؛ لكن بعد أن رحلت أمي، لم يكن بمقدوري مغادرة المكان الوحيد الذي عشنا فيه معها. لم أستطع أن أفعل ذلك خاصة من أجل كورا. وكانت

لدى أمي بعض المدخرات وبعض أموال وثيقة التأمين على الحياة، وهذا ساعدني جدًا. أنهيت دراستي في الكلية، وحصلت على وظيفة بأسرع ما يمكن».

أطلقت نفسًا طويلاً وهي تقول: «وتحملت مسؤولية تربيته».

ابتسم ابتسامة أظهرت فخره وهو يقول: «نعم».

«لا بد أن ذلك كان صعبًا للغاية على كليكما».

«كان ذلك أفضل شيء فعلته في حياتي. لقد تخرجت في مدرسة كولومبيا الثانوية الأسبوع الماضي، فهل أخبرتك بذلك؟ وستبدأ دراسة الطب في جامعة بوسطن في الخريف».

قالت لي في دهشة: «هذا رائع. هنيئًا لها»، ثم نظرت إليه، وأردفت: «هناك الكثير من التفاصيل التي أغفلت ذكرها عن حياتك أنت، هل لاحظت ذلك؟».

نظر إليها وهز كتفيه في لا مبالة، كما لو كان يتحدث عن تفاصيل حياته أمرًا تافهًا أو ثانويًا: «لأكون صادقًا معك، أشعر بأنني كنت أسير خلف ضباب؛ ولكنني تمكنت الآن فقط من تجاوزه مبتعدًا عنه وتاركًا إياه خلفي».

«ولكن جسر الضباب هذا كان طويلًا جدًا».

ضحك بهدوء وقال: «لا أمزح. لقد أدركت في الليلة السابقة أنه على مدار السنوات العشر الماضية لم يكن لدي أي هدف سوى الاهتمام بـ كورا، فلم أخطط لمستقبلي، وهآنذا أواجه النتيجة الآن: ثرى، ما الشكل الذي ستكون عليه حياتي؟».

بالطبع لن تستطيع ليلى مساعدته في هذا الصدد، فهي نفسها لم تكن تعرف ما هو شكل الحياة الذي يفترض بها أن تحياها كذلك.

انحنى ليو ليلتقط عصا ويطرق بها على إحدى الصخور المتراسة على شكل حلقة حول النار. شعرت بأن هناك شيئاً ما، وتذكرت طريقته؛ كيف كان يغير دفة الحديث ببعض الحركات قبل التلفظ بأية كلمات. حملت نبرة صوته بعض المرح عندما قال: «هل يمكنني أن أسألك شيئاً؟».

«بالتأكيد».

نظر إليها وابتسم تلك الابتسامة التي فتنها يوماً ما: «ما الذي سنجده بالضبط في نهاية تلك الرحلة؟».

لم يكن هذا ما توقعت أن يسألها عنه على الإطلاق. فقالت بصدق مبالغ فيه: «ستكتشف ذاتك الحقيقية، محبتك للهواء الطلق، واستمتاعك بروح المغامرة».

جعلتها ملامح وجه ليو المتشككة والهزلية تضحك.

أذعنت في النهاية وصارحته قائلة: «الكنز هو في الغالب أشياء تتبرع بها الشركات المحلية؛ ولكن بحلول الوقت الذي يعرف فيه السائحون الحقيقة، ويفكون الشفرة النهائية، يصبحون فخورين بأنفسهم لدرجة أنهم لا يهتمون بما يوجد في ذلك الكهف».

غمغم وتقمص طريقة رجل التحري وهو يقول: «إذن، أنتِ تقولين إن الكنز يوجد في كهف»، ثم تظاهر بكتابة هذه المعلومة على راحة يده.

ضحكت ليلي بشدة، وقالت: «لا تفرح وتتخيل أنك حصلت على معلومة حصرية. فهناك نحو مليون كهف صغير في كل مكان هنا».

قال: «كوني صادقة معي. هل ستكون هناك الكثير من القلادات المصنوعة من الخرز والمجوهرات المزيفة داخل صندوق كنوز بلاستيكي، هذا ما سنعثر عليه، أليس كذلك؟».

تلاقت نظراتهما لتجيب بعدها: «قد تكون هناك ألعاب اليويو، وكرات تخفيف الإجهاد الأصلية».

وبعد لحظات قطعت ذلك التواصل البصري لما شعرت به من توتر شديد بسبب نظراته المليئة بالحب.

قال: «حسنًا، أعدك بأن أتحدى بروح رياضية، وأن أجعل تيري يعدّل طريقته قدر الإمكان». «ما مشكلته على أي حال؟».

«ذهبنا إلى الجامعة معًا؛ لكنه مجرد صديق لأحد أصدقائي؛ شخص أراه في الأفراح والمناسبات الأخرى. وعادة لا توجه إليه الدعوة أبدًا في مثل هذه الرحلات لأسباب واضحة. وإذا تسبب في أي مشكلة، فسأتعامل أنا معه».

أومأت برأسها متكئة إلى الخلف، ثم استندت بقدميها على صخرة كبيرة بالقرب من النار. قال: «سؤال أخير، بما أننا لم نزل في مرحلة إزالة أي سوء فهم».

كانت الحرارة المنبعثة من النيران معتدلة، وتبعث على الدفء، وبطريقة ما تتواءم مع المشاعر التي بدأت التدفق بينهما: نوع من السكون والهدوء الذي ينم عن زوبان الخلافات، فلم تعد هناك أي مشاعر غضب متأججة يكاد لهيبها يصل عنان السماء. همهمت قائلة: «تفضل».

سألها: «ماذا حدث مع ديوك؟ هل استطعتما حل ما بينكما من خلافات؟ وأين هو؟».

ضحكت ليلى بسخرية، وضغطت براحة يدها على جبهتها متسائلة في قرارة نفسها كم عدد الموضوعات الصعبة التي ستُفتح الليلة؟

لكن الكلمات الأولى لإجابتها اختفت تحت وقع الصوت المفاجئ لصرخات نيكول وهي تقول: «يا إلهي ما الذي تفعله؟».

نهضت ليلى بسرعة، قبل أن تستوعب ما يحدث، وركضت نحو الخيام، بينما صاح تيري ردًا على نيكول: «أقضي حاجتي يا فتاة».

توقفت ليلى لتلتقط أنفاسها، ثم استدارت حول تجمع صغير للصخور لتصل إلى موقع الخيام. وفي الظلام لمحت تيري واقفًا بين خيمته وخيمة نيكول.

وما إن شاهدته حتى أشاحت بوجهها سريعًا، وقالت: «يا إلهي، ما هذا؟».

قالت نيكول وهي تنفجر غضبًا: «كان هذا الأحمق يتبول بجانب خيمتي. هل جننت لتفعل شيئًا كهذا؟».

ذكّرها تيري بوقاحة: «الوقت متأخر، لقد قلت لنا ألا نبتعد في الظلام، أليس كذلك؟».

«نعم، ولكن كان بإمكانك أن تبتعد قليلًا ولو مسافة عشر خطوات».

بعد أن أدركت أن تلك لم تكن أزمة تتطلب وجودها، ابتعدت ليلى، وأخذت نفسًا عميقًا لتهدئ من روعها؛ حيث شعرت بأنها قد تلقت ضربات قوية. وعلى يسارها كان تيري يتصرف بطريقته المزعجة المعهودة. وعلى يمينها كان ليو والآثار المزلزمة لمحدثتها العاطفية معه.

قامت بالعد إلى ثلاثة، في محاولة منها لتهدئة أعصابها والتخلص من الأدرينالين الزائد في دمها؛ لكن عملية انسحابه كانت بطيئة، فحتى بعد أن أخذت عدة أنفاس عميقة، كانت أصابعها ترتعش، ولا تزال تشعر بعدم الاتزان. صارت الحقيقة واضحة جلية الآن؛ طوال هذه السنين كانت تظن أنه غادر لمساعدة والدته أثناء تعافيتها من كسر في الساق، أو ربما ارتجاج في المخ. وفي عالمها كان الناس يتعرضون للإصابة طوال الوقت، ولكن في

صغرها، لم تشهد قط موت شخص تعرفه في حادث، ومن ثم لم يخطر قط في بالها أن يكون ليو حينما غادر عائداً إلى منزله، قد وجد أن الأمور أكثر فظاعة مما اعتقدت هي. لقد ظلت تعتبر نفسها الطرف المظلوم فترة طويلة؛ ولكنها الآن أدركت الحقيقة المؤلمة: إنهما كانا ضحيتين للظروف السيئة.

وقف ليو في مكان قريب ساكناً لا يتكلم ولا يتحرك. كان بإمكانها أن تعاود أدراجها إلى مكانها المجاور للنار لتجيب عن السؤال المهم الذي طرحه من فوره: ماذا حدث لـ ديوك؟ لكنها في أعماق نفسها أدركت أنه لا فائدة من إجراء هذه المحادثة. فالحقيقة المؤكدة عن أي مأساة أنه بمجرد وقوعها ما من شيء على وجه الأرض يمكنه أن يجعلها تبدو أقل ألماً. كان وجود ليو هو الشرارة التي أدخلت لمحة من الحب والضحك والأمن في حياتها؛ ولكن رحيله أثبت لها ما كانت تعرفه بالفعل: أن الأشياء الجميلة تمضي سريعاً.

كان الهواء البعيد عن النار بارداً وجافاً، وعندما التفتت ليلي ونظرت إليه رأت في عينيه أنه أدرك ما يجول في خاطرها: لم يعد مناسباً تكلمة ذلك الحديث.

ابتسم وهو يقول لها: «نومًا هنيئًا يا ليلي».

الفصل العاشر

لم تكن دروس التاباتا التي كان ليو يشارك فيها على مدى سبعة أيام في الأسبوع في نادي أبر إيست سايد أيكوينوكس الرياضي كافية لتدريبه على تحمل الألم الذي أخذ يباغته كل صباح أثناء تلك الرحلة. وبحلول اليوم الرابع، بدا أن الأمر صار أسهل قليلاً؛ لكن خطوته الأولى للخروج من الخيمة ظلت مؤلمة، ففي الدقائق العشرين الأولى من الصباح، كان يستطيع المشي بمشقة، ولم يكن الألم مقتصرًا على منطقة الظهر والساقين فقط؛ بل عندما كان يأخذ نفسًا عميقًا كان هذا يؤلمه أيضًا. وعندما كان ينحني ليبصق بقايا معجون أسنانه يتسبب له ذلك في حدوث تشنج حاد على جانبي جسده. لم يكن متأكدًا ما إذا كان السبب هو برودة الطقس، أم الهواء الجاف، أم عدد الساعات التي كان يقضيها على ظهر الحصان، أم النوم على الأرض؛ لكنه كان يستيقظ وهو يشعر بأنه قد كبر عشر سنوات.

مر يومان كاملان على تحدته هو ويلي حول نيران المخيم، وكانت هي تبذل قصارى جهدها لتجنبه. بالتأكيد، كانت تسأله عما إذا كان يريد المزيد من سلطة البطاطس على الغداء، وتخبره بأن عليه أن يمنع آيس من تناول العشب على طول الطريق أثناء سيرهم، لكنهما لم يتحدثا عن أي شيء مهم منذ ذلك الحين، ولم يتطرقا قط إلى موضوع ما إذا كانت هي ووالدها قد تصالحا أم لا. هكذا بدا الأمر كأن جزءًا آخر من اللغز لم يحل بعد.

وبالقرب من مجموعة صغيرة من الصخور؛ حيث أعدت نيكول مكانًا مؤقتًا لغسل الأيدي - إبريقًا من الماء العذب، وقطعًا من الصابون، وبعض مناشف اليد النظيفة - وقف ليو ينظر مع إشراقة الصباح إلى الصخور التي تجمعت معًا في الأفق. خلال الأيام القليلة الماضية، صادفوا بعض العلامات التي تدل على وجود بعض الأشخاص في المنطقة - مثل وجود بعض القمامة من حين إلى آخر، أو إطار دراجة مكسور، أو علامة إرشادية على الطريق - ولكن على الرغم من ذلك كان من السهل ملاحظة مدى العزلة التي سيصبحون عليها بعد أميال قليلة. فقد كانت تلك أرضًا مقفرة؛ لكنها مع ذلك باهرة تخطف الأنفاس؛ حيث يتبدل

المشهد بين الأرض الرملية المنبسطة، والجروف شديدة الانحدار، والتلال الصخرية برتقالية اللون. كما نمت أجمات كثيفة من نبات المريمية الخضراء عبر الطريق المنحوت الذي تجمعت المياه من حوله، بينما وقفت الأشجار الباسقة في شموخ فارضة حضورها في تجسيد واضح لاستمرارية الحياة. ويضم المشهد أيضًا أشعة الشمس الذهبية التي تحتضن الصخرة الحمراء من كل زاوية، لتنير وجه الأرض بمشهد خلاب لتدرجات اللون البرتقالي المذهل: البرتقالي الزاهي، ثم المائل إلى البني، والقرمزي، والأرجواني. وفي غضون ساعتين، سيطغى اللون الأزرق المبهج على صفحة السماء. كان الضوء بالفعل شديد السطوع، والهواء جاف، حتى إن عينيه تهيجتا.

وعند سماع ليو الحمحمات الخافتة للخيول المتشاحنة، واستنشاقه الهواء المعبأ برائحة دخان المخيم، استطاع أن يتخيل رعاة البقر وهم يندفعون من خلال ذلك الممر، مثيرين حولهم عاصفة من الغبار، بينما يلاحقهم صخب قطعان الماشية والخيول.

وفجأة سمع ليو صوت همهمات خلفه، فالتفت ليرى أن والتر قد أخرج نصف جسده خارج خيمته، بينما كان قميصه مرفوعًا حول ضلوعه، ووجهه ملامس للتربة الحمراء.

وضع ليو فرشاة أسنانه في حقيبة أدوات الاستحمام الخاصة به، وصاح قائلاً: «مهلاً يا والتر».

نظر إلى ليو بعينيه الناعستين المثيرتين للشفقة، وقال: «خاصرتي تؤلمني».

كان ليو يشعر بألم شديد في عموده الفقري؛ لذا قال: «استغرق الأمر مني عشر دقائق لأرتدي قميصي».

سأله والتر بصوت واهن: «هل سأتمكن من الجلوس مثل الشخص الطبيعي مرة أخرى؟ لا أتذكر كيف يمكنني الاقتراب أيضًا من أي مقعد للجلوس دون الشعور بالخوف».

جفل ليو وهو ينحني ببطاء لمساعدة صديقه على النهوض، وقال: «أرغب بشدة في أن أنهال بالضرب على برادلي». ثم سارا معًا بخطوات متعثرة في طريقهما نحو النار.

كانت نيكول تشاهدهما باستمتاع – وهي تجهز وجبة الفطور- وهما يحاولان الجلوس برشاقة على مقعد من الحجر الرملي. ومازحتهما قائلة: «سيصبح الأمر أسهل كثيرًا عما قريب، أعدكما بذلك».

بدا والتر كأنه قد تعرض للخداع: «لقد قلت ذلك أمس».

رفع ليو بصره في الوقت المناسب ليرى ليلي تقترب وهي تحمل زوجًا من أغطية السرج بين ذراعيها، وتماّمًا مثل اليومين الماضيين، تجنبت النظر إلى عينيه. وكان شعرها مضفرًا أسفل قبعة رعاة البقر، بينما كان بنطالها الجينز مغبرًا، فيبدو أنها أنجزت الكثير من العمل قبل الساعة السادسة صباحًا أكثر مما كان ينجزه معظم الناس طوال اليوم، ورؤيته إياها في ظل ضوء الصباح الخافت جعلت قلبه يؤلمه.

قالت ليلي: «قد ترغبان في تناول بعض أقراص الإيبوبروفين، فلدينا اليوم رحلة مدتها ست ساعات».

أطلق والتر زفرة وقال في دهشة: «ست ساعات».

اقتربت منه نيكول وهي تناوله قدحًا من القهوة كان يتصاعد منه البخار، فتسلمه منها وهو يشكرها بانحناء خفيفة. أعطت الكوب الثاني ل ليو قبل أن تعود ناحية الطاولة. شعر ليو فجأة بأن الحياة على هذا المنوال بشكل دائم أمر مثير للسخرية جدًا. فقبل أيام قليلة كان يحيا حياة آمنة ومملة في الوقت ذاته، يحضر اجتماعات أو يرد على رسائل البريد الإلكتروني طيلة تسع ساعات يوميًا؛ وها هو اليوم يشعر بأن حياته قد انقلبت رأسًا على عقب. وفي المقابل، كانت ليلي تتجول بارتياح، أكثر مما كان عليه الأمر قبل حديثهما، كما

لو أنهما تمكنا من تسوية خلافات الماضي، وليس عليهما الآن سوى الخروج من بابه وإغلاقه خلفهما.

لم يكن ليو متأكدًا مما إذا كان يريد حقًا إغلاق ذلك الباب، فهو لا يزال لديه الكثير من الأسئلة عن تلك السنوات التي ابتعد كل منهما فيها عن الآخر، فضلًا عن أن جزءًا منه - وهو على الأرجح جزء جديد مضطرب - يريد بدلًا من ذلك فتح هذا الباب.

أراد إنهاء حديثهما السابق، وبناء على هذا لن يتركها تهرب منه اليوم.

ظلت عيناه مثبتتان عليها بينما كانت تلقي بقطعة أخرى من الخشب وسط النيران، ثم حملت إناء من حديد الزهر ووضعتَه فوق بقايا الخشب المحترق الذي حولته أسنة اللهب إلى فحم. وعندما اعتدلت واقفة، ضبطته وهو يحدق إليها، لكنه مع ذلك لم يحوّل نظره بعيدًا.

قالت نيكول وهي تحمل في يدها عقب سيجارة: «يا للهول، ما هذا؟ لا بد أن السياح الأغبياء كانوا يدخنون هنا». دفعته بقدمها نحو صندوق القمامة، وأردفت: «هل ينوون إضرام النيران في هذا الوادي اللعين؟».

سأل والتر: «هل سمع أي شخص الليلة الماضية صوت حفيف الأشجار، بدا كأن شخصًا ما كان يتجوّل في الخارج».

أجابته ليلي: «على الأرجح كان ذلك صوت بعض الحيوانات وهي تبحث عن الطعام، نحن الدخلاء هنا، فنحن نخيم بالقرب من أماكن طعامها».

ارتعشت يد والتر وهو يحمل الفنجان.

في هذه اللحظة، رُفع غطاء إحدى الخيام، وخرج برادلي وهو يتمطى تحت أشعة الشمس المشرقة، كانت هيئته تبدو مهلهلة قليلًا، ومختلفة عما كانت عليه عندما وصلوا؛ لكن

بالتأكيد كانت أكثر إشراقًا من الباقين.

قال برادلي: «يا إلهي، لقد نمت جيدًا»، ثم رفع قميصه ليخدش بطنه، ولاحظ ليو الطريقة التي نظرت بها نيكول ويلي إليه، فأحس على الفور ببعض الاستياء. مشى برادلي تجاه أحد أكبر حواف الحجر الرملي، واستند بحذائه إلى حافة جرف شديد الانحدار، وهو يضع كلتا قبضتيه على وركيه بينما يتأمل المشهد قائلاً: «أشعر بالسعادة هنا، فضربات قلبي تتسارع، ودمي يتدفق بقوة من فرط الإثارة».

انضم إليهم تيري بعد بضع دقائق، وكان يبدو أفضل حالًا إلى حد ما من ليو، قال وهو يلتقط تفاحة: «لديّ بعض الاقتراحات لوجهتنا اليوم».

قالت له ليلي متجاهلة خيبة أمله: «لقد تولينا الاهتمام بهذا الأمر يا تيري. ابدأوا طي الخيام واستعدوا للذهاب بعد تناول الفطور، أماننا يوم طويل».

لم تكن تمزح، فقد استنزفت حرارة ذلك اليوم أي حماس متبقي لديهم عندما وصلوا في النهاية إلى المخيم. وبينما امتد الظل الطويل للحصان آيس على الأرض، تشوهت صورة هذا الظل فجأة عندما اقتربوا من شجيرات الصنوبر والبقع المتفرقة لنبات العرعر الذي ازدهر وأينع في تلك التربة القاحلة.

قاموا بربط الخيول، ثم تجمعوا جميعًا محافظين على مسافة آمنة تفصلهم عن الحافة المطلة على الوادي الشاسع في الأسفل.

قال برادلي محاولاً التمعن في مشاهدة الجرف شديد الانحدار: «يا إلهي، انظروا إلى هذا العمق السحيق»، ثم رفع يده إلى جبهته وهو يقول: «أشعر بالدوار بمجرد النظر إليه. أين نحن هذه المرة؟».

أجابته ليلى: «إنه ممر ميمز أوفرلوك»، ثم حذرتهم بذراع ممدودة: «إذا سقط أحدكم هنا، فسيموت فوراً».

تراجع برادلي في إزعان.

تفحص ليو هذا الجزء من الوادي، الذي كان يبعد عنهم مسافة طويلة في الأسفل، بتكويناته المعقدة والمتعرجة، وقال: «لا يبدو ذلك حقيقياً».

وافقته ليلى الرأي قائلة: «إنه لا يبدو كذلك حقاً. فهل تصدق أن هذا كله تكون عندما كانت مياه الأمطار تتدفق بحثاً عن البحر؟».

قال والتر: «هذا يجعلني حزيناً بعض الشيء».

لم يراود ليو قط حلم امتلاك أجنحة مثل الطيور ليحلق بها في الفضاء؛ لكنه في تلك اللحظة كان يتوق إلى ذلك. كان هناك شيء ما في ذلك الوادي جعله يرغب في الاستكشاف، أن يطير من أعلى قمة صخرية حمراء محلقاً نحو أخرى، ثم يهبط إلى الأسفل نحو تلك المتاهة الحية من الأخاديد المتقاطعة، المذهلة والمخيفة في الوقت ذاته.

سأل والتر: «نحن لن نذهب إلى هناك، أليس كذلك؟».

رد تيري: «مستحيل، فالجبناء أمثالكم لن يستطيعوا البقاء ولو يوماً واحداً هناك».

حدق والتر إلى وجهه وهو يقول: «وهل فعلت أنت ذلك من قبل؟».

مد تيري ذراعيه كما لو كان الأمر واضحاً ولا يحتاج إلى تعليق، وقال: «بالتأكيد يا صاح».

سأل ليو ليلى: «هل سبق لك أن اصطحبت أحداً إلى هناك؟».

مدت يدها إلى جيبها لتلتقط مرطب الشفاه الواقى من الشمس الذي تحتفظ به معها دائمًا، وبدأ أن الأمر كان يتطلب صاعقة من السماء ليصرف نظره بعيدًا عنها بينما كانت تضع المرطب على شفتيها وتجيب قائلة: «بالتأكيد، اصطحبت المتجولين المتمرسين فقط، إلى مناطق محددة. فالمنطقة النائبة بعيدة جدًا. كما أن البعض يذهب إلى هناك عبر النهر، أو في سيارات الدفع الرباعي؛ لكن الطرق تصل بك إلى نقطة معينة، وعليك أن تكمل الطريق سيرًا على الأقدام». ضمت شفتيها معًا لتوزع مرطب الشفاه عليهما بالتساوي. ابتلع ليو ريقه بصعوبة، وأشاح ببصره بعيدًا.

أطلق برادلي ضحكة هادئة بجانبه، ثم وكزه في صدره وهو يقول: «هل أنت بخير؟».

قالت نيكول: «يمكنك أن تفعل ذلك يومًا ما يا والتر. ستحتاج فقط إلى مرشد جيد؛ لكن الأمر ليس مستحيلًا. انظر إليك وإلى الحصان ديناميت، أراهن أنك لم تعتقد قط في يوم من الأيام أن بإمكانك أن تأتي إلى هنا وتمتطي الحصان مثل رعاة البقر الحقيقيين».

كان والتر لا يزال يتأمل المتاهة بقلق.

نظرت ليلي إلى البقعة الترايبية الممتدة خلفهم، ثم قالت: «سنقيم مخيمنا هناك؛ لكن أولًا». استدارت نحو صندوق مؤن قد ترك في المكان من قبل، وبحثت داخله عن صندوق خشبي صغير، وسحبته إلى أعلى، وأردفت قائلة: «بينما أنا ونيكول نطعم الخيول ونسقيها، أريد منكم أن تعملوا على حل هذا اللغز معًا. سوف تحتاجون إلى ما في داخل هذا الصندوق إذا أردتم تناول الطعام».

حدق والتر إلى الصندوق الصغير في يدها، وقال: «هل العشاء في داخله؟».

نظر إليه تيري بانزعاج وهو يقول: «نعم يا والتر، فهي تنوي أن تقدّم إلينا تلك الحبيبات التي تتحوّل إلى طعام حقيقي في بطوننا».

غمغم والتر متحمسًا: «رائع».

أمال ليو قبعة والتر على عينيه وهو يقول: «أعتقد أنها تعني أن داخله مفتاحًا لرموز علينا حلها أو شيئًا من هذا القبيل».

علقت ليلي قائلة: «هذا بالضبط ما أعنيه». ودون أن تنظر إليه، سلمت ليو الصندوق، وأضافت: «وسيلة الحصول على عشاء الليلة هنا داخل ذلك الصندوق؛ لكنه لغز معقد بعض الشيء؛ لذا عليكم بدء العمل».

بدا برادلي متعجبًا وهو يقول: «لا أريد أن أخيب أملك يا ليلي؛ لكن حل لغز المربعات المركبة بمهارة في اليوم السابق كان مجرد غيظ من فيض. فليو الواقف هنا يمكنه حل أي معضلة».

أيده والتر قائلاً: «لقد حُبست في شقتي أربع مرات، واستطاع ليو في كل مرة أن يحررني».

اعتدل ليو وشعر بالتوتر بسبب إدراكه أنه أصبح محور نظرات ليلي الهادئة، قال مازحًا في إحراج: «يجب أن تشاهديني وأنا ألعب لعبة تتريس».

رفعت حاجبها باستمتاع وقالت: «أجزم أنه أمر مشوق».

قال في قرارة نفسه: «يا له من إحساس أسرا!». وفي هذه اللحظة شعر بأن كرامة خضراء غضة شقت لنفسها طريقًا عبر ضلوعه، فأحاطتها بقوة ليشعر هو بذلك الضغط ويزداد افتتاحًا بها. ضرب على صدره وهو شارد الذهن، كما لو كان بإمكانه صرف هذا الشعور بعيدًا. بدت ليلي رائعة وذكية؛ بل أكثر براعة مما كانت عليه في الماضي؛ لكنه كان يعلم أكثر من أي شخص آخر أن لكل منهما حياته الخاصة التي تختلف تمامًا عن حياة الآخر، وكان حياتهما أشبه بمجموعة من قطع الأحجية التي تنتمي إلى صورتين مختلفتين.

ولكن عندما أطالت النظر إليه، عاوده ذلك الشعور بالضغط على ضلوعه مرة أخرى؛ ولكن بصورة أكثر قسوة الآن.

أشارت إلى الصندوق الذي بين يديه، وأردفت قائلة: «جيد جدًا؛ لأنني أعني ذلك عندما أقول إنكم لن تأكلوا شيئًا الليلة حتى تصلوا إلى حل اللغز».

حدق ليو إلى برادلي أثناء عملهما ما يقرب من نصف الساعة على حل لغز الأحجية الخشبية، وقال: «أنا حقًا أكرهك».

نادى والتر المرشدتين وقال: «هل يمكننا فيما بعد الاتفاق مسبقًا على غسل الأطباق مقابل الحصول على حل اللغز؟ أنا أتصور جوعًا».

قالت نيكول وهي تبتسم بلطف: «يا عزيزي، عليك أن تحل اللغز وسوف تغسل الأطباق أيضًا».

قال برادلي بصوت مسموع: «ركز فقط، لقد اقتربنا من الحل».

كانت كلمة اقتربنا بلا معنى تقريبًا، فقد كان حجم مربع الأحجية نحو 15 سم في 15 سم، ومصنوع من ألواح خشبية مصممة على شكل متاهة صغيرة مثبتة على كل سطح. وتحتوي كل متاهة على دبوس، وكان الهدف هو النجاح في جعل كل دبوس ينزلق حتى يمكن إزالة اللوح الخشبي المقابل له. وكانت المشكلة أنه كان عليهم العمل معًا لضمان أن ينزلق كل دبوس في موضعه الصحيح، وعلى الرغم من أن ليو كان يرى بالضبط كيف يمكنه القيام بذلك، فإن وجود ثلاث أيدي كبيرة محشورة في مساحة صغيرة في الوقت نفسه يُعد تحديًا كبيرًا. وبعد قضاء أكثر من ست ساعات على السرج، وانتظارهم وجبة العشاء بفارغ الصبر، أصبحت كلمة تحدُّ أقل من الواقع كثيرًا.

وأدرك ليو أن هذا هو الهدف من الأمر برمته.

كانت الميزة على الأقل هي وجود ثلاثة فقط معًا، فقد استطاعوا العمل معًا بشكل جيد نسبيًا؛ وذهب تيري بمفرده إلى مكان مجهول.

خفض برادلي صوته، ثم أوماً إلى حيث كانت ليلي ونيكول ذاهبتين للاطمئنان على الخيول، وقال: «ماذا ستفعل حيال ذلك... لقد عرفتك منذ ثلاثة عشر عامًا، ولم أرك قط في حياتي تنظر إلى امرأة بهذه الطريقة».

بضحكة جافة، قال له ليو: «لا أعتقد أن تلك المشاعر التي كانت بيننا ستطغى على الأجواء هذا الأسبوع».

«ما هذا الذي تقوله؟ لقد كنتما معًا فترة من الوقت تلك الليلة. والنجوم في السماء تلمع فوقكما، ونار المخيم تدفئكما، وتحيط بكما الخيام. كان المشهد يتحدث عن نفسه».

هز رأسه وقال: «كنا فقط نعالج سوء الفهم، فهي لم تتلقَّ أيًا من رسائلي. ولم تكن تعرف شيئًا عن وفاة والدتي، اعتقدت فقط أنني غادرت ونسيت أمرها تمامًا».

قال والتر: «مسكينة يا ليلي».

لوح برادلي وهو يقول: «عليك ألا تكتفي بالحديث عن موت والدتك فقط إذا كنت تريد كسب ودها من جديد. بل حاول أن تتصرف بذكاء يا ليو».

حاول ليو أن يحرر أحد أصابع والتر من المكان الذي علق به، وهو يقول: «هي تعيش في ولاية يوتا، وأنا في نيويورك. وإذا حاولت رسم مخطط لحياتنا، فلن تتقاطع الدوائر».

قال برادلي: «أنا لا أتحدث عن إقامة حفل زواج لكما هنا، حاول فقط التقرب منها».

«سيكون هذا أمرًا... صعبًا للغاية».

نظر حوله للتأكد من أن ليلي ونيكول غير قادرتين على سماعهما: «يمكننا أن نطلب من نيكول اصطحابنا في نزهة غدًا صباحًا حتى تتمكن أنت وليلي من التحدث معًا».

«برادلي، اصمت».

«إنني أحاول مساعدتك».

أمسك ليو دبوسًا بسبابته، ومد يده حول الصندوق لدفع دبوس آخر بإبهامه وقال: «سأتجاهل ما قلته».

قال برادلي: «خذ بنصيحتي ولن تندم».

«قلت لك اصمت».

«يبدو أنك مصمم».

رد ليو: «أعتقد أنني اقتربت من الحل». وبتركيز شديد، ومستخدمًا جانب إبهامه حرك أحد الدبابيس إلى مكانه بنقرة واحدة، وانزلق اللوح الخشبي ليكشف عن فتحة صغيرة.

صاح برادلي، وهو يقفز واقفًا على قدميه: «ليو، لقد فعلتها».

حدق ليو إلى الفتحة، وبالكاد تمكن من رؤية مفتاح صغير يلمع متصلًا بأحد الجانبين. لقد حاول الوصول إليه؛ لكنه لم يتمكن لأن الفتحة كانت صغيرة جدًا.

أشار إلى والتر قائلاً: «هل يمكنك إخراجه؟».

حاول والتر، لكنه فشل؛ لذا قال: «نحن بحاجة إلى تيري بيديه الصغيرتين».

قالت ليلي، وهي تقترب منهما في الوقت المناسب: «أين تيري؟».

هز والتر كتفيه ثم قال: «ربما يتجول».

انزعجت ليلي على الفور، وقالت: «ماذا؟ أنتم تعرفون أنكم يجب أن تظلوا معاً».

بدا برادلي غير مهتم: «ربما مشى ميلاً فقط ليقضي حاجته، وهذه المرة لم يُرد أن يراه أحد».

«مهلاً»، نادى صوت من بعيد. وسُمع وقع خطوات تسير على الأرض الترابية والتفت الجميع لرؤية تيري يخرج من خلف صخرة صماء وهو يقول: «كنت أقوم ببعض الاستكشاف».

قالت نيكول: «ليس من المفترض أن تغادر المخيم بمفردك، فأنا لا أرغب، إذا هاجمك أسد الجبال، في نقل ما تبقى من جسدك إلى المدينة».

ضحك باشمئزاز قائلاً: «هل من الممكن أن يمسك بي أسد الجبال؟ لا تقلقي يا نيكي، أراك تتحدثين إليّ كما لو كنت طفلاً صغيراً، مهلاً؛ فأنا لست طفلاً وأنت لست وصية عليّ».

توقفت نيكول، ثم خطت خطوة إلى الأمام، فمدت ليلي ذراعها لتمنعها من التقدم وقالت: «تيري، هل نحتاج إلى مراجعة القواعد؟».

ضحك ساخراً من قولها، ثم جلس على صخرة كبيرة وأوماً برأسه لـ برادلي وهو يقول: «يا صاح، هل يتضمن برنامج الرحلة سماعي امرأة تلعب دور الزوجة المزعجة أم ماذا؟».

تجمدت ليلي في مكانها، ثم أطلقت صيحة استهجان، وفي محاولة منها لتمالك نفسها قالت: «عذراً؟».

لكن انتباه نيكول تشتت إثر رؤيتها الحقيبة التي كانت عند قدم تيري. قالت بحذر: «تيري، ما هذا الذي في حقيبتك؟».

صفق والتر سعيداً لانتهاه التوتر، وقال: «نعم، تيري، ما هذا الذي في...»؛ لكنه انتبه إلى أن نيكول كانت جادة؛ لذا تغيرت تعابير وجهه حينما أضاف: «انتظر. ما هذا الذي في حقيبتك؟ أليس هذا دفتر يوميات الأتسة ليلي؟».

اتجهت كل العيون إلى حقيبة الظهر عند قدمي تيري. وبدا بوضوح الرباط الجلدي أصفر اللون الذي كان ملفوفاً حول دفتر الملاحظات الذي رأى ليو ليلي تحمله بين حين وآخر خلال الأيام القليلة الماضية.

انحنى تيري، وأمسك بالحقيبة محاولاً إبعادها عن الأنظار؛ لكن ما حدث كان واضحاً للجميع: لقد أخذ دفتر يوميات ليلي.

سأله والتر: «هل أنت مجنون؟» وأطلق ضحكة مرتبكة.

خطت ليلي خطوة إلى الأمام؛ لكن تيري توقف فجأة، وهو يمسك حقيبة الظهر ويجر قدميه بخطوات بطيئة قائلاً: «الزمي مكانك».

خيم الصمت على المكان، بينما حاول الجميع فهم ما كان يجري. بدأ الغبار يتصاعد حول ساقي تيري، وهو يُنزل ببطء حزام حقيبة الظهر من فوق كتفه. نظر بعيداً، كما لو كان يجب عليه أن يفر ناجياً بنفسه.

غمغم برادلي، وهو ينظر حوله إلى الجميع: «ما الذي يحدث حقاً الجحيم؟».

قالت ليلي عابسة: «تيري، هذا هو دفتر يومياتي».

قال مصححاً: «إنه دفتر يوميات والدك».

عند سماعه نبرة صوت تيري المنذرة بالشر، رمى ليو صندوق اللغز، متجاهلاً النقرة المعدنية للدبابيس التي انزلت مرة أخرى مكانها. وتسرب إلى نفسه شعور بالقلق والاضطراب.

قالت بوضوح وهدوء: «حسناً، إنه ملكي الآن، وأرغب في أن أستعيده».

ظهرت على وجه تيري تعبيرات غريبة ومتناقضة؛ نظرات غائمة، وعضلات فك مشدودة، وابتسامة جامدة، وفتحتا أنف متسعتان، ثم قال: «كنت أقرؤها فقط».

أومأت ببطء: «حقاً! دون إذن مني».

هز كتفيه قائلاً: «ما المشكلة؟ كنت ألقى نظرة على بعض خرائط ديوك. لا أعتقد أنك استخدمتها قط، أليس كذلك؟».

همس والتر: «من هو ديوك؟».

رد برادلي بصوت منخفض: «والدها».

دمدم ليو: «مهلاً يا رفاق».

تجاهل والتر هذا، وسأل برادلي: «كيف عرفت ذلك؟».

«أخبرني تيري».

تمتم ليو: «يا شباب».

سأل والتر: «متى حدث...».

في منتصف سؤال والتر، قال تيري وهو يتجاوزهم: «يا لهم من أغبياء!».

في محاولة منه لفهم ما إذا كان تيري جاداً في هذا الهراء، اندفع ليو إلى الأمام، ووضع يده حول كتف تيري وقال: «يا صاح. لم ينته الأمر بعد. أعد إلى ليلي دفتر اليوميات».

لكن بدلاً من الامتثال للأمر، التفت تيري بسرعة لمواجهة ليو، ثم لكم فكه بقبضة يده. أحس ليو بالألم على وجهه فوراً، وعاد إلى الوراء، ثم تجاوز الصدمة وتأثير اللكمة.

تعالَت الأصوات المتفاجئة من جميع الجهات، وتحمس ليو لاستكمال ما بدأه، فتقدّم إلى الأمام ليضرب صدر تيري قائلاً: «ما هذا الذي فعلته؟».

قال تيري: «يا إلهي. ليس لدى أي منكم أي فكرة عن كم المال الموجود هنا، أليس كذلك؟ تودون فقط مواصلة هذه المغامرة الوهمية...».

صدم والتر الجميع وهو يندفع إلى الأمام، ويسحب الحقيبة بعيداً عن كتف تيري، وكما لو كان جمرة مشتعلة جري بسرعة وألقاها لبرادلي، الذي رمى بها إلى ليو.

تقدم تيري إلى الأمام؛ لكن برادلي ونيكول أمسكا به، بينما ابتعد ليو خطوات عدة. فتح سحب الحقيبة، وأصابه الفزع عندما رأى ماذا كان هناك أيضاً أسفل دفتر اليوميات مباشرة.

قال ليو بشكل قاطع، وهو يمرر الدفتر إلى ليلي، ثم راح ينظر إلى تيري بارتباك وذهول: «تيري، ما حاجتك إلى مسدس؟».

صرخ والتر: «هل أحضرت مسدساً، بينما لم أستطع أنا أن أحضر الشطاف المحمول».

عندما انحنى برادلي إلى الأمام لينظر، تحرر تيري من قبضتهما، واندفع نحو ليو. ونزع الحقيبة من بين يديه، وعلى سبيل الاحتياط، سحب تيري المسدس. ونظر حوله بغضب، ثم وصل إلى نيكول، وقبل أن يتمكن ليو من فهم ما يحدث، أمسك تيري ذراعها بخشونة ليجعلها تقف وظهرها أمام صدره.

أطلقت ليلي صرخة نعر، بينما تملكت ليو حالة من الهلع.

قال برادلي بصوت عالٍ من الصدمة: «قف، قف، قف. ماذا يحدث؟».

قالت ليلي بصوت مرتجف: «تيري»، ثم على الفور ألقى الدفتر المكسو بالجلد على الأرض في المسافة الفاصلة بينهما، واستطردت: «تيري، هيا خذه. يمكنك الحصول على الدفتر، لا بأس. ضع فقط المسدس أرضاً».

رفع ليو يديه، بينما امتلأ قلبه بالخوف كأن أكواماً من الجليد كانت تشل أوصاله، ثم تحدث قائلاً: «دعونا نهدأ، أردنا فقط معرفة ما يحدث».

قال تيري بينما كان اللعاب يتطاير من فمه ويعلق بشاربه: «ما يحدث هو أنك شاب صغير فضولي. اذهب فقط وطارد تلك الابنة الجذابة يا ليو، وانس الأمر».

قالت نيكول، وهي تتقد غيظاً بينما تضغط فوهة المسدس على وجهها: «ليس شخص ما هذا الرجل حياً».

همست ليلي: «نيكول، كوني هادئة يا عزيزتي».

قال برادلي: «لن تطلق عليها النار، أرجوك. هذا مجرد سوء فهم كبير. سوف ننحيه جانباً، وسنستمر في رحلتنا كما كان الأمر من قبل. وسوف نتظاهر بأن أيًا من هذا لم يحدث قط. أليس كذلك يا ليلي؟».

ابتلعت ليلي ريقها وهي تقول: «بالطبع».

قال تيري: «الأمر ليس بهذه البساطة». وجال بعينيه حوله، فرأى وجوههم، والمناظر الطبيعية من خلفه؛ حيث كانت حافة الوادي تلوح في الأفق قريبة جداً. اندفع إلى الأمام، وانحنى بشكل أخرق حول جسد نيكول، وأمسك بالدفتر قبل أن يندفع بعيداً عن رفاقه.

غمغم والتر: «ليلي، ما هذا الكتاب بالله عليك؟».

ابتلعت ريقها وقالت: «إنه مجرد ملاحظات لوالدي، يمكنه أن يأخذه، لا بأس».

قال ليو باسترضاء: «حسنًا تيري، لديك الدفتر. دع نيكول تذهب».

رد بصوت عالٍ: «سوف أخذها معي. وإذا تبعنا أحد سأطلق النار».

زادت حدة الغضب والذعر في صدر ليو، وأصبحت مثل الأمواج العالية من المد تتصاعد وترتفع، فهو لن يسمح ل تيري باصطحابها معه وهو يرحل.

رأى أنه سيهتم لاحقًا بما كان في دفتر اليوميات، والشخصية المتهورة التي تحول إليها تيري، وبفهم القصة كلها. أما في الوقت الحالي، فكل ما عليه القيام به هو إبعاد المسدس عن وجه نيكول. تحولت عيناه إلى حيث كانت فوهة المسدس تضغط على الجلد الناعم لخدتها. وكانت عيناه مغلقتين، والنبض في رقبته يتسارع. ودون تفكير، اندفع ليو إلى الأمام، ليدفعها بعيدًا عن قبضة تيري ويلقيها خلفه، ثم على الفور، لف يده حول أصابع تيري المثبتة على المسدس، لتخرج منه رصاصة نحو السماء.

انطلقت رصاصة، وصرخ الجميع، وخفضوا رؤوسهم للاحتماء باستثناء ليو وتيري.

انتزع تيري المسدس، وعاد إلى الخلف بضع خطوات قليلة. بدا لون جلده أكثر احمرارًا، واشتعل وجهه غضبًا بينما كان يصوب المسدس المهتز نحو والتر، ثم ليو، وأخيرًا نحو ليلي المنحنية جانبًا وهي تحتضن نيكول بين ذراعيها.

صرخ قائلاً: «فقط اهدأوا يا رفاق!».

قال برادلي بصوت مرتعش: «تيري ضع المسدس يا رجل، أنا لا أمزح».

رد تيري: «كان يجب عليّ أن أعرف أن الأمر سيكون على هذا النحو، محاطًا بمجموعة من الجبناء. ما كان يجب علينا أن نأتي هنا».

قال برادلي بهدوء: «لا تفعل هذا. لماذا تفعل ذلك الآن؟ لا تفسد الرحلة يا رجل».

لكن ليو كان يعلم أن الحديث بهدوء لا فائدة منه؛ لذا رفع يديه المرتعشتين ليراه تيري - وبينما قلبه يخفق بشدة - اتخذ خطوة حذرة إلى الأمام، تبعته خطوة أخرى وقال: «تيري. أنا قادم نحوك لآخذ المسدس، وسوف نضعه جانبًا. يمكنك أن تأخذ الدفتر وتذهب، فأيا كان ما تحتاج إليه، لا يستحق منا كل هذا».

مد ليو يده ولفها حول فوهة المسدس؛ لكن بمجرد أن أمالها جانبًا أدرك تيري أنه يحاول خداعه، انتابه الذعر ومد يده الأخرى لمحاولة خدش وجه ليو، وقبل أن يدرك ليو ما كان يحدث بالضبط، بدأ الاثنان يتقاتلان، وهناك مسدس محشو فيما بينهما. سمع ليلي تصرخ باسمه. وشعر بأنه يسمع صوت دقات قلبه في رأسه؛ كان كل شيء حولهم محاطًا بالغبار والذعر والضوضاء.

أمسك والتر بذراع تيري الممسكة بالمسدس، محاولاً مساعدة ليو على انتزاعه من قبضة تيري. وأخيرًا سقط المسدس على الأرض وسط العراك. وجاء برادلي للإمساك بذراع تيري الأخرى، وتمكن أخيرًا من جذبه بعيدًا. وبينما كان في شدة الغضب لف برادلي قبضتيه حول قميص تيري، ساحبًا إياه إلى الخلف.

صرخ برادلي في وجهه قائلاً: «هل جننت؟». تغيرت تعبيرات وجهه الهادئ عادة، وتبدلت تحت تأثير تدفق الأدرينالين والغضب الشديد، وأضاف قائلاً: «ماذا أصابك، ما مشكلتك؟».

ثم فجأة تطاير الغبار الأحمر، وتركهم جميعًا في حيرة من أمرهم. لم تكن لدى ليو أي فكرة عما إذا كانت الحافة الصخرية للوادي أمامه أم وراءه، فنزل بعناية على ركبتيه، وهو يتلمس الأرض حوله لاستعادة إحساسه بالاتجاهات. وعلى مدار الثواني الثلاثين الماضية، توقف الصراخ كأنه كان مجرد بضع كلمات متفرقة تتردد، وبدا ما يُسمع الآن لغطًا مبهمًا. وبينما كان يحدق إلى سحابة قاتمة، مد ليو يده إلى الأمام ليمسك بساق برادلي، ويأنسا صرخ فيه أن يفلت تيري.

وهكذا فعل برادلي.

شحب وجه تيري من الصدمة، واتسعت عيناه، وضرب بذراعيه بينما تلاشى الغبار، وبدا أن الأفراد الستة جميعًا قد أدركوا في الوقت ذاته أن طرف حذاء تيري يلامس الحافة الهشة للوادي. حتى إن إحدى فردي حذائه سقطت عندما اندفع جسده إلى الوراء بفعل ثقل وزنه.

وعلى الحافة، وللحظة، بدا تيري كأنه يركض في مكانه عالقًا في الهواء. مد ليو يده، محاولًا أن يمسك به؛ لكنه لم يجد سوى فراغ...

أما تيري، فكان قد رحل.

اندهش ليو من السرعة التي يمكن بها أن يسقط جسم الإنسان، لم يستمع قط - ولو مرة واحدة في حياته - لمثل هذا الصمت. بدا الأمر كأن تيري قد أوقف كل الأصوات معه عندما هوى.

وعلى مدار ثانيتين،

أو خمس ثوانٍ،

وربما عشر ثوانٍ مخيفة، حدقوا في الفراغ في المساحة الخالية التي كان يحتلها جسد تيري من فوره.

دارت دوامات رقيقة من الغبار حولهم في ظل الضوء المتلاشي، وقال برادلي بصوت متحشرج: «مستحيل أن يكون ما حدث حقيقيًا».

تساءل والتر: «ربما... ربما نجا؟».

تقدموا نحو الحافة وحدقوا معًا وهم يكافحون لالتقاط أنفاسهم. كان منحدرًا عميقًا، ومن المستحيل الرؤية بوضوح من حيث يقفون، لكنهم نهضوا جميعًا معًا عندما هبت عاصفة ترابية صغيرة من بعيد.

حتى لو لم يقلها أحد بصوت عالٍ، فهم جميعًا عملوا أنه لم ينجُ.

الفصل الحادي عشر

تجمدوا جميعًا في أماكنهم.

بدأ الخدر يسري في أصابع ليلى، ثم ينتشر بسرعة كبيرة إلى ذراعيها وهي تحاول استيعاب ما حدث في الحال.

سألت نيكول بصوت عالٍ وفي حالة من الفزع: «ما الذي رأيته من فوري؟ ما الذي أراه الآن؟».

استدار برادلي وهو ينظر بغضب وانفعال شديد، وانتابته حالة من الهلع وهو يصيح: «تيري سقط من فوق المنحدر اللعين!».

تلاشت الأفكار في ذهن ليلى. وكأنها قطع من الزبد تذوب في المقلاة، وبدت وجوه الجميع؛ نيكول، وليو، وبرادلي، ووالتر... وكأنها تروي القصة نفسها. لقد رأوا حقًا تيري وهو يسقط من فوق الحافة إلى قاع الوادي.

سقطت ليلى على الأرض، ولامس أسفل ظهرها التراب. وملأتها رهبة جعلت جسدها يتجمد كأنه تعرض لبرودة مياه المحيط المندفعة بشدة نحو كهف مظلم، وانتاب الجميع اضطراب شديد. عمت الفوضى المكان: كان برادلي لا يزال يصرخ. فصرخ ليو فيه وهو يأمره بأن يتوقف عن الصراخ، ثم صاح والتر وهو يخبرهم بأنه يعاني القولون العصبي، ولا يستطيع تحمل ذلك التوتر. بدأت نيكول الصراخ قائلة إن عليهم أن يصمتوا ويهدأوا. أطل كل واحد منهم وأوماً من فوق حافة الجرف.

بالنسبة إلى ليلى، بدا الأمر كأنه يحدث على بعد عدة كيلو مترات. أحاطت بأذنيها موجات من الضجيج؛ فما حدث ليس مجرد حادثة سقوط عن ظهر حصان أو كسر ساق؛ بل مات

شخص في إحدى جولاتها. إن شخصًا فقد حياته.

تمالكي نفسك يا ليلي. انهضي يا فتاة.

نهضت بسرعة، وقطعت الخطوات القليلة المتبقية في محاولة منها لإبعادهم جميعًا عن الحافة. وعندما دفعت برادلي بعيدًا، تدرج جسده ثم توقف فجأة على جانبه. بعدها وضع يده على رأسه وهو يدخل أصابعه بين خصلات شعره، وأخذ يئن قائلاً: «يا إلهي! لم أرَ أحدًا يموت من قبل».

تحدثت ليلي بصوت هادئ يشوبه بعض التوتر قائلة: «حاول أن تتنفس».

قال والتر: «لا أستطيع أن أصدق هذا، سار كل شيء بشكل جنوني وفوضوي و... لا أستطيع أن أصدق...».

قاطعته قائلة: «انتظر، هل دفعه أحدكم؟» طرحت هذا السؤال وهي تشعر بتقلص في معدتها. فقد كانت اللحظات القليلة السابقة لسقوط تيري مزيجًا مربكًا من تناثر الغبار والأطراف المتشابكة والصراخ.

أشار والتر وهو يتلعثم: «برادلي فعل ذلك».

صرخ برادلي: «لقد كانت حادثة، لماذا تقول ذلك؟».

صرخ والتر مرة أخرى: «هي سألتنا، ولم أرد أن أبدو وقحًا».

صاح برادلي: «كان معه مسدس، يا إلهي، لماذا كان المسدس بحوزته؟».

«أنت الوحيد الذي أراده أن يأتي».

«لم أكن أريد ذلك، لكن هو...».

صرخت ليلى: «اخرسوا جميعاً!» حتى تلك اللحظة، لم تستطع فهم ما جعل الأمور تصل إلى هذا الحد، تيري ودفتر يوميات ديوك، وتخطيطه لأخذ الدفتر، ورغبته في اصطحاب نيكول معه إلى الصحراء. الشيء الوحيد الذي كان باستطاعتها أن تفكر فيه هو كيف كان هنا منذ لحظات معلقاً في الهواء، ثم لقي حتفه في الثواني التالية. لم يكن هناك شك في أنه لقي حتفه. وبعد دقائق أضافت قائلة: «أنا عاجزة عن التفكير».

تمتم برادلي: «حسنًا. حسنًا. حسنًا، يمكننا التعامل مع ذلك. إليك ما سيحدث: سنغير وجهتنا جميعاً ونعود إلى منازلنا، موافقون؟ سنقول إن تيري رحل فجأة، تركنا. هو كان يقول ذلك طوال الوقت، إنه لا يحتاج إلى أي منا ليصمد هنا. ماذا لو غادر فعلاً؟ ماذا لو غادر ولم تكن لدينا أي فكرة عن مكانه؟ إنها فكرة معقولة، أليس كذلك؟».

حذرت نيكول: «هذا لن يحدث. هل تريد مني أن أكذب على الشرطة وأقول إن تيري لا يزال على قيد الحياة في مكان ما؟ ماذا تقول يا رجل؟ أنا أفضل الموت على فعل ذلك».

قال ليو بهدوء: «برادلي، ستكون الأمور على ما يرام. تعال، سنخبر رجال الشرطة بما حدث بالضبط: إن تيري كان يحمل مسدساً، ووجهه إلى رأس نيكول، وكنا جميعاً نتعارك، وكان الموقف مربكاً. أنت لم ترتكب أي خطأ».

صرخت نيكول بجنون: «ويلك! لم يرتكب هو أي خطأ فعلاً؟ فإذا كان والتر يقول إن برادلي دفعه، فهذا يكفي بالنسبة إليّ. لن نتحمل نحن مسؤولية ذلك. حُسمت القضية».

انحنت ليلى عند مستوى الخصر، وضغطت بقوة براحتي يديها على عينيها. إنه موقف سيئ للغاية، ولن تنجو أبداً من تلك الكارثة. ربما كانت دعوى القتل الخطأ في انتظارها، أو ربما تهم القتل الناجم عن الإهمال. ولو قالوا جميعاً إن تيري احتجزهم تحت تهديد السلاح، فمن المفترض أن تضمن هي سلامة كل السائحين؛ ما يعني تأكدها من عدم وجود أسلحة نارية، أو أي مواد غير مشروعة. لم تحدث مشكلة قط من قبل؛ لذا توقفت عن تفتيش الحقائق منذ وقت طويل. تبّاً، ما الذي يجب أن تفعله الآن؟ فضلاً عن التجول في مزارع

ركوب الخيل، والعمل نادلة، لم تكن تتقن أي شيء آخر. أرادت ترك هذا العمل من قبل؛ لكن هذا لن يكون خيارًا متاحًا الآن. ترى كيف ستنجو؟

طرأت في ذهنها الكثير من الأفكار التشاؤمية، ورأت أنه إذا انتهى بها المطاف في السجن، فستتاح لها على الأقل ضروريات الحياة اليومية.

بدأ حجم صوت الجدل حولها يرتفع؛ ولكن قبل أن تدرك ما كان يحدث، امتدت يد حول كوعها وسحبتهما إلى جانب ليو.

تحدث ليو إليه بنبرة غير مألوفة قائلاً: «ماذا تفعل يا رجل، برادلي، ماذا تفعل؟».

اهتز المسدس بقوة في يد برادلي المرتجفة وهو يشير به إلى نيكول، ثم إلى ليلي، ثم إلى نيكول مرة أخرى قائلاً: «هذا ليس ما حدث يا نيكول».

صاح ليو الآن بلهجة صارمة وحادة: «برادلي، من فضلك فكر جيدًا».

انتبهت الآن بينما كانت فوهة المسدس تتأرجح ناحيتها مرة أخرى، وفي هذه اللحظة صرخ برادلي: «لكنني لم أدفعه».

دمدمت نيكول: «واضح، فأنت تتصرف كأنك بريء بالفعل، أليس كذلك؟».

تمتمت ليلي: «نيكول، أنتِ تصعبين الأمور».

على بعد أمتار قليلة، انحنى والتر وهو يمسك بوسطه ويئن: «يا إلهي، أنا خائف للغاية لا أستطيع تحمل ذلك».

اقتربت منه ليلي خطوات وهي تحرك كفيها للأسفل قائلة: «برادلي، ضع المسدس أرضًا».

قال بصوت عالٍ ومذعور: «إنها مجرد حادثة».

رد ليو: «كلنا نعلم ذلك، فلا تفعل ما هو أسوأ».

صرخ برادلي: «فقط دعني أفكر، يا إلهي، دعني أفكر».

قال ليو ببطء: «حاول أن تهدأ يا رجل، اهدأ وضع المسدس على الأرض. هذه ليست شخصيتك».

سأل والتر: «هل تعرف كذلك كيفية استخدام المسدس؟».

«بالطبع أعرف كيف أستخدم المسدس».

عبس والتر: «لكنه مع ذلك على وضع الأمان».

سُمع صوت نقرة صغيرة تلتها صيحة من والتر وهو يقول: «ويحي»، وشاهدت ليلي نيكول تُخرج سكينها، فتجمدت من الرعب وهي ترى نيكول تلتف خلف ليو وتمسك بالسكين وتضغط بها على حنجرتة.

صرخت ليلي: «نيكول، يا إلهي ماذا تفعلين؟».

تجاهلتها قائلة: «ضع المسدس يا براد».

صاح قائلاً: «لا تقولي براد».

علق والتر: «إنه في الواقع يستاء حقًا من أن يناديه أحد بـ براد، إذا كنت تريدين حقًا أن يضع المسدس أرضًا، فلا تفعلي ذلك...».

صاحت نيكول: «إذا لم تصمتوا جميعًا وتأخذوا هذا السلاح من يد براد، فسأشق هذا الرجل من ذقنه حتى خصره».

انقبض قلب ليلى عندما قابلت عيناها عيني ليو. كانت نظراته تبدو حازمة وثابتة. وبالطبع لم يكن ذلك الوقت المناسب للاعتراف بحقيقة أن نيكول تربت على أيدي والدين كانا يملكان محلًا للجزارة.

قال برادلي لـ ليلى: «أنتِ المسئولة هنا».

ردت نيكول: «ليست هي من دفع رجلاً من فوق المنحدر».

«أنتما المرشدتان هنا».

«لقد وقَّعت على إقرار».

تجمد برادلي مكانه وقال: «لم نوقَّع على إقرار يشمل مخاطر الوفاة».

صاحت نيكول: «كان هذا حرفيًا ما وقَّعت عليه». جفلت ليلى عندما رأت خيطًا من الدم يتدفق على رقبة ليو.

قالت ليلى بثبات قدر الإمكان: «أنتِ تجرحينه يا عزيزتي».

دمدم برادلي بغضب: «من يضمن أنك لم تدفعيه بعيدًا؟ لقد كنتِ تكرهين تيري».

استشاطت نيكول غضبًا وهي تقول: «الكل يكره تيري».

ودون أن يبالي برادلي قال: «لدينا عدد أكبر من الشهود، أكثر مما لديك، ومن ثم يمكننا أن نقول ما نريد».

قال ليو بينما كان يبسط يديه ويوجه راحتيه إلى أسفل: «برادلي، استجمع شتات نفسك. كان تيري يهددنا بالسلاح. وكنا ندافع عن أنفسنا. أنت لن تطلق النار على أي شخص، ولن

تلقي باللائمة عليهما أيضًا. لا تجعل الوضع أسوأ. دعك من هذا، كن عاقلًا، كيف سأشرح ذلك لـ كورا؟».

أخذ برادلي نفسًا وهو يلهث قبل أن يسقط المسدس كما لو كان جمرة مشتعلة. وعلى الفور انفجر في البكاء قائلاً: «تَبَّأ. أنا آسف جدًا». وبسرعة انهار على ركبتيه وأضاف: «أنا في حالة من الهلع. آسف آسف. لن أفعل هذا أبدًا...».

ركضت نيكول على الفور، وأمسكت بالمسدس، وبيد مرتعشة قامت بلفه في محاولة منها لتفعيل وضع الأمان.

فرك ليو يده على رقبتة وقال: «نيكول. انتظري». مشى، وأخذ منها المسدس، وضغط بهدوء على قفل الأمان مرة أخرى، ثم أردف قائلاً: «هل الجميع بخير؟». كان الرد عبارة عن بعض الهمهمات، فالتفت إلى ليلي وعيناه تفتشان عن عينيها، ورفع راحة يده ووضعها على وجهها وقال: «هل أنت بخير؟».

قاومت الإحساس القوي داخلها، فقد كان يلح عليها بأن تلف ذراعيها حوله وتتشبث به حتى تطمئن إلى أنه بأمان الآن. أومأت إليه ليلي وهي تحاول كتم دموعها. هي لم تبك قط ما لم تكن غاضبة، وهي الآن تشتعل غضبًا.

سألته: «هل أنت بخير؟».

«نعم».

«حسنًا». التفتت إلى برادلي وقالت: «أنت. اجلس». وأشارت إلى صخرة على بعد نحو تسعة أمتار، أمال برادلي رأسه وهو ينسحب بعيدًا ويمسح الدموع التي غمرت وجهه.

حدقت نيكول إلى وجهه وهي تقول: «هل يجب عليّ أن أقيده؟».

قالت ليلي بشكل قاطع: «لا تقيديه، نحن بحاجة إلى حزم أمتعتنا وتغيير وجهتنا، أو الاتصال، أو... اللعنة. لا يمكنني التفكير».

كانوا وسط الصحراء، وتبعدهم ساعات من الزمن عن أي من مرافق الحياة المدنية، وهناك حادثة وفاة يجب التعامل معها. وكان الظلام يقترب.

شاهدت ليو وهو يقترب من الحافة، وينحني ليسترجع دفتر اليوميات بحذر من بين كومة من الأوساخ، وما إن التقطه حتى نفص عنه الغبار، وأحضره إليها قائلاً: «كنت قلقًا من أن يكون الدفتر قد ذهب معه».

أحست بالامتنان وهي تأخذه، وتذكرت كيف شعرت بأن نبض قلبها قد توقف هلعًا عندما شاهدت ليو وهو يركض نحو تيري ممسكًا بالمسدس، ويدفع بـ نيكول إلى بر الأمان. وبينما كانت تحاول أن تصرف عن ذهنها تلك الذكرى، وتحقق إلى دفتر اليوميات البالي الأملس بين يديها، أحست باقتراب ليو من خلفها.

في أعقاب تلك الفوضى، شعرت بالوهن، وبأن جسدها يرتعش بعد تدفق كم كبير من الأدرينالين في دمه؛ لذلك اقترب منها ليو وضمها بذراعيه.

حاول تهدئتها وهو يقول: «لا بأس».

سأل برادلي من بعيد: «هل نحن بحاجة إلى النزول واستعادة الجثة؟». عندئذ رمقه الأربعة بنظرة تنم عن الغضب الشديد.

قال رافعًا يديه: «أعني فقط أنه في الأسفل هناك. أنا لا أعرف ما الذي يجب عليّ فعله، أتفهمون ما أعنيه؟ أنا آسف».

اعترت ليلي رعشة مفاجئة في لحظة، فضغط ليو على يديها بقوة.

سأل والتر بصوت مرتفع: «هل يمكن لأحد أن يشرح لي أهمية ذلك الدفتر ليستدعي اصطحابه مسدسًا إلى هنا؟ هل هذا هو سبب رغبته في المشاركة في هذه الرحلة؟ هل كان يخطط لسرقته طوال الوقت؟ لماذا كان يود أن يفعل ذلك؟».

قلبت ليلي صفحات الدفتر الذي كان بين يديها، وقالت: «كان ديوك مشهورًا بين أوساط الباحثين عن الكنوز. لقد احتفظ بكل شيء يعرفه فيه. ولسنوات كان يضيف إليه المزيد من الخرائط، والملاحظات، والألغاز، والرموز».

سأل والتر: «وكيف عرف تيري كل ذلك؟».

أخذت نفسًا عميقًا وأجابته قائلة: «أنا أحتفظ به معي طوال الوقت؛ لأنني أعرف أن الناس يعتبرونه شيئًا قيمًا. لم أكن على دراية بهذه الحقيقة حتى وفاة ديوك. ويبدو أنه كان لديه متابعون كثيرون عبر الإنترنت، وافترض المعجبون به أنه سيتركه لصائد كنوز آخر؛ لكنه لم يفعل».

شعرت ليلي بأن ليو قد تجمد في مكانه وراءها. فهما لم ينتهيا من حديثهما في تلك الليلة، ولم يكن يعرف أن والدها قد توفي. أردفت ليلي قائلة: «حاول الكثيرون التواصل معي على مر السنين راغبين في شراء الدفتر، أو سعيًا لإقناعي بمنحه لأحد أعضاء جماعة البحث عن الكنوز؛ لكن لم يأت أحد من أجله من قبل».

سأل والتر: «إذن هو يتضمن معلومات عن كنز ما؟ هل تعتقد أن تيري كان يحاول العثور على المكان الذي أخفى فيه بوتش كاسيدي ماله، أو شيئًا من هذا القبيل؟».

قال برادلي من مكانه الذي يجلس فيه على الجانب الآخر: «كان والدها يعرف كل شيء عن عصابة وايلد باننش، كل قصة وكل أثر يخصها».

رمته نيكول بنظرة شرسة، فانكمش شاعرًا بالذنب مرة أخرى، لكنه مع ذلك أضاف: «أنا فقط أحاول شرح السبب الذي دفع تيري، بحسب ما أعتقد، إلى القيام بفعلته». ونظر إلى

والتر، وأضاف: «ففي وقت سابق، كان ديوك وايلدر أحد أكثر المرشدين السياحيين المهمين في الجنوب الغربي. لقد تصدرت صورته غلاف مجلة ناشيونال جيوغرافيك».

سأل والتر برادلي: «هل كنت تعلم أن ليلي ابنته عندما حجزت تلك الرحلة؟».

أوما برأسه محدقًا في التراب بين فرديتي حذائه، وقال: «نعم، أخبرني تيري بذلك، لكن بشكل عابر. غير أنني لم أكن أعرف أي شيء عن دفتر اليوميات». رفع بصره ونظر في عيني ليو الجالس إلى جوار ليلي، وأضاف: «أقسم بالله لم أكن أعرف أن تلك هي ليلي التي تحبها». خيم صمت شديد على المجموعة، وبدأ الأمر كله محرّجًا لهما وهما يجلسان متجاورين. حاول ليو أن يبتعد عنها؛ لكن ليلي أوقفته وهي تضغط بيدها على يده. سمعته وهو يلتقط أنفاسه في غضب.

طمأنها وجود ليو بجوارها، وبدأ التشويش في رأسها يختفي ببطء. نظرت إلى الأسفل حيث يوجد دفتر اليوميات بين يديها، وتركته يسقط بلا اكتراث. كانت ثمة صفحتان قد انتزعتا من نهايته، ثم وضعتا داخله مرة أخرى. كما لو كان تيري قد خطط لأخذهما لكنه قرر التراجع عن ذلك وأخذ الدفتر كله بدلًا من ذلك.

تمتت وهي تتحسس هاتين الصفحتين: «يا إلهي، ما هذا؟».

الأولى كانت خريطة، وهي إحدى رسومات ديوك الجوية لفتحات الوديان؛ التي شكلتها المياه المتدفقة في الحجر الرملي على مدى ملايين السنين، كانت فتحات الوديان متعرجة، ومتشابكة، وأحيانًا ممتدة مثل مجرى النهر، وفي أوقات أخرى ضيقة جدًا ومميتة. ودون وجود خريطة، يصبح من السهل أن يضيع المرء فيها ولا ينجو منها مطلقًا. وقد جرى تمييز كل نهر رئيسي وكل ثغرة في هذه الخريطة المرسومة يدويًا برقم أو حرف صغير.

سألها ليو بلطف وهو يمسك تلك الصفحة المقطوعة حتى يتمكن من الرؤية بشكل أفضل:
«هل تستطيعين تمييز أين يقع هذا المكان؟».

هزت ليلي رأسها نافية، وأقرت: «كان لديه نحو عشرين من تلك الرسومات، وكل واحدة كانت تغطي مساحة صغيرة جدًا، فمن الصعب بالنسبة إليّ أن أعرف بالضبط أين هو ذلك المكان. إنه جزء من المتاهة، أنا متأكدة من ذلك».

قال برادلي وهو يقترب قليلاً من المجموعة: «ربما اعتقد تيري أنه المكان الذي أخفى فيه ديوك شيئاً ما».

حدقت نيكول في وجهه قائلة: «اصمت يا براد».

كانت الصفحة الثانية المنزوعة من الدفتر عبارة عن لغز مكتوب بخط يد ديوك، وما إن ألفت ليلي نظرة عليها حتى شعرت بألم يعتصر قلبها.

قال ليو بهدوء بالقرب من أذنها: «ما هذا؟».

أخذت نفساً عميقاً ثم أجابت: «هو لغز من ألغاز ديوك وايلدر».

سألها: «هل رأيت هذا اللغز من قبل؟».

قالت: «لقد رأيتته؛ لكنني لم أهتم، فالدفتر كان مليئاً بكلام غير مترابط، ولم يكن لديّ أي سبب مطلقاً يجعلني أفكر في حل تلك الألغاز. هذا اللغز والخريطة كانا في آخر الصفحات».

نظر ليو إليها، ثم طلب منها أن يقرأ اللغز معاً.

في النهاية الجواب هو نعم.

عليك أن تذهب؛ أنا ذهبت.

أنت تكره الذهاب، لكنك ستذهب.

سوف تحتاج إلى الذهاب، ولكن ليس إلى المكان المخصص لك.

ولكن سواء فعلت ذلك أم لم تفعل،

يمكنني أن أؤكد لك أنك لن تعاني.

إذا لم يكن هناك شيء آخر، فأنت حر،

لذلك، ابحث عن جذل شجرة ديوك عند جوف الثلاثة.

قرأت الكلمات مرارًا وتكرارًا، وهي تتمتم: «هذا ليس الوقت المناسب لتلك اللعبة السخيفة يا ديوك».

غمغم ليو: «جزء منها له معنى، والجزء الآخر غير مفهوم».

علقت ليلي: «هذا هو ديوك الذي أعرفه». وأخيرًا أطلقت زفرة يائسة وهي تقول «تَبَّ، هذا محبط للغاية».

كرر ليو قراءة تلك السطور المبهمة محاولاً فهمها. وأدركت ليلي مدى ترده في اللحظة التي بدا أنه سيتحدث فيها؛ لكنه حبس أنفاسه وآثر الصمت.

نظرت إليه، وكان وجهه قريبًا جدًا فقط يبعد عنها بضع سنتيمترات، وقالت: «فيم تفكر؟».

قال بصوت منخفض حتى لا يسمعه أحد غيرها: «إن تيري كان يبحث عن هاتين الصفحتين على وجه التحديد».

«أتفق معك»، ثم نظرت مرة أخرى في الصفحة، وقالت: «لكن لماذا؟ لماذا هاتان الصفحتان بالتحديد من بين مئات الصفحات هنا؟».

«إنهما آخر صفحتين في الدفتر، أليس كذلك؟».

أومأت برأسها وأجابت: «نعم، لكن ما من اختلاف بينهما وبين أي صفحات أخرى. إنهما خريطة ولغز يشبهان حرفيًا أي صفحة أخرى هنا».

ظل يحدق بها، ولكن بدا تركيزه في مكان آخر بينما كان يفكر مليًا في ذلك الأمر. همس ليو قائلاً: «أتساءل عن احتمالات أن يكون برادلي على حق، وأن تيري آمن حقًا بأن ديوك قد خبأ شيئًا ما في هذا المكان، أو كان يعلم أن شيئًا موجودًا هنا وتركه ليكتشفه شخص آخر. ربما كانت هاتان الصفحتان هما كل ما احتاج إليه تيري للعثور على هذا الشيء».

«كيف فهمت هذا من ذلك اللغز؟».

نظر ليو في عينيها، وقال: «أقرئي السطر الأول مرة أخرى».

قامت بقراءة السطر: في النهاية الجواب هو نعم.

قالت ليلي وقد بدأت تفهم: «إذا كان الجواب هو نعم، فماذا كان السؤال؟».

«هذا ما أقصده بالضبط».

بالطبع، كانت تلك هي النقطة التي أرادها أن تبدأ منها. تردد صدى صوت ديوك في عقلها وهو يبدي استحسانه قائلاً: هذا هو أول سؤال سأطرحه أنا أيضًا يا ابنتي. أغمضت عينيها، وظلت تفكر: ما السؤال الذي اعتاد الجميع طرحه على ديوك طوال الوقت؟

كانت الإجابة واضحة وضوح الشمس: ما إذا كان قد عثر على كنز بوتش كاسيدي.

عندما فتحت ليلي عينيها مرة أخرى، كان ليو يحدق إليها. وبينما كانت عيناه تلمعان ببريق الفهم الذي غمرها هي الأخرى. سمعت طنينًا حادًا في أذنيها، واضحًا مثل الجرس. هي لم

تكن قط امرأة متدينة؛ ولكن أحاط بها إدراك مهيب أشبه بتيار كهربى سرى في أنحاء جسدها.

تقدمت نيكول وأخذت تلوح بيدها أمام وجهها قائلة: «هل فهمتِ سبب أهمية هاتين الصفحتين يا مديرة؟ لقد بدأ الظلام ينتشر، ولدينا جثة في قاع الوادي، ورجل آخر ما زلت أعتقد أنه يجب علينا تقييده».

ترددت ليلى ثم نظرت إلى نيكول وقالت: «أظن أن برادلي محق».

من مكانه على الصخرة صاح برادلي: «صدقتموني؟»، لكنه سرعان ما انكمش في جلسته عندما رمقوه جميعاً بنظرات غاضبة.

أضافت ليلى: «أعتقد أنه من الممكن أن يكون ديوك قد عثر على الكنز وأخفاه في الصحراء مرة أخرى». ابتلعت ريقها، ونظرت مرة أخرى إلى ليو الذي هز رأسه موافقاً على كلامها. وفي هذه اللحظة اهتزت الصفحتان الممزقتان في يدها المرتعشة، وأردفت: «وإذا كان قد فعل ذلك، فأنا متأكدة من أن هاتين الصفحتين تخبراننا بمكان العثور عليه».

الفصل الثاني عشر

مرت لحظات طويلة من الصمت، وبدا أن الوقت يطول مثل شريط مطاطي مرن بينما كانوا يحاولوا فهم المعنى الحقيقي لكلمات ليلي.

قال والتر أخيرًا: «هل تقصدين الكنز الحقيقي - أموال بوتش كاسيدي؟».

أومأت ليلي وهي تشعر بدوار: «أعتقد أن هاتين الصفحتين كُتبتا لتسهيل عملية البحث عن خطط ديوك أن يترك هذا الدفتر له. لم أكن أعرف أيًا من أصدقائه في تلك الدائرة؛ لذلك ليست لدي أي فكرة عن من يكون هذا الشخص».

نظر برادلي إلى المجموعة، ومرر يده خلال شعره، ثم ثبت نظراته على وجهها، وهو يضغط على أسنانه قائلاً: «المكتشفون يحتفظون بما وجدوا، أليس كذلك؟ وحتى لو لم يكن يقصد أن تحسلي أنت على الدفتر، فإنه ملكك الآن».

كانت هذه الكلمات أشبه بضربة قاسية لم ترغب في الاعتراف بمدى شدتها. إنها الرصاصة التي حاولت تفاديها؛ لأن ديوك إذا كان قد وجد الكنز، وأخفاه... فبطبيعة الحال، سيكون قد أخفاه عنها، فهو لم يترك الدفتر لها، ولا لأي شخص آخر أيضًا؛ بل إنه لو كان ينوي أن يتركه لها، لأخبرها حتمًا بذلك في وقت ما.

استردت ليلي رباطة جأشها وحدثتهم قائلة: «هناك شيء ما بخصوص هذه العبارة؛ إنه يقول: الجواب هو نعم. إذا كنت محقة في اعتقادي، فالسؤال هو: هل عثرت على الأموال المخفية؟».

سأل برادلي وهو يمتد رقبتة: «بم تخبرنا بقية الأسطر؟».

قرأت هذه الأسطر بصوت عالٍ، ثم وضعت الصفحتين داخل الدفتر مرة أخرى، ومررت به إلى نيكول وهي تهز كتفيها قائلة: «ليست لديّ أي فكرة عما تعنيه»، ثم نظرت إلى ليو وسألته: «هل هناك أي شيء آخر في تلك الحقيبة؟».

فتحتها مرة أخرى، ونظر داخلها «فقط هاتف محمول؛ ولكن لا توجد تغطية».

اقترحت: «إذن، عليك إيقافه للحفاظ على البطارية».

«فكرة جيدة». فعل ذلك، ثم سلمه لي لي لي قبل أن يعود مرة أخرى لفحص محتويات الحقيبة قائلاً: «مشط من الطلقات. سكين كبيرة جداً»، ثم توقف واتسعت عيناه وهو ينظر إليها ويقول: «مشابك بلاستيكية».

سارت نيكول نحوه، وأمسكت بأشرطة المشابك المصنوعة من البلاستيك الأبيض المتين في يدها، وقالت: «هذه ليست مثل المشابك التي تُستخدم لتثبيت كابلات التلفاز لمنعها من التشابك، إنها أشبه بأصفاة مرنة».

تمت لي لي: «يا إلهي». وسرت رعشة باردة في أجساد الجميع.

قال برادلي وبدا كأنه سيتقياً: «ما سبب احتياجه إلى تلك الأشياء؟».

قالت بطريقة اتهامية: «كان صديقك. أخبرني أنت».

اقترب برادلي منها، وقال وهو يصر على قوله: «لم يكن ما فعلته قبل قليل يمثل شخصيتي الحقيقية، لقد أصبت بالذعر. أنا آسف».

«حسنًا، حسنًا. دعونا نهدأ». تمت لي لي أن تبدو كلماتها هذه أكثر إقناعًا مما شعرت به حقًا، فقد ظهر لها الآن أن تيري لم يكن مجرد شخص حقير؛ بل كان خطيرًا أيضًا. أومأت ليو ليواصل فحص الحقيبة.

قال لها: «جهاز جي بي إس»، ثم سلمها الجهاز الفاخر التابع لشركة جارمين، وقد تجادل معها تيري بشأنه في بداية الرحلة، وأضاف: «بعض الأطعمة المعلبة، وماء».

صاحت نيكول: «لقد كان رجلاً...».

قاطعها ليو عندما جذب المزيد من الأشياء إلى الخارج، وقال: «هاتف يعمل بالأقمار الاصطناعية».

قالت ليلي: «على الأقل هذا شيء مفيد. أهنك أي شيء آخر؟».

ظل ليو يبحث داخل الحقيبة ثواني قبل أن يسلمها إياها أخيراً قائلاً: «لا يوجد شيء آخر ليس لدى كل منا مثله».

اقترب برادلي وهو يقول: «يا إلهي ما الذي كان يفكر فيه؟».

رد ليو: «أنت تعرف أن تيري يتصرف بغرابة دائماً»، ثم ارتبك وصحح كلامه: «أو بالأحرى كنت دائماً تجده وسط ظروف غريبة، أو متورطاً في بعض نظريات المؤامرة السخيفة. كنت أعلم أنه شخص فظ؛ لكنني لم أعتقد مطلقاً أنه عنيف أيضاً».

قالت نيكول: «السؤال هو: ماذا سنفعل حيال ذلك؟ حدث ما حدث وانتهينا؛ لكن حتى لو استخدمنا الهاتف المتصل بالأقمار الاصطناعية لطلب المساعدة، فلن يتمكنوا من فعل أي شيء حتى الصباح».

هزت ليلي رأسها، وبدا أنها تعاني شعوراً بعدم الاتزان.

قالت أخيراً: «نيكول على حق». بالطبع كرهت ليلي الوضع الحالي؛ لكن هذا لا يمنع أنه أمر واقع. ومع غروب الشمس، انخفضت درجة الحرارة. ومع عدم وجود نار ازداد الشعور بالبرودة وصعوبة الرؤية، وكان آخر شيء تود أن تمر به هو أن يقع شخص آخر من فوق

حافة الجرف في الظلام. إن أول شيء سيقومون به في الصباح هو إجراء مكالمة هاتفية؛ لكن عليها الليلة أن تحافظ على سلامة الجميع.

قالت لهم ليلي: «يجب علينا إشعال النار أولاً، ثم يمكننا مناقشة بقية الأمور بعد ذلك».

جلست نيكول بعد ذلك في البقعة الفارغة؛ حيث تجمعوا كلهم حول النار المشتعلة، وهم يراقبون بصمت ارتفاع أعمدة الدخان إلى السماء قاتمة اللون المرصعة بالنجوم. وانطلق شهاب لامع في السماء فجأة؛ لكن أحداً لم يهتم، حتى والتر، بالتعليق على الأمر. كان الجو مشحوناً بالتوتر، بينما كان كل واحد منهم مهموماً بخوفه الخاص. حتى الجنادب بدت كأنها قد حبست أنفاسها، فلم تصدر صوتاً.

وأخيراً، اتخذ ليو الخطوة الأولى لفتح نقاش كان جميعهم يعلمون أنهم بحاجة إلى إجرائه، حيث قال: «هل نحن متفقون على ما سنقوله للشرطة؟».

ردت ليلي تلقائياً: «احتجز تيري نيكول تحت تهديد السلاح، وعندما ذهبت أنت لتساعدها وقع هو من فوق الجرف».

لم ينطق أحد بكلمة واحدة، وما أثار دهشة ليلي أن من ارتفع صوته بالكلام وسط ذلك الصمت هو والتر، فقال وهو يرتجف: «أتساءل عما إذا كان يمكننا أن نقول إنه خرج في الظلام ولم يعد. أخشى أن تبدو القصة الحقيقية مختلفة».

قالت نيكول وهي تنظر إلى ليلي: «أعتقد أن وجهة نظره صائبة. يمكننا أن نقول إنه خالف القواعد وضل طريقه، واختفى».

أومأت ليلي في استسلام، وقالت: «حسناً».

على الجانب الآخر من ليلي، بدأ برادلي يتلملح وقال: «هل يمكننا التحدث بشأن وجود خريطة لكنز حقيقي في حقيبتك يا ليلي؟» ثم نظر نحو النار، وبيبطاءً أوماً إليه ليو موافقاً.

قال ليو: «كان يعرف من هو والدك. أحضر مسدساً ومشابك بلاستيكية. هل سنتعامل مع موضوع الكنز بجدية أم سنفترض أن الأمر برمته مجرد لحظة من لحظات الجنون التي كانت تنتاب تيري من حين إلى آخر؟».

أقرت ليلي: «لست متأكدة؛ لكن تيري ليس أول شخص يأتي إلى هنا معتقداً أنه سيجد شيئاً مهماً، فالناس يبحثون عن تلك الأموال منذ أكثر من مائة عام. أبي كان من السكان المحليين، وهو الأمر الذي كان في صالحه، بالإضافة إلى أنه عمل طيلة عقود مع الكثير من علماء الآثار والمؤرخين؛ لذا كان لديه القدر نفسه من المعلومات والأسرار حيال هذا الأمر؛ مثلهم تماماً».

قال برادلي: «ماذا تقصدين بـ هذا الأمر بالضبط؟ أخبرينا بالقصة كاملة، لا بصورة موجزة لها».

أطلقت ليلي زفرة، ولم تكن تعرف من أين تبدأ: «بدأ ديوك البحث عن الكنوز عندما كان طفلاً. وقضى كل لحظة من أوقات فراغه في معرفة كل شيء عن بوتش كاسيدي. عمل مع بعض فرق التنقيب المشهورة جداً؛ لكن قصته المفضلة على الإطلاق هي تلك القصة التي سأخبركم بها بالتحديد». وبينما كانت تحدد إلى السنة الذهب، حاولت ترتيب الكلمات، وأردفت قائلة: «لقد أخبرتكم بالقليل عن بوتش كاسيدي من قبل؛ لكن هذا لم يكن اسمه الحقيقي. كان يدعى روبرت لي روي باركر. ولد هنا في ولاية يوتا عام 1866. وعندما بلغ سن المراهقة، عمل في مزرعة؛ حيث علمه راعي بقر اسمه مايك كاسيدي كيفية ركوب الخيل، وإطلاق النيران، والسرقة. كان والدا روبرت مزارعين فقيرين عملاً بجد وعاشا على الكفاف. أما مايك كاسيدي، فكان يعرف كيف يمكنه تحقيق مزيد من النجاح، وكان هذا ما يريده روبرت».

نظرت ليلي إلى كل منهم تباعًا، وتساءلت عما إذا كان أي منهم قد اندهش. حتى نيكول - التي سمعت على الأرجح الكثير من هذه القصص، ولم تكن تبدي اهتمامًا بها - بدا كأنها تشعر بأن شيئًا ما كان مختلفًا هذه الليلة.

تابعت ليلي: «وبحلول عام 1889، كانت حمى الذهب قد بدأت، واجتذبت الرجال من جميع أنحاء البلاد، وكان روبرت حينها موجودًا في تيلورايد بـكولورادو التي كانت تُعرف بمدينة «الذاهبون إلى الجحيم»؛ بسبب سمعتها السيئة، وما بها من مخاطر. عمل في تحميل الذهب الخام على البغال؛ ناقلًا إياه إلى أسفل الجبل. ومثل والديه، لم يجن مالا يُذكر مقابل ذلك؛ ولكن على الزاوية كان يقبع بنك وادي سان ميغيل، ولأنه المكان الذي يودع الذهب فيه، علم روبرت أنه سيكون ممتلئًا به، فأخذ يفكر في الوقت الذي سيمتلى فيه هذا البنك بأكثر قدر من الذهب، وجمع معلومات عن العاملين هناك، ولكن الأهم من ذلك أنه فكر في كيفية الهروب بعيدًا بعد ذلك». التقطت ليلي عصا، وبدأت ترسم بها أشكالًا حلزونية صغيرة على التراب بجوار قدميها، بعدها استطرقت قائلة: «كان روبرت رجلًا يتمتع بشخصية جذابة. وقد تعرف على أناس من خارج المدينة، وكوّن صداقات عديدة مكنته من أن يعطيهم بعض الأموال خلسة كي يكتري في الخفاء خيولًا جديدة إلى منازلهم. وفي يوم السرقة، انتظر هو وصديقه مات وارنر حتى لم يتبق سوى عامل واحد في البنك. وبينما كان مات يوجه بندقيته صوب الرجل، بدأ روبرت يفرغ الخزانة، وتمكنا من الهروب، وانتشرت أخبار السرقة. وأصبح روبرت متورطًا في الأمر؛ لكنه لم يرد أن يلحق العار بأمه رقيقة القلب؛ لذلك اتخذ اسم بوتش كاسيدي».

قال والتر: «انتظري. هل كان مات هو صاندانس؟».

«لا، صاندانس كيد هو هاري لونجاو، من فيلادلفيا. ومثل أي فتى آخر في ذلك الوقت، كان يحلم بالذهاب غربًا، فانتقل إلى كولورادو، وكان يعمل في مزرعة ما، حتى قامت عاصفة قوية بقتل تسعين في المائة من الماشية، وقضت على معظم الوظائف، ثم ضُبط وهو يسرق حصانًا، وسرجًا، ومسدسًا خارج مدينة صاندانس، في ولاية وايومنغ».

سأل برادلي: «إذن، متى التقى مات بكاسيدي؟».

أجاب ليو: «في عام 1896». والتقت عيناه بعيني ليلي عبر لهب النار. وتساءلت عن مقدار ما يتذكره عن كل هذه الأمور، وكم المعلومات التي عرفها خلال فترة إقامته القصيرة في وايلدر رانش، أو قرأها في الكتب التي احتفظ بها ديوك بجواره. تذكرت كيف كانا يقرآن معًا بينما يصل إليهما صوت طقطقة الحطب القريب منهما.

وتذكرت أيضًا تلك الليلة التي أخذنا يقرآن فيها تلك الكتب حتى مطلع الفجر.

وكما لو كان ليو يتذكر ذلك أيضًا، طرفت عيناه، محاولاً صرف تلك الأفكار عن ذهنه. واختتم الحديث قائلاً: «لقد التقيا في أوت لو تريل».

سأل والتر: «هل صحيح أن أفراد هذه العصابة لم يطلقوا النار على أحد قط؟».

أومأت ليلي برأسها قائلة: «لم يكونوا بحاجة إلى ذلك، فقد أعطوا الأشخاص الذين كانوا مهديين بفقدان مزارعهم لصالح البنوك الكثير من المال؛ لذا بدلاً من أن يقوم أصحاب هذه المزارع بتسليمهم إلى الشرطة، قاموا بإطعامهم، والاعتناء بخيولهم؛ بل قاموا بالكذب رغبة في حمايتهم».

أطلق برادلي صفيراً منخفضاً وهو في حالة انبهار، ثم أخذ ينكز النار بعصا طويلة.

أضاف ليو: «نعم، ولكن كان المسئولون عن البنوك والسكك الحديدية في حالة من الغضب الشديد، ومن ثم استعانوا بوكالة التحقيقات بينكرتون التي كان يعمل لديها العديد من الوكلاء والمخبرين في جميع أنحاء البلاد».

بدا والتر قلقاً حقاً وهو يقول: «لا».

قالت ليلي: «وساءت الأمور عندما سطا بوتش ورجاله على قطار يونيون باسيفيك في ويلكوكس في ولاية وايومنغ؛ حيث قاموا بتفجير العربات بالديناميت، وخلال أربع

وعشرين ساعة تقريبًا أصبح كل رجال بينكرتون يطاردونهم، ولم يكتفوا بتقصي آثارهم فقط؛ بل تعقبوا كل رقم تسلسلي لكل ورقة نقدية سرقتها عصابة بوتش، وقاموا بنشر تلك المعلومات لدى البنوك، والسكك الحديدية، والفنادق، والمخازن العامة. وكانت مكافأة القبض عليه هي أربعة آلاف دولار، ثم ارتفعت إلى خمسة آلاف، ثم إلى ثمانية آلاف. وفي عام 1899 أدرك بوتش أنه سيقبض عليه، وأنه ليس أمامه سوى القليل من الوقت». توقفت لتختلس النظر إلى جميع الجالسين حول نار المخيم؛ لكن لم يتحرك أحد.

قال برادلي بإلحاح: «وماذا حدث بعد ذلك؟».

أجابت ليلى: «تقول القصة إنهم أخفوا أموالهم في مكان ما على طول طريق أوت لو تريل، لعلمهم أنهم إذا أنفقوا دولارًا واحدًا، فسيكشف أمرهم على الفور، ثم فروا إلى الأرجنتين».

ألقي برادلي غصنًا صغيرًا في النار، وقال: «انتظري دقيقة. في الفيلم المأخوذ عن القصة، شاهدنا أن كلا الرجلين توفي في تبادل لإطلاق النار هناك. فهل تقولين إن العصابة أخفت تلك الأموال، ولم يأت أحد من أفرادها من أجلها مرة أخرى مطلقًا؟».

«يعتقد بعض الناس ذلك».

انحنى والتر إلى الأمام لينظر إليها، وقال: «وأنتِ تعتقدين أن والدك قد وجد الكنز، وبدلاً من صرف النقود، أخفى كل شيء مرة أخرى؟».

قالت ليلى وهي تهز كتفيها: «إما هذا، وإما أنه ترك أدلة لمن كان يخطط لترك الدفتر له لتوجيهه إلى موقع الكنز الأصلي». أمالت رأسها، وعضت على شفتيها بينما كانت تفكر في كيف أن أيًا من هذين الاحتمالين جعلها تشعر بالكثير من الغضب. ثم أردفت قائلة: «لقد باع أرض عائلته في وايومنغ، وربما كان يتوقع أن يعيش معتمدًا على هذه الأموال؛ ما يعني أن توقيت عثوره على نقود بوتش كاسيدي - إن كان عثر عليها من الأساس - مهم، وربما وجدها في وقت لم يتوقع قط أنه سيحتاج إليها فيه. اعتاد ديوك أن يقول: المغامرة أهم

من أي شيء يا طفلي، وفي ذكرى ميلادي كان يجعلني أفك شفرات من أجل العثور على علبة من العلكة لفها هو وأخفاها، أو يأخذني في نزهة على الأقدام ويختبر معرفتي معالم المكان، وبعدها يخبرني بأن المعلومات التي حصلت عليها هي هديتي».

نظر برادلي نحو نار المخيم ثم قال: «هل يمكن أن يبحث أي منكم في جوجل عن كم المال المسروق في ويلكوكس».

قالت نيكول: «جوجل؟ كيف؟ أتريدنا أن نجري البحث باستخدام واحدة من تلك الصخور؟».

قالت ليلي وهي تلوح بيدها: «لقد سرقوا نحو ستين ألف دولار. وأنا على يقين بأنهم أنفقوا بعضًا من ذلك المال في مكان ما؛ لذا دعونا نفترض أن المتبقي هو خمسين ألفًا تقريبًا».

قال والتر: «حقًا هذا هو المبلغ؟ هل كان تيري سيقتلنا جميعًا من أجل خمسين ألف دولار؟».

سأل برادلي وهو ينظر حوله إلى كل فرد منهم ليتأكد: «ولكن السرقة وقعت عام 1899 أليس كذلك؟ حينها كانت قيمة هذه الأموال أكبر كثيرًا مما عليه الآن».

قالت ليلي بهدوء: «أضف إلى ذلك أن تلك كانت غنيمة عملية سطو واحدة فقط من بين مجموعة أخرى من السرقات».

حدق إليها ليو: «كم مقدار المال الذي اعتقد ديوك أن هؤلاء اللصوص أخفوه؟».

«بشكل كامل؟ نحو مائة وخمسين ألف دولار».

قال برادلي في انبهار: «مائة وخمسون ألف دولار عام 1899. أجزم بأن هناك بعض العملات الذهبية النادرة جدًا، التي لم يسمع بها أحد تقريبًا، ومن الممكن أن تساوي الملايين حاليًا».

قالت ليلي بينما كانت تنظر نحو النار: «ما لا يقل عن عشرة ملايين، هذا ما اعتقده ديوك».

طرفت عينا والتر: «يا له من أمر مضحك، بدا لي أنك قلتِ عشرة ملايين».

رد ليو: «لقد قالت ذلك فعلاً»، فتجمد الجميع في أماكنهم.

وقف برادلي، وبدأ يتحرك في أرجاء المعسكر، ويصيح قائلاً: «يا إلهي، لا أصدق».

اعترضت نيكول طريقه: «اجلس؛ فما زلت لا أثق بك».

امتثل لها على الفور.

قال والتر ببطء: «الغريب في الأمر أن تيري أحضر معه مسدسًا، وجهاز جي بي إس، وكل

تلك الأشياء. وأنه كان مستعدًا تمامًا للبحث عن الكنز». ونظر إلى برادلي في حيرة،

وأضاف: «لكن ألم يكن ذلك للتخطيط لرحلة العام؟».

التفت الجميع إلى برادلي الآن، فإذا به يقوس ظهره ويبتسم في توتر قائلاً: «حسنًا، لا داعي

للغضب. لقد أخبرته بأن بإمكانه المجيء إذا اختار هو المكان وخطط لكل شيء».

قال ليو: «يا إلهي! برادلي أنت أكبر أحقق قابلته في حياتي».

احتج برادلي: «كنت مشغولًا حقًا».

حدق فيه ليو: «كنت مشغولًا مثلما فعلت عندما كان من المفترض أن تخطط لحفل ذكرى

ميلادي الثلاثين، وانتهى بنا المطاف في مطعم جولدن كراست، أم كما كنت مشغولًا ولم

تخطط جيدًا للاحتفال بترقية والتر؟».

بصدق اندفع والتر ليقول لـ برادلي: «لست مستاء من تصرفك هذا. أعتقد أن كعكات السوبر

ماركت كانت أفضل احتفال».

سألت نيكول ليلي: «هل يمكننا رميهم جميعاً من فوق الجرف؟ سيكون المكان أكثر هدوءاً».

قال والتر ليعيد تركيز الجميع على الموضوع الأساسي: «لكن إذا افترضنا أن الكنز موجود بالفعل، وأن تيري كان بحاجة إلى دفتر يومياتك للعثور عليه، ألا يعني ذلك أن لدينا خريطة لكنز حقيقي؟».

قالت ليلي: «نظرياً فقط».

نظر برادلي إلى كل واحد منهم: «سنفعل ذلك، أليس كذلك؟ سوف نتبع الأدلة والعلامات التي وضعها ديوك لنصل إلى أموال بوتش كاسيدي؟».

ردت نيكول وهي ترمقه بنظرات غاضبة: «وما الذي يجعلك تعتقد أنك ستحصل على أي من تلك العلامات؟ إنها خريطة ليلي».

قال والتر: «لأنه العُرف الخاص بالخارجين على القانون. أتذكرين؟».

ابتسم برادلي: «هذا صحيح يا والتر».

قال ليو: «أعتقد أننا نغفل النقطة الرئيسية. تيري قد مات، وإذا عدنا وأخبرنا السلطات بأنه سقط، فعلى الأرجح لن توجه إينا تهمة القتل؛ ولكن إذا ذهبنا إلى البحث عن الكنز، فسنضع أنفسنا في موقف سيئ جداً».

رد برادلي: «ولكن إذا كنا ننوي إخبارهم بأن تيري ضل طريقة على أي حال، فلماذا لا تكون قصتنا أنه ضل طريقه ونحن ذهبنا للبحث عنه؟» صمت برادلي قليلاً، ويبدو أنه كان ينتظر معارضة فورية؛ لكن عندما رأى صمت ليلي، تابع وهو أكثر جرأة: «لقد كنا نخطط بالفعل للقيام بالبحث عن كنز وهمي خلال الأيام الثلاثة التالية، فلماذا لا نسعى خلف كنز آخر حقيقي؟».

قالت نيكول بهدوء: «يا مديرة. أنت تعلمين أن اسم برادلي مدرج بقائمتي للأشخاص المزعجين، ويعلم الله كم أكره أن أعترف بذلك؛ لكنني أرى أنه على حق، فلماذا لا نذهب ونرى؟».

رفعت ليلي عينيها ونظرت إليها قائلة: «أعتقد أنك قلتِ إنك لا تستطيعين الكذب على رجال الشرطة».

«إنها عشرة ملايين دولار». وهزت كتفيها كأنها تود أن تقول آسفة، لكنك تعلمين أنني على حق، ثم نظرت إلى بقية المجموعة التي حولها، وأضافت بصوت مليء بالمشاعر: «كل ما أقوله هنا يبقى هنا، مفهوم؟ أنا فقط أقدم اقتراحات، ولكن... يمكننا المضي والاستمرار كما لو أننا ذاهبون للبحث عنه. فكم مرة قال إنه يعرف هذا المكان أفضل من أي منا؟ ربما رحل ثم سقط بعد ذلك. ربما يمكنني خداع عقلي للتفكير في ذلك. لكن علينا أن نذهب للبحث عن المال».

سأل والتر: «كم من الوقت سيستغرق الأمر - الذهاب والعودة؟».

تأملت ليلي الخريطة المرسومة باليد، بينما كانت تشعر بتدفق الدم يندفع إلى أطراف أذنيها، فأخذت تنقر بإصبعها على ساقها بعصبية، وقالت: «إذا كنا سنذهب إلى المتاهة بالخيول، ثم بعد ذلك نكمل سيرًا على الأقدام، فربما ثلاثة أيام أو أربعة؛ لكن هذا مكان خطير حقًا. إنه مكان ليس لرحلة عائلية ممتعة، أو نزهة سياحية لطيفة. بل تحتاج إلى تصريح بخط سير الرحلة حتى يتمكن رجال الشرطة من العثور على جسدك إذا لم تعد، ثم إننا بحاجة إلى التوقف للحصول للإمدادات».

هتف برادلي بثقة وبصوت جهوري: «إذا كنتِ ستقودين الرحلة، يمكننا فعل أي شيء، وستتصل بالشرطة ونحن على الجانب الآخر. مع وجود فرصة للعثور على النقود. وأنت ستذهب معنا، أليس كذلك يا صديقي؟» ثم نظر إلى والتر.

تردد والتر قبل أن يوميء برأسه قائلاً: «هذه فرصتي للبدء من جديد، أتذكر؟». نظر إلى ليو نظرة ذات مغزى، وأضاف: «أنا أعني فرصتنا جميعاً. متى سنحظى بفرصة مثلها مرة أخرى؟».

قالت ليلي: «الأمر ليس مثل التنزه بعد الظهر يا والتر. إنه أمر خطير، لقد اجتزنا الجزء السهل».

سألها: «هل كان ذلك الجزء السهل؟».

نظرت إليه ليلي: «كان ذلك لا شيء».

كان الصوت الوحيد المسموع هو صوت طقطقة الحطب داخل النار.

وتوقعت أن يتكلم أحدهم مرة أخرى؛ لكن لم تتوقع أن الكلمات التي ستسمعها في الظلام ستكون كلمات ليو: «لكن هل تعتقدان أن بإمكاننا فعل ذلك؟».

«ليو، هل تخبرني بأنك تريد فعلاً القيام بذلك؟».

أقر قائلاً: «لا أعرف حقاً ما أقوله؛ لكن ذلك اللغز يبدو كأن وراءه شيئاً ما يا ليل. أعلم أنك تشعرين بذلك أيضاً». طرفت عيناها وهي تمرر يدها على ذراعها التي انتابتها قشعريرة بسيطة، لقد ناداها بليل، ولم ينادها أحد بذلك الاسم منذ سنوات.

وبالفعل كان على حق؛ لقد كان هناك إحساس عميق يدفعها لكيلا تتجاهل ذلك. قال ليو: «أعرف أن الجميع يعتقد أن تيري كان شخصاً أحمق؛ لكنه صدق الأمر بما فيه الكفاية ليجلب مسدساً معه؛ بل أراد أن يأخذ نيكول رهينة كذلك. فهل كان ينوي أن يطلق النار علينا؟ وهل كان سيجعل نيكول ترشده إلى أسفل الوادي؟».

قال برادلي: «لا تنسوا المشابك البلاستيكية، فالمرء لا يحضرها لمحاربة الوشق الأحمر وأسود الجبال».

مشى ليو حول النار، ثم جثا على ركبتيه أمامها، ووضع يده على الدفتر قائلاً: «كان تيري حريصاً على معرفة ما في داخله؛ لكنه الآن بين يديك».

أحست كأن هناك جذوة من الأمل تتقد بين ضلوعها؛ تلك الجذوة التي أوقدها التوق غير المتوقع في تعابير وجهه. فما الذي كان يرغب في سماعه منها الآن؟ شعرت بأن ما يحدث حولها يفوق قدرتها على التعامل معه في الحال، فبغض النظر عن موت تيري، كان لديها يقين قوي حتى لو لم تستطع تفسير سببه بأن ذلك اللغز لم يكن مجرد لعبة.

وعلى الرغم من هذه الحقيقة، لم يترك لها ديوك ذلك الدفتر. ولم يخبرها بأنه عثر على الكنز أيضاً؛ بل دون الاهتمام بمشاعرها باع مكانها المفضل في العالم، وتركها فقيرة ووحيدة. لقد ضاقت ذرعاً بفكرة أن يكون ديوك وايلدر هو من يحدّد مصيرها وشكل حياتها.

ومع ذلك، هل كان الأمر يستحق مجرد... البحث؟

قال برادلي: «أنا ووالتر ونيكول مستعدون للانضمام إلى عملية البحث».

أوضحت نيكول: «أنا مع المديرية. أنا أوافق على كل ما تقوله هي، فنحن الاثنتان نشكل فريقاً». وبعد بضع لحظات أضافت: «أعتقد أن هناك طريقة ستجعلنا نبدأ حل اللغز، وفي الوقت نفسه لا نتورط في موضوع تيري».

التفت برادلي إلى ليو وهو يقول: «ما رأيك يا رجل؟».

كان ليو لا يزال جالساً أمامها؛ لكنه قد حوّل بصره، وأخذ ينظر إلى الأرض الموحلة عند أقدامهما. وكانت ألسنة النار قد ألقّت بظلالها على وجهه لتبدو زوايا فكه وعظام وجنتيه كأنها تتوهج. وبعد لحظة رفع ذقنه لتلتقي عيناه بعينيها مرة أخرى، وهو يقول: «سوف أفعل كل ما تقوله ليلي».

حاولت ليلي أن تخفي شرارة الشوق والرغبة الصغيرة التي أحست بها في صدرها، ثم نظرت إلى الخريطة مرة أخرى، وإلى الكلمات المكتوبة بخط ديوك.

الجواب هو نعم.

بعدها قالت: «سوف نتريث في اتخاذ القرار، وعلى أي حال، لا يمكننا فعل أي شيء حتى الصباح».

الفصل الثالث عشر

لم يعرف ليو كيف تمكن من النوم بعمق بهذا القدر؛ لكنه استيقظ في صباح اليوم الخامس له في الصحراء بكتفين متيبستين للغاية؛ ما يعني أنه بالكاد تحرك أثناء نومه طوال الليل. لم يتذكر أحلامه، ولم يتذكّر ولو ثانية واحدة كان فيها واعياً، في الوقت ما بين إغلاقه عينيه الجافتين المرهقتين والوقت الحالي. شعر بالامتنان حيال ذلك، فمقارنة بالخيار الآخر يعد هذا أفضل. ثم قام ببعض تمارينات الضغط مستنداً إلى مرفقيه ليزيل آثار النوم من عينيه، وأحس بانقباض في صدره، حيث عادت كل الأحداث إلى ذهنه الآن: الاكتشاف المربك لوجود مسدس، وصورة تيري وهو ينزلق من فوق حافة الوادي، والخريطة التي تشير إلى أنه قد يكون هناك كنز حقيقي في ذلك المكان.

تساءل عما إذا كانت ليلي قد تمكنت من النوم أم لا.

لم يسمع أيّاً من أصوات الحيوانات التي سمعها الليلة الماضية، ولا صوت الحفيف الذي يصاحب عادةً تحركات الحيوانات حول المخيم، ولا صوت تغريد العصافير وهي تستقبل يوماً جديداً. كانت الساعة تشير إلى ما بعد الخامسة والنصف، وعبر النسيج الناعم للخيمة الرمادية، استطاع أن يرى أن السماء قد تلونت باللون الأزرق البديع، لون أعماق البحار، والصبح ينتظر بصبر ظهور ضوء النهار.

بعد ذلك، سمع صوت تنهيدة يتردد صداها عبر الهواء البارد. لقد سمع ذلك الصوت مئات المرات على أرض الواقع، وآلاف المرات في خياله: كان ذلك هو صوت ليلي وهي تتمطى بعدما استيقظت هذا الصباح. وعلى الرغم من أنه لم يكن يستطيع رؤيتها؛ إذ يفصل بينهما قماش جدار خيمته، فإنه تمكن من تخيل المشهد بشكل دقيق: كيف تجلس في فراشها، حيث تميل ذراعها فوق رأسها، وتحركات جسدها وهي تتلوى مثل القطة من اليسار إلى اليمين، ثم رفعها وجهها إلى السماء مغمضة العينين، وإطلاق هذا الصوت الخفيض الناعس

المحِب لأذنيه. وغريزيًا، أحس بالتوتر، واستغرق في التفكير في ذكريات الماضي الجميل،
والأيام التي قضاها معها في المزرعة.

وبكل صدق، شعر بأنه يمكنه أن يواجه أي شيء وأية ظروف إذا كانت هي إلى جانبه مرة
أخرى.

كانت قد استيقظت لتبدأ يومها، وكان هو على وشك فعل الشيء نفسه عندما سمع صوتًا
آخر على بعد خطوات من خيمته، وقريبًا من نار المخيم. سألت نيكول: «هل حصلت على
قسط كافٍ من النوم؟».

سمع صوت الماء وهو يُسكب في الغلاية، وصوت احتكاك الأجزاء المعدنية للغلاية وهي
توضع على الموقد فوق النار. بعدها ردت ليلي: «كلا. وأنتِ؟».

«قدرًا قليلًا فقط».

ساد الصمت، وعاد إلى فراشه مرة أخرى ممسكًا برأسه بين يديه، وأخذ يتنصت بلا خجل.
فبسبب الأجواء الضبابية الغريبة والمربكة التي سادت ليلة أمس، والطريقة غير المألوفة
التي بدت عليها ليلي فجأة؛ أراد أن يعرف كيف حالها، ولم يكن متأكدًا هل ستكون صادقة
معه إذا ما سألها أم لا.

قالت نيكول: «حسنًا يا مديرة، ما الذي يدور في ذهنك؟».

كانت إجابة ليلي هادئة، كأنها شعرت بالقلق من أن شخصًا ما يمكنه سماعها: «أعدت
التفكير في الأمر مرارًا وتكرارًا طوال الليل».

«وأنا فعلت الشيء نفسه».

«لا يمكننا تجاهل الوضع». صمتت لحظات ثم أضافت: «أعني تيري».

«بالطبع لا. ليس هذا ما أراه».

«معك حق. إن العودة مباشرة إلى المنزل لن تغير شيئاً من حقيقة أنه قد مات».

«بالتأكيد لن تغير شيئاً». ساد الصمت بضع ثوانٍ، لدرجة أن ليو ظن أنهما ابتعدتا عن المكان، وفجأة تحدثت نيكول مرة أخرى: «إليك كيف أرى الأمر: يمكنك أن تواجهي تلك الورطة فقط، أو يمكنك أن تجمعني بين الاثنين - الورطة والذهب».

«نيكول، أنا لست متأكدة من أن ديوك قد عثر على أي شيء؛ ولكن إذا كان قد وجده... أعني، هناك الكثير لأفكر فيه».

«أعلم ذلك».

«اعتقدت أنني لن أشعر بأي خيبة أمل بسبب ديوك مرة ثانية». شعر ليو بوجع في قلبه بسبب الطريقة التي تحدثت بها ليلي؛ وكيف وهن صوتها، ثم اختنق في النهاية.

قالت نيكول بلطف: «أعلم يا عزيزتي؛ ولكن ربما تكون هذه فرصة للاستفادة من كل الجهود التي قام بها. حتى إذا افترضنا أن ديوك لم يجد أي شيء. فلنعتبر أنها لعبة، أو أننا أخطأنا مكان اللغز. ماذا في ذلك؟ نحن نتحدث عن بضعة أيام، نذهب إلى قمم الجبال وأسفل الوادي. وإذا لم نجد أي شيء، فسنعود ونخبر رجال الشرطة بأن تيري تركنا، فذهبنا للبحث عنه، واعتقدنا أننا نعرف إلى أين كان ينوي الذهاب لكننا فشلنا».

ذكرتها ليلي: «سيجدون جسده في نهاية المطاف أسفل الوادي، بينما في الأعلى يوجد مخيمنا».

«حسناً، وما الذي نقوله للسائحين في اليوم الأول؟ لا تتجول بمفردك. يمكننا جميعاً أن نشهد بأنه قد فعل ذلك من قبل، فمن يمكنه إنكار أنه كان يتصرف بصيبانية في الظلام؟ لن يشكك أحد في ذلك».

«أعرف ذلك».

«في أسوأ الحالات، قد لا نحصل على الكنز؛ لكننا سنقضي يومين إضافيين ونحن نعيش على الأمل والحلم. وأنتِ يمكنكِ التحديق إلى ذلك الرجل المهووس بك مدة أطول».

«نيكول. اسكتي».

يا إلهي، ماذا قالت؟

كاد ليو يخنق نفسه بوسادته. وتمنى لو كان بمقدوره أن ينتزع مقلتيه ويدحرجهما إلى حيث كانتا تجلسان لكي يرى تعبيرات وجه ليلي أثناء قولها ذلك... تمنى أن يرى هذا المشهد حتى لو ظل أعمى بقية حياته.

بالكاد سمعها وهي تهمس: «أنا لا أصدق إليه».

قالت نيكول بصوت مرتفع: «هل تعنين حقًا ما نقولين؟ أنت لا تتقنين الكذب، بل أنتِ أسوأ مني في ذلك».

«أنا لا أكذب».

«حسنًا، هو يفعل ذلك؛ هذا الرجل يحدق إليك كثيرًا».

شعر بسخونة تسري في جسده من أخمصي قدميه حتى رقبته، إذ كان متأكدًا من أن نيكول على حق.

قالت نيكول، وهي تغير وجهة الحديث: «حسنًا، الآن: تخيلي لو كان الأمر حقيقيًا، تخيلي أنك وجدتِ ولو القليل فقط من المال. حتى لو كنتِ تعتقدين أن احتمالية عثور ديوك على المال لا تتجاوز خمسة في المائة، وحتى لو عثرنا على جزء بسيط فقط من أموال بوتش كاسيدي، فإن ذلك سوف يكفي لاسترجاع أرضك مرة أخرى. يمكن أن يغير ذلك حياتنا يا

فتاة، أليس هذا هو القدر؟ في الوقت الذي تُعرض فيه أرضك للبيع، تهبط هذه الفرصة من السماء؟».

حدق ليو إلى سقف الخيمة شاعراً بالدوار. هل كانت مزرعة وايلدر رانش معروضة للبيع؟
مرت عدة ثوانٍ ثقيلة، وبعد ذلك قالت: «أعلم ذلك».

«هذا هو أقصى أمانيك يا عزيزتي».

«أعلم ذلك». لكن هذه المرة بدا صوتها أكثر هدوءاً.

استقر رأس ليو على وسادته. وأحس بألم شديد يعتصر قلبه، حتى إنه لم يستطع التنفس بعمق.

تردد صدى الكلمات في أذنيه: هذا هو أقصى أمانيك يا عزيزتي.

أما هو فلم يتمنَّ غيرها في هذه الحياة.

شعر كأنه محاصر بالكثير من الأحداث والمفاجآت، وكأنه قد دُفع به إلى الجلوس في حيز ضيق بينما امتلأ قلبه بالمشاعر المتدفقة، التي كانت أكثر من قدرته على التحمل. لقد هرب من عالمه، ومن شعوره بالوحدة والرتابة والروتين في نيويورك، وعلى الرغم من كل ما حدث أمس - وعلى الرغم من حقيقة أنه ليست لديه أي فكرة عما ستجلبه الأيام القليلة المقبلة - لم يكن مستعداً للعودة مطلقاً.

لم يفاجأ عندما وجد أنه كان أول من خرج من خيمته. كما أنه لم يفاجأ عندما سمع من الآخرين أنهم كانوا مستقلين على ظهورهم، مثله تماماً منذ بضع دقائق، محققين في

أسقف خيامهم، في محاولة لاستكشاف مشاعرهم. كانت أفكاره مشتتة مثل كرة متشابكة من الشرائط المطاطية؛ ولكن كان عليه أن يجد ليلي.

وجدها تقف عند البقعة المشئومة على حافة الوادي، وهي تمد بصرها بعيدًا بينما كانت تمسك بفنجان قهوة من الصفيح. لم يكن شعرها الداكن مضرًا، بل انسدت خصلاته الناعمة والممشطة بين كتفيها. بدت هيئتها هزيلة ونحيلة، وربما كان تأثير المحادثة التي سمعها من فوره هو ما جعله يتخيل رؤية انحناء صغيرة في وقفها، ومن ثم شعر بالألم والشفقة عليها. وخوفًا من إفزاعها، تنحى وهو على بعد بضعة خطوات وراقبها وهي تستفيق من شرودها.

قال: «مرحبًا»، ثم تقدم ليقف بجانبها، مقاومًا رغبته في الاقتراب منها أكثر.

«مرحبًا».

«أخشى أن أزعجك بسؤالي، ولكن كيف حالك؟».

أطلقت ضحكة ساخرة وهي ترفع كوبها الذي يتصاعد منه البخار لشفتيها قائلة: «أشعر بالدوار».

ابتسم بحذر وهو ينظر إلى المشهد أمامه مؤيدًا كلامها قائلاً: «أريد أن أقول الشيء نفسه».

اعترفت له: «لم أتوقع أن أواجه مثل هذا الموقف من قبل».

«أنا متأكد من ذلك».

«لا أتحدث فقط عن الجزء الخاص بـ تيري»، ثم رفعت وجهها نحو السماء وقالت: «إنه أمر مأساوي بالطبع؛ لكنني قصدت ما قلته، وهو احتمالية الموت في هذا المكان».

قال مازحًا: «هيا تحدثي بصدق: ما الجزء الآخر الذي تقصدينه؟».

ضحكت ضحكة قصيرة، ولكن ابتسامتها سرعان ما تلاشت وهي تقول: «هذا أمر غريب، أتعلم ذلك؟ فمن ناحية، لا أشك في أنه قد وجد أموال كاسيدي. فهذا يبدو أمرًا معقولًا. إنه ديوك وايلدر. ولو تمكن أحد من العثور على هذا الكنز، فسيكون هو. ومن ناحية أخرى، إن فكرة أنه وجده ولم يخبرني مفزعة للغاية بالنسبة إليّ، ويصعب عليّ فهمها».

«أنا أفهم ذلك تمامًا». حدّق ليو إلى قدحه وهو يحاول صياغة سؤاله التالي بكلمات مناسبة؛ لكن في النهاية كان السؤال بسيطًا جدًا: «متى توفي؟».

«منذ سبع سنوات تقريبًا».

أطلق صافرة خفيضة: «لقد مرت فترة إذن».

أخذت رشفة، ثم أومأت برأسها: «أصيب بسكتة دماغية». شعر بها وهي تركز انتباهها على جانب وجهه، فالتفت إليها، فتقابلت نظراتهما وهي تتابع قائلة: «أصيب بها بعد أسابيع قليلة من مغادرتك - بعد أسابيع قليلة من بيع المزرعة».

أحس كأن قلبه قد توقف فجأة. لقد حدث كل ذلك وهي في التاسعة عشرة من عمرها فقط. يا لها من أحداث تفوق طاقتها على الاحتمال!

قالت: «لقد استغرق الأمر بعض الوقت لكي يستطيع أحد من طاقم المستشفى الوصول إليّ؛ لأنني لم أكن في المزرعة، ولم يكن لديّ هاتف». ضحكت في تهكم، ثم أردفت: «لم يستطع المشي أو التحدث: أحضرته إلى منزلنا في المدينة، والشيء الوحيد الذي كان يقوله منذ ذلك الحين كان ليلى أحضري بعض الماء، ليلى اضبطي الوسادة. ليلى غيري المحطة. ثم جرى الاتفاق على أن تأتي ممرضة بضعة أيام كل أسبوع للمساعدة، حتى أتمكن أنا من العمل؛ وإلا لقتلته على الأرجح». ضحكت فعرف أنها كانت تمزح. وبعدها أضافت: «أعتقد أن الجانب الإيجابي لبيع المزرعة هو أننا كنا نملك المال الكافي لدفع الفواتير الطبية. لقد استمر مرضه أقل من ثلاث سنوات بقليل». نظرت إليه، وحاولت أن

تبتسم، ثم أدركت كيف بدت نبرات صوتها رتيبة ومنفصلة عن الواقع، كما لو كانت تردد على مسامعه ما طلبه لوجبة العشاء ولا تتحدث عن فقدانها والدها.

قال بتعاطف: «لا أعلم أيهما أشد سوءًا، فقدانك شخصًا ما فجأة أم بعد مرض طويل.»

أجابت على الفور: «فقدانك أحد والديك شرط أن يكون عزيزًا على قلبك. إنه القدر على أي حال. أعرف إلى أي مدى كنت قريبًا من والدتك. أما أنا فكان اعتنائي بوالدي أمرًا صعبًا، وأنا أعلم أن كلينا على حد سواء قد ندم كثيرًا في النهاية؛ لكن ديوك لم يعرفني جيدًا بما يكفي ليدرك كم كنت شخصًا مهمًا بالنسبة إليّ. كنت أفكر: كان بإمكانه إيصال رسالتك إليّ لو كان يريد ذلك حقًا. ربما لم يكن ذلك ليغير أي شيء؛ لكنني على الأقل سأكون قد علمت ما حدث لك.»

لم يعلم ماذا يقول؛ لذلك أطلق صوتًا حاول كتمه يوحى بموافقته على كلماتها، ثم أومأ برأسه. كان الأمر سيختلف تمامًا بالنسبة إليه، لو عرف أنها لم تنسه، وأن القصة لم تنته بعد. وأخيرًا أقر قائلاً: «أعتقد أنني ما زلت أحاول معرفة كيف انتهى بك الأمر إلى العمل في السعي وراء الكنوز وتلك الرحلات الاستكشافية.»

قالت: «كنت أعمل في مقهى في هيوستن؛ لكنني كنت مفلسة. كان مالك المكان يعرف بعض الأشخاص الذين يحتاجون إلى مرشد سياحي، وكنت أنا أعرف المنطقة؛ لذا قمت بتلك الرحلة خدمة له، لكنهم أمضوا وقتًا ممتعًا على ما أعتقد، وأخبروا أصدقاءهم بالرحلة الرائعة. وهكذا جرى تسويق الفكرة. وكان ذلك قبل نحو سبع سنوات من الآن. بالتأكيد لم تكن تلك هي وظيفة أحلامي، لكنها كانت وسيلة لكسب المال واسترجاع خيولي، ثم تساءلت لماذا لا أستخدم سمعة ديوك وولعه بالكنوز في شيء ما؟». توقفت وبدا عليها التوتر الشديد وهي تضيف: «هل تعلم أنني دائمًا ما تخيلت ذلك؟».

«تخيلت ماذا؟» - نظر إليها وهو يحبس أنفاسه. فقد تغيرت نبرات صوتها وانخفضت وأصبحت أكثر تكتّمًا.

«أن أراك مرة أخرى».

أحس ليو كأن قلبه ارتفع إلى حلقه: «أنا أيضًا».

«في بعض الأحيان كنت أتخيل أنني ذهبت إلى نيويورك مع نيكول ثم صادفتك في الشارع أو شيئًا من هذا القبيل».

كان من السهل جدًا عليه تذكر تلك الخاطرة؛ إذ تدفقت الكلمات من فمه مباشرة: «كنت أفكر في أنني إذا قابلتك، فسيكون ذلك خلال رحلة ما في مكان ما مع أصدقائي، وستكونين مع زوجك وعدد من الأطفال. وسأكون متشوقًا إلى اللحاق بك؛ ولكن سأضطر إلى مرافقة برادلي إلى الفندق وستضيع الفرصة؛ ولكن آنذاك، كنت أعتقد دائمًا أنك تعيشين أسعد لحظات حياتك في المزرعة».

هزت رأسها ضاحكة، وهي تنظر إلى أسفل. وبطرف حذائها رسمت دائرة على التراب الأحمر أمامها، وقالت: «لقد تلقيت رسالة في اليوم السابق لوصولكم إلى هنا. من جوناثان كروس؛ الرجل الذي اشترى المزرعة. يقول فيها إنه سيتقاعد، ويريد أن يمنحني الفرصة الأولى لإعادة شراء المزرعة».

«هل تنوين فعل ذلك؟».

أطلقت ليلى ضحكة عالية وهي تسأله: «ومن أين سأتي بالنقود؟».

أراد أن يقول لها: لديّ بعض المدخرات، هي لا تكفي بالطبع؛ لكنها لا بأس بأن تكون بداية، ثم أدرك أنها فكرة مجنونة. لقد مرت أربعة أيام فقط. ولا يمكن أن يعرض عليها شراء المزرعة من أجلها.

قالت محرجة: «على أي حال، أنا لا أقول إن كل شيء على ما يرام، فالأمر أشبه بالفوضى، ولكن في الحقيقة، أنا سعيدة لأنك هنا معي وسط كل هذا. فقد اشتقت إليك حقًا يا ليو».

وبينما خيم الصمت عقب ذلك، ظل ليو ساكنًا.

ظلت ليلى تتأمل السماء أمامهما، وكان هو ممتنًا لذلك. فأى تواصل بصري بينهما الآن كان سيُقضى عليه. فأولًا وأخيرًا فإنها نظراتها الثابتة والواثقة هي ما جعله يقع في حبها من اليوم الأول منذ عشر سنوات. كان يعلم أنه هو الشخص الوحيد الذي استطاع كسب ثقتها لدرجة جعلتها تشاركه أفكارها العفوية؛ لذا فإن اعترافها الآن بهذا الشعور بصوت عالٍ جعله يتوتر بسبب اندفاع الأدرينالين في عروقه.

واصلت حديثها قائلة: «لقد فعلت كل ما في وسعي لأتسك». وفي هذه اللحظة عندما نظر إليها رآها مغمضة العينين، وبدا عليها التوتر وهي تقول: «حاولت أن أغير من نفسي، فعملت ساعات طويلة جدًّا، وحاولت الارتباط بغيرك، ولكن كل ذلك دون جدوى».

أخذ ليو يلهث، وشعر بضيق في صدره وبالاشتياق إليها، ولم يكن هناك مجال للكلمات، ثم أخيرًا استجمع شجاعته، وقال لها: «اشتياقي إليك جعلني منهكًا جسديًا».

استدارت نحوه ونظرت إلى عينيه.

حدق إليها ليو فترة أطول، ثم نظر إلى أسفل، وظل ينظر إلى يديه، ويفرك بإبهامه مفاصل أصابعه، ثم قال: «كان الهدف من هذه الرحلة الذهاب إلى مكان أصفى فيه ذهني من ضغوط الحياة. وكنت أرغب...» توقف برهة ثم قال وهو يطلق زفيرًا طويلًا: «أن أحظى بإجازة من كل شيء؛ لكن هأنذا الآن معك. فأنا لا أقصد... أعني أنك شخص مهم بالنسبة إليّ، وحتى لو لم نعد يعرف أحدنا الآخر جيدًا، فأيا كان ما تحتاجين إليه، سأظل مستعدًا للقيام به من أجلك».

استدارت نحو الحافة مرة أخرى وهي تقول: «لقد افترضت طوال حياتي أن ديوك شخص تافه. والآن، يبدو الأمر كأن فرصتي الوحيدة لاستعادة مزرعتي تعتمد على افتراض أنه لم يكن في الواقع بهذه التفاهة».

سألها: «هل هذا ما تريدينه - المزرعة؟».

أخذت نفسًا عميقًا، وهي تنقر على فنجان القهوة برتابة، وأجابت: «نعم، هذا ما أريده، أريد مزرعتي، وأن أكوّن عائلة، وألا أشعر بالقلق إزاء فكرة أنني قد لا أملك المال لإطعام الخيول ودفع راتب نيكول. أريد ما أنا بحاجة إليه من أجل تغيير حياتي. وماذا عنك؟» توقفت لحظة ثم سألته: «ماذا تريد؟».

عندما ابتسم، كان على يقين بأنها لا تعرف ما هو المضحك في الأمر، وفي الواقع المضحك هو إجابته التي كانت على النقيض تمامًا من إجابتها: «أريد أن تنقلب حياتي رأسًا على عقب».

استدارت لتنظر إليه مرة أخرى: «ماذا يعني ذلك؟».

«أنا مستعد للانضمام إليك في أي شيء».

بدت عينا ليلي العسلتان كأنهما تتوهجان باللون الذهبي نتيجة انعكاس أشعة الشمس عليهما، وسألته: «حقًا؟».

«حقًا». كان يفكر في قرارة نفسه أنه سيتبعها إلى أي مكان.

قالت وهي تحديق إلى عينيه: «إنني أحب السيطرة الكاملة، لذلك سأحمل المسدس. وسأكون أنا الشخص الوحيد الذي يحتفظ بالخرائط، فأنا لا أثق بأي شخص باستثناء نيكول». توقفت ثم أضافت: «وأنت». ثم توقفت قليلاً مرة أخرى لتقول: «على ما أظن».

عند قولها ذلك أحس بأن هناك تيارًا كهربائيًا يسري بجسده، وبأن ضلوعه قد شكلت درعًا واقية حول قلبه لتمنع النبضات والشحنات العالية من أن تصل إليه.

حدقت إليه ثواني بدت أطول من أن تُعد.

قالت بهدوء: «حسنًا إذن».

ردد: «حسنًا إذن. هل نحن بحاجة إلى حل اللغز؟».

قالت: «يمكننا التفكير في ذلك ونحن في طريقنا نحو المتاهة، لست متأكدة من أن لدينا الوقت الكافي لفك شفرته - في بعض الأحيان تستغرق ألغازه أسابيع لحلها». نظرت إليه وأضافت: «ولكن إذا كانت هناك شجرة، فأنا أعلم أنها ستكون بالقرب من النهر، وأعرف بعض مواقع ديوك المفضلة هناك. ونحن نعرف بالتأكيد أن المكان سيكون داخل المتاهة. سنحتاج إلى سيارة لنصل إلى هناك، فأنا لست على استعداد للمخاطرة بالخيول، وسنحتاج إلى إكمال الطريق سيرًا على الأقدام في وقت ما، على أي حال».

أحس بقشعريرة تنتشر على طول ذراعيه وهو يقول: «حسنًا».

حذرت قائلة: «هناك رجل أعرفه يمكنه مساعدتنا، في بلدة صغيرة لا تبعد كثيرًا عن هنا؛ لكنني أعني ما قصدته بشأن خطورة المرتفعات».

قال: «سنجد طريقة للتغلب على أي تحديات». بعدها أخذت نفسًا عميقًا وبطيئًا.

ثم همست «حسنًا، دعنا نَقْم بذلك».

أحس باندفاع الدم في عروقه. وود لو كان بإمكانه ملامسة أصابعها. أراد ليو أن يؤكد هذا الاتفاق بصراخ يوجهه نحو السماء، لقد كانت مشاعره تظهر دائمًا للملأ. وها هو يبدو عليه الآن أنه صار متيمًا بحبها مرة أخرى.

قامت بإمالة فنجان قهوتها نحو شفيتها، وأفرغته تمامًا لتقول بعدها: «يبدو كأن القدر يمنحني فرصة ثانية، فعلى أقل تقدير، فشلي في العثور على أي شيء هنا لن يجعل حياتي أسوأ مما هي عليه بالفعل».

بدا ذلك كافيًا في الوقت الحالي؛ لأن شعورًا خفيًا كان ينبئه بأنه إذا كان هناك كنز حقيقي،
فقد تحصل هي على كل ما تريده، وربما ينطبق الأمر عليه أيضًا.

الفصل الرابع عشر

عدّل برادلي لجام بولوينكل بيديه المغطاة بقفاز قائلًا: «هل من الخطأ ألا أشعر بالضيق؟» وتساءل ليو عما ستكون ردة فعله إذا رأى نفسه الآن، فقد نمت سوائفه، بينما كانت نظارته الشمسية ملطخة، ويضع زجاجة مياه إلى جانب خاصرته. كان يبدو صراحة في أسوأ حالاته.

أما ليو فقد انتابته مشاعر مختلفة، ففي بعض الأحيان، بدأ الأمر كأن الزمن قد توقف، وأنه لم يمر وقت طويل بين امتطائه حصانًا آخر مرة في لرامي وركوبه على ظهر آيس للمرة الأولى في المخيم. وفي أحيان أخرى، شعر بأنه كان نائمًا لعقد كامل، ولم يستخدم أيًا من حواسه أو عضلاته.

اعتدل والتر في جلسته على سرجه، وقال: «أشعر بضيق شديد، لم أكن أحب تيري، لكنني لم أكن أريده أن يموت».

نزع برادلي قبعة البيسبول الخاصة به، واستخدمها في حك الجزء الخلفي من رأسه أسفل خصلات شعره الأشعث، ثم قال: «أنا حزين لموته، لكنني تخلصت من شعوري بالذنب».

نظر ليو إلى صديقه وكتف دهشته. وقد اعتذر برادلي مرة أخرى عما بدر منه من قبل، وأكد الجميع أنهم غير قادرين على التحكم في مشاعرهم، وبالطبع يُعد هذا أمرًا مفهوميًا ومبررًا؛ لكن نيكول هددته بأنها ستمزق أحشاءه إذا حاول القيام بأي شيء من هذا القبيل مرة أخرى، وفي هذه اللحظة كانت نيكول تقف في الصف خلف ليو.

ركبوا في صمت، بينما واصلت الخيول سيرها وهي تهبط نحو الوادي، قطعوا مسافة تقدر بنحو 11 كيلو مترًا في طرق متعرجة لكنها واسعة نسبيًا؛ لكن الحافة كانت ضيقة بدرجة

جعلتهم جميعًا يسيرون متكديسين في المسار الداخلي عبر المنحدر، وهم مدركون تمامًا أن عددهم هذا الصباح صار خمسة بدلًا من ستة.

أكدت لهم ليلي أن الخيول فعلت ذلك من قبل، وأن الأمر بالنسبة إليها مجرد لعبة. وكانت محقة، فقد كانت الخيول تصهل، وبدا المشهد كأن بعضها ينادي بعضًا على طول الطريق تقريبًا، وبين الجبال، فقد كانت آذانها مشدودة إلى الأمام، وذيلها مرفوعة إلى أعلى. وبدا أن كاليبسو هو الأكثر حماسة. ولم يكن ليو يعرف ما إذا كان ذلك بسبب تحرره من وزن الفارس الذي كان من المفترض أن يحمله أم أنه كان سعيدًا للتخلص من تيري بالتحديد؛ لكن كلاً من ليلي ونيكول صرختا فيه على الأقل مرتين ليتمهلا قليلاً قبل أن يصلوا إلى المنحدر الرملي في الأسفل.

كان من الواضح أن تفاصيل الرحلة قد خرجت عن الخطة الموضوعة، فبعد فترة من الاستراحة تناول فيها الرجال الغداء، وتولت ليلي ونيكول الاهتمام بالخيول، مرت ثلاث ساعات أخرى على الأقل قبل أن يتوقفوا على مقربة من البلدة حيث سيلتقون بـ لافي صديق ليلي.

لقد بالغت كثيرًا حينما استخدمت كلمة بلدة.

سأل ليو عندما توقفوا أخيرًا عند البدايات غير واضحة المعالم لطريق ترابي: «هل هذه هي البلدة؟» فلم يكن يرى سوى ممرين مغبرين يوازي أحدهما الآخر، وبعض المباني الصغيرة المتهاكلة.

تمتم برادلي: «تبدو مثل قرية نبع الرادياتير في فيلم الكارتون سباق السيارات».

نظر ليو حوله وهو يقول: «بل هي أسوأ حالاً منها».

قال والتر بإحباط: «عندما قلتَ بلدة تخيلت أنه مكان يمكنني أن أحصل فيه على جلسة تدليك».

قالت نيكول: «يمكنك النزول عن حصانك، وسأضع قدمي فوق رقبتك لتدليكها مجاناً».

احمر وجه والتر بينما حدّق برادلي إليهما في زهول قائلاً: «يا له من موقف محرج».

تجاهلت ليلي الجلبة خلفها، وأشارت إلى منزل متنقل بني اللون مثبتة فوقه مظلة أمامية من الصفيح، وقالت: «مرحباً بكم في مدينة إيلي... عدد السكان هو، لا أعرف. ربما اثنان؟ هذا هو مركز الحراسة. فإذا كنا سنكمل هذا العمل، فعلينا الحذر وتجنب أي مخاطر أو متاعب». وبينما كان ليو يواصل تقييمه للمدينة، أضافت: «حاول أن تخفض سقف توقعاتك يا فتى المدينة».

قال برادلي: «المكان يشبه محطة الحافلات التي التقينا فيها ب نيكول أول مرة. أشعر بأننا في مكان مهجور».

انحنت ليلي إلى الأمام، وحثت بوني على التحرك، بينما جلس ليو على السرج، مشيراً إلى آيس بالمضي قدماً، وفجأة قال: «من هو لافي؟».

مروا بمبنى آخر قديم ومائل، وكانت توجد خارجه كلمة مأكولات مكتوبة على لوحة خشبية. وكانت هناك مركبتان من المركبات الصالحة لكل الطرق مركونتان بشكل عشوائي - انتابه الشك في وجود أي موقف للسيارات في أي مكان - بالإضافة إلى زوج من الدراجات الجبلية مستندتين إلى سارية علم بلا راية. أجابته قائلة: «لقد كان صديقاً جيداً ل ديوك».

سمعوا صوت حوافر الخيول وهي تخطو على الأرض المتربة.

«وهل سيكون من المناسب مرورك لزيارته؟».

نظرت إليه وابتسمت قائلة: «أمل ذلك؛ لأنه لا توجد طريقة لتحديد موعد مسبق». غمره إحساس بالإثارة لرؤيته شعلة الحياة تنقد داخلها من جديد. وأضافت قائلة: «هو على

الأغلب يوجد دومًا من أجل الأغبياء الذين يخرجون بشاحناتهم العملاقة هنا وينتهي بهم المطاف عالقين على منحدر أو في حفرة».

وفي نهاية «الطريق» وجدوا منزلًا متنقلًا آخر. وبدت الأرض المحيطة به مثل مقبرة فسيحة. وكان هناك أيضًا إسطلب صغير يبدو أجمل كثيرًا من المنزل نفسه، وحقل صغير فيه مجموعة من الخيول. وعلى الفور صهلت بوني لهذه الخيول، فأثارت حماسها.

قال وهو يشير برأسه إلى بوني: «أعتقد أنها كانت هنا من قبل».

قالت ليلى: «تلك الفرس تحب المكان هنا». وعكست نبرة صوتها أنها لم تشاركها المشاعر نفسها.

سألها: «يبدو أن هذا ليس مكانك المفضل؟».

نظرت إليه وأطلقت ضحكة ساخرة: «لا أفضله على الإطلاق. تلك المدينة الصغيرة تمثل كل ما أخاف منه، من أن يكون مستقبلي كله عبارة عن أرض: جافة ومتربة وقاحلة».

وبعد ساعة، احتشدوا جميعًا حول طاولة في المبنى المتداعي المكتوبة على واجهته كلمة «مأكولات». كان يبدو مقهى، وكان يحتوي على مشغل أغاني، وحمامين ضيقين في الخلف، والعديد من الصور لـ ديوك وايلدر على الجدران: صورة مؤطرة مأخوذة من غلاف ناشيونال جيوغرافيك، ويظهر في الصورة مع أفراد فريق من جامعة برينستون، وهم متجمعون حول قطعة قماش كبيرة مقاومة للماء موضوعة عليها مجموعة من المشغولات المتربة؛ وصور أخرى له وهو يمتطي حصانًا، وهو على دراجة نارية، وهو يتنزه في موآب جالسًا حول نار المعسكر تحت النجوم. وكانت هناك صورة له وإلى جانبه ليلى وهي ذات خمس سنوات ومن دون أسنان أمامية وهي تحمل قرني غزال ضخمين.

قال والتر بإعجاب وانبهار: «يا للروعة يا ليلي، والدك كان رجلاً مشهوراً حقاً».

مرت دقيقة من الصمت والتفكير. بدا الأمر كأن تاريخ ديوك يجتاح الغرفة، وفي تلك الأثناء كانوا يجلسون على كراسي حقيقية للمرة الأولى منذ بضعة أيام، ويرتشفون المشروبات الثلجة في أكواب غير متطابقة. وبفضل راعي البقر المسن لاي - ذي الشارب الكثيف، وقد بدا عليه الشك في هؤلاء الشباب الذين يرافقون ليلي - كانت الخيول الآن لحسن الحظ تأكل التبن بشهية في إسطنبول، وحصل الباحثون عن الكنز على سيارة جيب مستعارة تقف الآن عند الواجهة الأمامية. كان لديهم أيضاً بعض المياه العذبة والمؤن في حقائبهم، وبضعة أزواج من الأحذية المناسبة بشكل كبير للتضاريس الصخرية، وحفنة من الخرائط الورقية موزعة بينهم.

حدقت ليلي إلى الرسم الطبوغرافي لأودية كانيونلاندرز. وبشكل أكثر تحديداً، درست المتاهة، التي كانت عبارة عن مجموعة من مسارات غير محددة من الحجر الرملي، والوديان المتشابكة التي تنتهي بطرق مسدودة تحدى بها المخاطر التي يكتنفها الموت غرقاً، أو بسبب تقطع الأوصال عند كل منعطف، أو كلا الأمرين معاً. وكانت هذه المتاهة هي الجزء الأبعد في جميع مناطق متنزه كانيونلاندرز الوطني، ولأن الأمر قد يستغرق بضعة أيام من رجال الإنقاذ للوصول إلى أي شخص حال مواجهته مشكلة ما، تحتم على أي مجموعة ترغب في الاتجاه إلى الأسفل أن تحصل على موافقة مسبقة على خط سير الرحلة. فمن الواضح أنهم أرادوا أن يكون العدد قليلاً قدر الإمكان، وأن يعرف المغامرون ما هم مقدمون عليه، وهذا يعني أن ليلي ومن معها سوف يخاطرون إذا قاموا بالذهاب إلى هناك دون تلك الموافقة.

شاهد ليو ليلي ونيكول وهما تفحصان الخريطة. وتقوم ليلي بتدوين الملاحظات والمسارات المرسومة، وترجع إلى شيء ما في يوميات ديوك، أو تذكر بعض الحقائق العشوائية التي تبدو كأنها ظهرت فجأة من العدم. كان يعلم أن ليلي يمكنها التعامل مع أي شيء تقريباً، سواء الخيول، أو إدارة مزرعة كاملة بمفردها، أو معرفة كل نبات، أو صخرة،

أو حيوان موجود في هذا المكان. بل قبل عقد من الآن، لم تكن بحاجة إلى ليو مطلقًا؛ لكنه أراد أن يشعر بأنها تحتاج إلى وجوده بجانبها على أي حال.

انحنوا جميعًا على الطاولة، متتبعين إصبع ليلي بينما كان يتحرك على طول الخط المتموج الذي يمثل النهر الأخضر. وقالت محبطة: «لا بد أن هذه الخريطة توضح تفاصيل جزء في مكان ما هنا؛ لكن لسوء الحظ، تلك مساحة كبيرة جدًا من الأراضي القاحلة».

قال والتر دون أن تطرف عيناه: «أشعر بأنني أنظر إلى واحدة من رسوم الخداع البصري التي كانت تعرض في مراكز التسوق. تلك الرسوم التي تبدو كأنك تحقق إلى مجموعة من الخطوط، وفجأة ترى أنها اتخذت صورة قطة».

قال له ليو: «تقصد الصور ثنائية الأبعاد؛ صورة داخل صورة».

قالت ليلي وهي تلقي نظرة عليه: «كيف عرفت ذلك؟».

قال برادلي: «لأنه شخص مثقف».

أوما ليو برأسه نحو الأوراق المستقرة أمامها، وقال: «كيف تعرفين كل ذلك؟»

اتكأت على كرسيها وهي تدلك صدغيها بيديها، وقالت: «أشعر بأنني لا أعرف أي شيء الآن».

سأل والتر: «لا تعرفين أي شيء هنا؟ ولا في تلك البقعة التي من المفترض أن تكون مهمة لـ ديوك؟».

رسمت نيكول دائرة تخيلية على الخريطة بطرف إصبعها، وقالت: «إذا كنا سنطير فوق ذلك المكان، يمكنني أن أقول إن الموقع المقصود في خريطة ديوك هو هنا على الأرجح. يبدو صغيرًا على الرسم، لكن تلك منطقة كبيرة».

سحب ليو تلك الصفحة المنزوعة من الدفتر واللغز ووضعها على الطاولة، وقال: «لنرى ما إذا كان أي شيء هنا سوف ينعش ذاكرتك».

قرأت ليلي: «في النهاية الجواب هو نعم»، ثم نظرت إليه، وعلقت: «إذا كنا نفترض أن نعم تعني أن ديوك قد وجد الكنز. فبعد ذلك، عبارة عليك أن تذهب؛ أنا ذهبت. ربما تعني أنه قد ذهب بالفعل للبحث عنه، والآن حان دور قارئ الدفتر».

اتفق معها في الرأي، وقال: «صحيح. ولكن بعد ذلك قال أنت تكره الذهاب، لكنك ستذهب، فماذا يعني هذا؟».

هزت ليلي رأسها في حيرة: «إذا كان قد كتب هذا لأحد أصدقائه، فقد يكون هذا دعابة سيفهمها هو فقط، ولن تكون لدينا أي طريقة لفهمها».

«ولكن إذا كان المقصود منها توجيه أي شخص يعثر على الدفتر ليجد مخبأ بوتش، فلا بد أنها تشير إلى معنى عام».

أومأت ببطء وقالت: «حسنًا، إذن ما المكان الذي نكره جميعًا الذهاب إليه، لكننا مع ذلك سنذهب إليه؟»، وبعد لحظة، هزت رأسها مرة أخرى، وأضافت: «ثم العبارة التالية سوف تحتاج إلى الذهاب، ولكن ليس إلى المكان المخصص لك. هذان السطران يحملان معنى ما... لست متأكدة ماذا يكون». ونقرت على الجزء السفلي من الصفحة وقالت: «أشعر بأننا بحاجة إلى معرفة أين هو ذلك المكان. لقد ذكر شجرة ديوك».

أدرك الجميع الآن ما كانت ترمي إليه، فنظروا إلى الصور المعلقة على الجدران. وبعد لحظات وجهوا انتباههم إلى اللغز، فلم تتضمن الصور أي شجرة.

سأل برادلي وهو ينحني: «ما المقصود بجوف الثلاثة؟».

أجابت ليلى ببطء: «اعتاد ديوك أن يطلق على منحنيات الأنهار اسم أجواف، وهذا الجزء هنا» - أشارت مرة أخرى إلى الخريطة الكاملة لـ كانيونلاندرز - «يبدو هذا بالتأكيد مثل ثلاثة». وأشارت بإصبعها إلى سلسلة من منحنيات النهر الأخضر، ثم أردفت: «ولكن حتى لو كان هذا هو الموقع الصحيح، فإن الوصول إليه لن يكون سهلاً. إنها متاهة حقيقية هناك. أشعر بأنني أغفلت شيئاً ما». وشعرت بالإحباط واتجهت نحو مشغل الأغاني.

شاهدها ليو وهي تذهب، وفكر في اللحاق بها. كانت ليلى ترحب أحياناً بالرفقة عندما تعمل على حل الأمور؛ لكن في كثير من الأحيان لم تكن تفضل ذلك. قاوم الألم الذي أحس به في صدره ورغبته في الذهاب إليها. ثم رفع مشروبه إلى شفثيه بدلاً من ذلك، ونظر حوله متسائلاً عن عدد المشروبات التي تناولها ديوك في هذا المكان. لا بد أن هذا الرجل العجوز قد أحب رؤية صورته في كل مكان.

وقعت عيناه على النادل الذي كان وسيماً في الثلاثينيات من عمره، ورأى كيف يصب كل تركيزه على ليلى. بالتأكيد لم يكن ينظر إليها نظرة النادل الذي يتساءل عما إذا كان العميل بحاجة إلى إعادة تعبئة مشروبه، فقد رمى قطعة من القماش، ثم اتجه نحوها مباشرة. ودون تفكير دفع ليو المارين بجانبه وهمّ بمغادرة الطاولة، بينما كانت مشاعر الغيرة وحب التملك تسيطر عليه، سحب المقعد على الأرضية الخشبية المتآكلة وبعد ثلاث خطوات كان يقف خلفها.

خلفها مباشرة.

لم يكن ليو يعرف من الذي اندهش أكثر بذلك الظهور المفاجئ - هي أم النادل، لكن ليلى قالت: «مرحباً». والآن أدرك أنه ورط نفسه بسبب تأثير تلك اللحظة التي أراد فيها إظهار رجولته. وعلاوة على ذلك، فإن شعوره بأن جسدها كان قريباً جداً من جسده جعل من المستحيل عليه الابتعاد عنها. استند بيده إلى الزجاج المائل إلى الاصفرار للجهاز، ثم مرر إصبعاً على قائمة الأغاني.

قال وهو ينقر فوق الزجاج: «سوف أختار هذه الأغنية، سأجعلك ترقصين مثل إعصار، جميع أبناء فترة طفرة المواليد يعشقون تلك الأغنية».

وبضحكة ماكرة، نقرت ليلى على الجهاز، واختارت أغنية أخرى، واستمعوا إلى الموسيقى الافتتاحية لأغنية Go Your Own Way لـ فليتوود ماك عبر مكبرات الصوت.

قال وهو يتظاهر بالحزن: «لقد هزمتني».

«أرى أن تلك الأغنية هي الأكثر ملاءمة». ودلت ابتسامتها الصغيرة أمام مشغل الأغاني على أنها كانت تمزح معه. وأخذ يحدق بها، وركز على بقع النمش الصغيرة بمؤخرة رقبتها. عاد بالذاكرة إلى الماضي، واستغرق في التفكير في اللحظات التي جمعتها معاً وهي بين ذراعيه.

تسارعت نبضات قلبه لدرجة لم يستطع تحملها.

ظن أنها لا تشعر بمدى قربه منها، وللحظة همَّ بضمها إليه.

ومن ثم حدقت إليه في ارتياب قائلة: «ماذا تريد يا ليو؟».

نظر إلى النادل الذي كان يراقبهما وتعلو وجهه ابتسامة متكلفة.

رد ليو: «معذرة، جئت لمعرفة ما إذا كنت بخير. كان يبدو عليك الإحباط بسبب الخريطة واللغز».

سألته وهي تحديق إليه مباشرة: «هل تعرف عني أنني أحب أن يسألني الآخرون عما إذا كنت بخير؟».

«لا».

قالت بهدوء: «إذن ربما لا تريدني أن أقف هنا وحدي بالقرب من مشغل الأغاني؟».

وفي الحال فضحته ملامح وجهه، إذ لم يقدر على إخفاء مشاعره، ومرة أخرى غرق في بحر الذكريات، وعاد إلى المزرعة، وإلى الأيام التي قضاها برفقتها، والأحلام التي شاركته إياها.

اليوم ها هما ذاهبان في مغامرة تاركين خلفهما جثة تيري؛ حيث سيذهبان إلى أخطر الأماكن في الولايات المتحدة بحثًا عن كنز ربما يكون موجودًا وربما لا. لكنه لا يكثر لكل ذلك، فقد قرر في هذه اللحظة ألا يتخلى عنها بسهولة هذه المرة، ولو كان ثمة احتمال واحد في المائة لأن يستعيدها، فسيحاول ويبذل قصارى جهده.

قال وهو ينظر إليها مباشرة: «نعم، أنتِ فهمتِ الأمر بشكل صحيح، لم أكن أريدك أن تقفي وحدك عند مشغل الأغاني».

وضعت يدها على صدره، وترددت بضع ثوانٍ قبل أن تجبره على التراجع خطوة إلى الوراء وهي تقول: «من فضلك توقف عن إزعاجي».

اندفعت من أمامه، لكنه اطمأن عندما رأى أنها عادت إلى حيث كانت تضع حقيبة ظهرها بحثًا عن بعض النقود. أطلق زفرة. كان يعرف أن الموقف يمكن أن يزداد سوءًا. ومع علمه أنه من الأفضل له أن يتبعها مرة أخرى، فإنه رأى أنه لا ضير إذا ما حاول أن يهدأ قليلًا. كان برادلي يلاحقه بابتسامته الماكرة؛ لذا تجاوز الطاولة واتجه نحو دورة المياه.

وجد المكان مظلمًا داخل دورة المياه الضيقة، وبسبب الجدران الخشبية السميقة، والمصباح الخافت الذي يتوهج فوق رأسه، استغرق الأمر منه بضع ثوانٍ لتتكيف عيناه مع الضوء الخافت. رأى أنبوبًا خارجيًا يتدلى من السقف المتهدم. وكان هناك تسريب للمياه من الحوض المثبت في الحائط بشكل مائل، وحوله على الأرضية بقعة بلون الصدأ على شكل نصف قمر معتم. كانت المبولة تقع عند زاوية رطبة وشكلها العام بدا مثيرًا للقلق، إذ يبدو

أنه قد تنفصل عن الحائط عند مرور أي شاحنة ثقيلة بالقرب منها، بينما كانت تقبع فوقها صورة وحيدة ذات إطار. أمضى بضع لحظات ممتنًا لرفاهية وجود أنابيب مياه وصرف داخلي؛ لكنه لم يكن واثقًا في الواقع بما إذا كانت تعمل أم لا. وبينما كان عقله مشغولًا بالتفكير في ليلي والشوق الذي أحس به تجاهها مثل حريق يشتعل في قلبه، حدّق في زهول إلى الجدار الذي أمامه.

وببطء، بدأت معالم الصورة تتضح أمامه. كانت قديمة وأصابها بعض الاصفرار عند الحواف، وكان هناك شيء من الكتابة بخط اليد على أحد أركانها. شكل ما... أشجار هزيلة... رجل. رفع ليو حاجبًا مندهشًا: إنه ديوك - لا بد أن ديوك قد ترك انطباعًا جيدًا لدى صاحب المقهى حتى إن دورة المياه لم تخلّ من صورته. وفي تلك الصورة، كان يبدو أصغر كثيرًا مما كان عليه عندما قابله ليو للمرة الأولى؛ ولكن كان ذلك هو الشارب نفسه، والشعر الداكن المغطى بقبعة رعاة البقر ماركة ستيتسون، كان متكئًا في غرور على مرفقه: إنه بالتأكيد ديوك، كان ذلك واضحًا مثل ضوء الشمس.

أحس ليو بأن شرارة من الإدراك قد تملكته، وكانت أشبه بفيض من الأدرينالين تدفق عبر عروقه فجأة، فقد تداعت كلمات اللغز إلى ذهنه: لذلك ابحت عن جذل شجرة ديوك عند جوف الثلاثة.

انحنى أكثر. وحدق إلى أحد أركان الصورة، كانت هناك كلمتان مكتوبتان بالقلم الرصاص بخط خفيف جدًا يصعب رؤيته: شجرة ديوك.

يا إلهي.

الفصل الخامس عشر

رفعت ليلي عينيها عن مشغل الأغاني لترى ليو جرادي، الذي تركها منذ بضع دقائق فقط وقد تملكته الغيرة وجعلته يتصرف بطريقة غريبة، بدا الآن جذابًا ورائعًا وهو يخرج من دورة المياه مرتديًا بنطاله الجينز الناعم وقميصه الأبيض. وقد لاحظت التوتر الذي بدا عليه، وأن قميصه كان مبتلًا.

تمتت وهي تحاول معرفة ما الذي كان يخبئه تحت قميصه الرطب: «يا إلهي! ما هذا؟».

هرع ليو نحوها مبتسمًا، بينما كانت قطرات الماء تتساقط من بين خصلات شعره، ثم فتح محفظته، وألقى مالا كثيرًا على الطاولة أكثر مما هو مطلوب لدفع ثمن مجموعة من المشروبات.

بدأت كلامها: «ماذا فعلت...؟»، لكنه قاطعها.

نادى المجموعة وهو يمشي بخفة: «يا فتيان، وأنتِ يا نيكول، هلموا سنغادر الآن بسرعة».

ثم مد يده بهدوء في الجيب الأمامي لبنطالها الجينز وسحب منه مفاتيح السيارة وقذف بها نحو برادلي الذي التقطها مسرعًا. بعدها أمسك ليو بيد ليلي وسحبها خلفه تجاه باب الخروج.

وبينما كان يسحبها خارج الباب، نظرت إلى الخلف في الوقت المناسب لترى خيطًا رقيقًا من الماء يتسرب بهدوء من تحت باب دورة مياه الرجال.

«ليو، ماذا يوجد تحت قميصك؟».

قال وهو يقاطعها مرة أخرى: «اركبي السيارة، وليركب الجميع الآن».

تدافعوا جميعًا، ودفعوا والتر الذي بدا مرتبًا إلى الخلف نحو مؤخرة السيارة ليسقط في المقعد الخلفي، بينما قفز كل من نيكول وبرادلي إلى المقاعد الأمامية.

سأل برادلي: «ماذا حدث...؟»، بينما كان النادل يركض خارج المقهى وهو يصرخ.

ألح ليو وهو يضرب بيده ظهر مقعد السائق عند مسند الرأس: «علينا أن نذهب، لنتحرك بسرعة، بسرعة».

ودون الحاجة إلى المزيد من التعليمات، قام برادلي بتشغيل المحرك، فابتعدت السيارة وهي تهدر بصوت صاخب. صرخ ليو وهو يفتح نافذة السيارة: «انظروا، هذا هو الشيء الذي جئنا من أجله!».

دخلت ذرات من التراب السيارة الجيب، وتناثرت مثل غبار النجوم وتدفقت طاقة جامحة من حولهم. أدارت نيكول المذياع، فصدرت منه موسيقى لأغانٍ ريفية بصوت مشوش لتعلق بعدها قائلة: «لا أعرف ماذا يجري الآن، ولكنني أشعر بأنني شخص خارج على القانون».

استدارت ليلي في مقعدها لمواجهة ليو، وهي تستعد لمطالبته بشرح الأمر بالضبط، لكنه عاجلها، وسحب الشيء الذي كان يخفيه داخل قميصه المبلل. ولبضع ثوانٍ، ساد الصمت، وأبعدت شعرها الذي كان يتطاير بفعل الريح عن وجهها، وأخذت تحديق إلى أسفل في الصورة المؤطرة في يده، التي كان زجاج إطارها تعلوه قطرات من الماء، لكن الصورة في الداخل كانت محمية. إنها صورة لوالدها وهو يقف خارج كوخ صغير عبارة عن غرفة واحدة، وهيكل هذا الكوخ الخشبي المائل تحيطه شجرتان. كان ديوك بشعره البني وشاربه الكثيف مستندًا إلى الشجرة اليسرى، ويحمل مشروبًا، ويبتسم ببساطة لآلة التصوير.

قال ليو بفخر وهو ينقر بسبابته على الكلمات المكتوبة تحت زجاج الإطار: «شجرة ديوك، لذلك ابحت عن جذل شجرة ديوك عند جوف الثلاثة. فإذا استطعنا معرفة مكان التقاط

تلك الصورة، فلن نضطر إلى أن نزعج أنفسنا بحل اللغز. انتهى الأمر!».

كادت ليلى تقسم أنها تشعر بأن أنفاسها إنما تُسحب ببطء من رئتيها: «أنا أعرف هذا المكان».

حدق إليها ليو: «انتظري لحظة، هل تعينين ما تقولين؟».

قالت وهي تومئ برأسها: «أعتقد ذلك. في المرات القليلة التي كان ديوك يصطحبني معه في نزعات رسم الخرائط، كنا نتوقف عند ذلك الكوخ الصغير أسفل الأخاديد. حسناً، إنه مأوى صغير أكثر من أن يكون كوخاً، لم أذهب إلى هناك منذ أن كنت صغيرة، لكن...». أضافت وهي تعض شفتيها في حيرة: «أعتقد أنني أعرف بشكل عام أين هو المكان».

صاح برادلي وهو يضرب عجلة القيادة. «مرحى، مرحى».

قالت ليلى وهي تهز رأسها: «لم أر هذه الصورة من قبل».

أجاب ليو: «صراحة، لقد كانت معلقة في دورة مياه الرجال».

نظرت إليه وهي تحاول استيعاب ما كان يقوله: «وأنت قررت سرقتها، أليس كذلك؟».

صمت قليلاً ثم قال: «رأيت أن ذلك أسهل من سؤال شخص ما عما إذا كان على استعداد للتخلي عن اللوحة الفنية التي يحتفظ بها فوق المبولة الخاصة به، ومع ذلك، حدثت مشكلة بسيطة في السباكة عندما أخذتها».

كررت قوله وقد انتابها إحساس بالقلق: «أنقول مشكلة بسيطة في السباكة؟».

قال لها: «كلما قلّت معرفتك، كان ذلك أفضل. أعتقد أنه قد جرى تثبيت الإطار في أنبوب غريب متدلّ من السقف. كان هذا الحمام بالتأكيد لا يرقى إلى أدنى متطلبات البناء كذلك».

رفع ليو أسفل قميصه واستخدمه لمسح وجهه. نظرت إليه ليلي وهي تقول: «يجب ألا تذهب إلى هناك بعض الوقت».

وأردفت: «كان بإمكانك الاكتفاء بانتزاع الصورة فقط!».

نظر إليها ليو بابتسامته الطائشة مرة أخرى، وقال: «لقد تحمست فجأة. وعلاوة على ذلك، دفعت قدرًا إضافيًا من المال مقابل مشروباته السيئة، ومن ثم إذا فكرت في الأمر، فسترين أنني دفعت تعويضًا عن هذه المشكلة، لكن بشكل غير مباشر». وعندما رأى نظراتها رضح، وأضاف: «سأرسل إليهم شيئًا بالمبلغ، حسنًا؟».

قالت في اندهاش وهي تلفظ كلماتها بوضوح لذلك الرجل غير الناضج: «لماذا لم تكتفِ بأخذ صورة لها؟».

ضحك بصوت عالٍ: «بماذا؟ بزجاجة نصف لتر؟ لقد أخذتِ هواتفنا».

قال والتر من ورائهم بينما كان يجلس وهو يثني ركبتيه حتى ذقنه: «هذا رائع للغاية. أشعر بأننا نمثل فيلم The Goonies».

أعدت ليلي رأسها إلى الورا لتستجمع أفكارها. لو كان ما تعتقده صحيحًا، وأن الصورة قد التقطت أمام الكوخ الصغير، فهذا يعني أن لديهم الآن أكبر دليل على المكان الذي يجب عليهم التوجه إليه. ربما عندما تهدأ أعصابها، ستتوجه بالشكر إلى ليو لاستيلائه على الصورة والهروب؛ إذ لم يكن هناك داعٍ لإهدار الوقت.

فتحت نيكول نافذتها، فاندفع الهواء المنعش داخل السيارة الجيب. نظرت ليلي إلى أسفل نحو الصورة مرة أخرى محاولة ترتيب خطة في ذهنها. لكن نقاط دخول المتاهة كانت تبدو مشوشة في ذاكرتها. لقد شعرت بمزيج من الحماس والإثارة لسرقته الصورة، واستيلائه على المفاتيح، وغيرته عليها عند مشغل الأغاني، وتدميره الحمام، فقد كانت شخصية ليو الهادئة تتداعى مباشرة أمام عينيها. وبالكاد قال عشر كلمات صباح اليوم الأول في

المعسكر، لكنه بدا الآن يشتعل نشاطًا، وكانت تشعر بالسعادة وهي تراه يخرج من قوقعته ويمحو أثر سنوات الفراق.

أحست باندفاع الأدرينالين في عروقها وهي تتذكر غيرته عليها. لم أكن أريدك أن تقفي وحدك عند مشغل الأغاني.

استغرقت في التفكير ونظرت إليه مرة أخرى باستياء؛ بالطبع هم بحاجة إلى هذا الدليل، لكن كان هناك العديد من الطرق الأخرى للتعامل مع الأمر، بدلاً عن انتزاع الإطار من الحائط. إذا لم يكن ليو يستطيع أن يضبط نفسه، فما الذي تتوقعه من الآخرين؟

استطاع ليو أن يفهم تعبيرات وجه ليلي بشكل صحيح؛ لذا صاح قائلاً: «لم أكن أرغب في ترك الأمر للمصادفة».

صرخت هي الأخرى: «لكن أكسل رجل مجنون، ربما لاحظت زوج البنادق فوق العارضة؟».

ضرب برادلي عجلة القيادة مرة أخرى وهو يقول: «لماذا يمتلك الجميع بنادق؟».

سأل ليو مستفسراً: «اسمه أكسل؟ ذلك الشاب؟ النادل؟».

صمتت ليلي وأمعنت النظر في عينيه لتفهم: «نعم، لماذا؟».

بدت على وجهه مرة أخرى علامات الاستمتاع والعنف، حيث قال: «أنا فقط... أحاول استيعاب فكرة علاقتك بذلك الرجل الذي يدعى أكسل».

أغلقت فمها، واتسعت عيناها من وقع الصدمة: «ماذا قلت من فورك؟».

مرر يده على وجهه: «انسى ذلك».

«كيف لك...؟».

قاطعها، وهو يطلق ضحكة: «لماذا أنتِ مندهشة؟ لقد نظر إليك كما لو كان له الحق في ذلك».

قالت وهي غاضبة: «كان ذلك...». صمتت، ثم أردفت: «لم يكن شيئًا يستحق الذكر. لقد كان ذلك منذ وقت طويل، وقد نسيتته».

غمغم والتر من الخلف: «يا رفاق، لا أرغب في مقاطعة الحديث؛ لكنني أعتقد أننا على وشك الموت».

وفي اللحظة نفسها استدار جميع من في السيارة الجيب باستثناء برادلي ليروا شاحنة سوداء عملاقة تندفع على الطريق مسرعة خلفهم. تباطأت الشاحنة، ثم بدأت تغيير مسارها بين حارات الطريق وهي تحوم حولهم، وبالكاد كان المصد الخلفي لسيارتهم يبعد مسافة 15 سنتيمترًا عنها، بينما كان السائق يضغط على بوق الشاحنة بشدة مطلقًا صوتًا عاليًا جدًا. أطلق برادلي صرخة حرب، وهو يرفع قبضته ليضرب بها سقف السيارة الجيب الصغير.

ورنا إلى السماء صارخًا: «لقد ولدت من أجل تلك اللحظة».

كانت الشاحنة مزودة بإطارات ذات حجم هائل، وتوجد على سطحها أضواء كاشفة، وغطاء محركها صمم يدويًا ورسمت عليه صورة للنسر الأمريكي وهو ينشر جناحيه ويحمل بين مخالبه العلم الأمريكي. ولم تفاجأ ليلي عندما رأت أن من كان يجلس خلف عجلة القيادة هو أكسل، بينما كان أحد أصدقائه الأغبياء ينحني نحو نافذة المقعد بجانب السائق، ويصرخ قائلاً شيئًا ما.

ضحك ليو بشدة قائلاً: «لا بد أنك تمزح معي! انظر إلى تلك الشاحنة».

تأوه والتر وهو يقول: «سنموت بالتأكيد».

صاح ليو: «لا يمكنك تصديق ذلك، ولكن تلك بالضبط هي الشاحنة التي تخيلت أنه يمتلكها».

لكن برادلي لم يكن ينصت إليه، فضغط بشدة على دواسة الوقود، لتستجيب السيارة بإطلاق صوت صاخب قبل أن تقفز إلى الأمام؛ ما جعل أكسل يضغط على دواسة الوقود في سيارته مغتاضًا. كلتا السيارتين كانت تسرع على الطريق الوعر وغير المستوي؛ خطوة واحدة خطأ، ويمكن لشاحنة أكسل أن تسوي السيارة الجيب بالأرض.

صاح برادلي بسعادة: «إنه غاضب جدًا. يا إلهي، ماذا فعلت له يا ليلي؟ ألا يعرف أنك ابنة بطله العظيم؟».

صرخت عبر الريح الهائجة: «نعم، لكنهم كانوا يعلمون أنني لا أهتم أبدًا بالكنز».

صرخ برادلي عبر النافذة: «هل تريد استعادة صورتك؟ تَبًا لك».

احمر وجه كل من أكسل وصديقه الأبله من الغضب، فأسرع أكسل بشاحنته، ليتجاوز برادلي، بينما كانت إطارات الشاحنة تصدر صوتًا عاليًا ومزعجًا، وفجأة ضغط أكسل على المكابح بقوة لتتوقف الشاحنة. بعدها قفزت الجيب من فوق الطريق، وهي تهتز بقوة بينما كان برادلي يحاول السيطرة على الموقف، فانعطف إلى اليسار لتجنب الاصطدام بمؤخرة شاحنة أكسل. ودوى صوت بوق سيارة أخرى بينما كان برادلي يصرخ، وهو يحاول بكل قوته توجيه سيارته إلى اليسار لتجنب السيارة المتجهة نحوه لينحرف عبر طريق فرعي مليء بالحفر بصورة أكبر من الطريق الذي كانوا يسلكونه.

فقد أكسل التحكم في الشاحنة بينما كانت زوبعة من الغبار تحيط به، وبسرعة حاول أن يصحح مسار شاحنته مرة أخرى ويسرع خلفهم. سمعوا دوي طلق ناري، تلاه آخر، بينما كان الغبار يتطاير أمام سيارتهم الجيب إثر ضربات الرصاصات.

صرخت نيكول: «إنهم يطلقون النار علينا».

اقترب ليو من ليلي، وقام بحماية رأسها بذراعيه، وجذبها نحوه قائلاً: «هل أحضروا حقاً بندقية؟».

صرخ والتر وسط تلك الفوضى: «لديّ حقيبة تيري»، ثم سحب المسدس، وأخذ يلوح به قائلاً: «يا شباب، هل تريدونني أن أبادلهم إطلاق النار؟».

صرخ الجميع في وقت واحد: «لا». ومد ليو ذراعه نحو المقعد الخلفي، ليسحب المسدس بحرص من يد والتر. فيما ضغطت ليلي بيديها على وجهها، وهي تكافح حتى لا تتقيأ.

شعرت ليلي بغضب شديد، وحاولت أن تركز انتباهها على أن تتنفس بعمق وتتجاهل الاهتزاز العنيف للجيب، وحقيقة أن ذلك الطريق على الأرجح سينتهي بعد نحو كيلو متر، وأن جميعهم سيكونون مهددين بالموت بسبب الصورة التي سرقها ليو من المقهى.

ربت ليو على كتفها، وحاول طمأننتها، فهدأت قليلاً.

سمعتة يهمس بأذنها قائلاً: «سوف يكون كل شيء على ما يرام».

«أنا غاضبة جداً منك».

«تنفسي بعمق الآن. وتحديني عن غضبك لاحقاً».

«سوف أفعل ذلك».

حاولت أن تهدأ قليلاً، وفجأة سمعوا صوت طلقة أخرى مرت بجوارهم.

قالت نيكول: «هؤلاء الأغبياء فاشلون حتى في إطلاق الرصاص، هل توجيه الطلقات نحو سيارة أمر صعب إلى تلك الدرجة؟».

صرخ برادلي في الجميع ليتشبثوا جيداً بمقاعدهم، وهتفت نيكول بحماس وبصوت عالٍ بينما كانت السيارة الجيب تتجه نحو منعطف حاد ناحية اليمين، لترتد عبر مرج أخضر، حينها شعروا بأجسادهم وهي تهتز فترة بدت لهم طويلة جداً، حتى اصطدمت العجلات بعائق صخري، ثم عاودت أخيراً سيرها فوق الطريق الأسفلتي الناعم مرة أخرى. وفي النهاية صاح برادلي: «لقد فقدوا أثرنا».

سُمع ضجيج احتكاك أجزاء معدنية بالطريق، فجلست ليلي فجأة باستقامة بينما كان الجميع يهتفون، ونظرت إلى الورا إلى حيث سقطت شاحنة أكسل في حفرة على جانبها. أبطأ برادلي سرعة السيارة الجيب إلى درجة معقولة في الوقت الذي قفز كل من أكسل وصديقه عدة خطوات في محاولة منهما لمطاردتهم قبل أن يتوقفا في منتصف الطريق وهما يصرخان.

مد والتر جسده إلى الأمام ليميل رأسه عبر نافذة ليلي وهو يصرخ قائلاً: «سيرسل لكم شيكاً بقيمة إطار الصورة».

أخذت رؤية أكسل وصديقه تتضاءل شيئاً فشيئاً مع ابتعاد المسافة، وخفف برادلي من سرعة الجيب.

قال ليو وهو يمرر يديه عبر خصلات شعره: «يا إلهي، هذا هو الجنون عينه، ألم يكن من الأفضل له - لا أعرف - أن يظل هناك ويغلق المياه؟».

قالت نيكول: «لقد رأيت تلك الحمامات، أنت على الأرجح قدمت إليه معروفاً».

غمغم ليو، وهو ينظر إلى ليلي بعينيه السوداوين: «لا أصدق أنك كنت مرتبطة به».

«لم أقل إنني ارتبطت به».

ابتسم بمكر، فضربت كتفه، وظلا يتواصلان بنظرات أعينهما وهلة، وبدا في عينيه أنه يحترق بنيران الغيرة.

يا إلهي، تُرى لماذا أحببت رؤية هذا الشعور في عينيه؟

واصل والتر النظر عبر النافذة الخلفية، وقال: «هل تعتقدون أننا يجب أن نعود لنطمئن عليهما؟».

ذكرته نيكول وهي مصدومة: «لقد كانا يطلقان النار علينا منذ ثلاثين ثانية فقط».

طمأنت ليلي والتر قائلة: «خدمة الهاتف المحمول جيدة في تلك المنطقة، وسوف يتمكنان من طلب المساعدة». رنت إلى الشاحنة وهي تبدو أصغر فأصغر خلفهم، أخذة في الاختفاء أخيرًا عن الأنظار. مالت ليلي نحو المقاعد الأمامية، وأشارت إلى برادلي وهي تقول: «استمر في هذا الطريق. وبعد نحو 16 كيلو مترًا، ستأخذ المنعطف على اليسار بعد أن نجتاز الوادي الأيمن مباشرة».

أرسل إليها التحية، ونظر في عينيها عبر المرآة قبل أن ينظر مجددًا إلى الأمام. لقد تهلل وجهه، وأيقنت ليلي أنه لم يكن سعيدًا قط بذلك القدر من قبل في حياته. وعندما نظرت إلى ليو كان رأسه مائلًا إلى الخلف، وعيناه مغمضتان بينما كانت الرياح تمر في هبات دافئة على وجهه.

قال لها من قبل تنفسي بعمق الآن. وتحدثني عن غضبك لاحقًا.

كان هذا هو ما وعدت نفسها بأن تفعله، ولو في هذه اللحظة التي يمسك فيها بيدها محاولاً طمأنتها.

همس في أذنها: «يا إلهي، أنا سعيد جدًا لوجودي هنا».

الفصل السادس عشر

بمجرد وصولهم إلى المخيم لقضاء تلك الليلة، كانت هناك حالة من الحماس تسيطر عليهم؛ حيث أصبحت لديهم الآن الخريطة، والدليل الذي أشار إليه ديوك للانتقال إلى الخطوة التالية، وكانت ليلى تعرف المكان الذي يجب عليهم أن يذهبوا إليه. أحس ليو بأن صدره وأطرافه مليئة بالحيوية، وهبط الجميع من الجيب وهم يشعرون بالنشاط.

شرع ليو وبرادلي في إنزال الأمتعة والخيام، بينما كانت نيكول وليلى تبحثان عن مكان آمن لإشعال نار المخيم، وفي تلك الأثناء ذهب والتر لبحث عن الحطب أو أي شيء يمكن استخدامه في إشعال النيران. وعندما رأوا أخيراً طقطقة الحطب بين النيران المشتعلة في ظل الشمس الغاربة، تجمعوا حول الصخرة المستوية القريبة منها، وبدأوا وضع جميع الأغراض، والتخطيط لرحلتهم التي سيتوغلون فيها داخل المتاهة صباح اليوم التالي. وتبعت ليلى المسار الذي ينوون اجتيازه مستخدمة القلم الرصاص، وأشارت إلى المدة التي سيستغرقها الوصول إلى كل جزء، وأين سيتوقفون للراحة، وأين سيخيمون قبل القيام بالخطوة الأخيرة، والذهاب إلى الكهوف الخطرة. وإذا حالفهم الحظ، فسيجدون ما يأملون بشدة أن يظل مخبأ هناك.

قالت لهم ليلى: «أريد منكم جميعاً أن تعدوني بأنكم ستفعلون ما أقوله بالضبط».

طمأنها ليو: «سوف نفعل».

عبست، فلم يسعه إلا أن يخمن أنها قد أخذت كلماته السابقة تحدثي عن غضبك لاحقاً على محمل الجد. وكاد يستشعر الاستياء حيال سرقة الصورة إذا... حسناً، شعر بأنه يجب ألا يشعر بالاستياء، خاصة بعد أن طاردهم ذلك الرجل خارج المدينة وبحوزته بندقية معبأة. في الحقيقة، تمنى ليو لو أنه أخذ معه بعض المشروبات وليس الصورة فقط.

قالت: «سنتجه إلى هنا». وكانت تشير إلى بقعة على الخريطة بدت بعيدة بشكل ملحوظ عن المكان الذي يخيمون فيه حاليًا، ثم أضافت: «إذا كنت محقًا، يجب أن يكون الكوخ على بعد نحو 3 كيلو مترات من النهر بمجرد دخولنا المنطقة».

شعر فجأة بأن حياته في مانهاتن بدت بعيدة وغريبة كأنها كانت مجرد حلم أو خيال، أيامه التي كان يقضيها جالسًا في المكتب كل صباح لإنشاء خوارزمية جديدة غير قابلة للاختراق، والعودة كل مساء إلى شقته الصغيرة، وصخب المدينة حوله. كل ذلك بدا غريبًا الآن. نظر إلى ملامح وجه ليلي، وشعر بتقلص يسري من حلقه إلى أمعائه. لم ينعم بوجودها قربها منذ زمن طويل. وكان الهواء يلامس بشرته بشكل مختلف ثم يدخل رئتيه بقوة. كما شعر بنبضه وهو يخفق سريعًا، وتذكر تلك المرات التي ضحك فيها بصوت عالٍ على مدار الأيام القليلة الماضية. هنا أصبح للحياة لون ولحن، وشعر بأحاسيس مختلفة. كل ذلك لأنها موجودة هنا بجواره. لم يكن يعرف كيف يمكنه أن يتركها في نهاية الرحلة.

ولكن عندما أخذ نفسًا عميقًا لتهدئة أعصابه المتوترة، أدرك أن الهواء قد أصبح الآن مشحونًا بطاقة كهرومغناطيسية؛ حيث إن وميض البرق كان يلوح في الأفق البعيد، وبرزت البوادر الكئيبة لعاصفة تقترب، وأخذت هذه العاصفة تحوم بالقرب منهم بشكل مثير للقلق مثل مركبة فضائية توشك أن تنفجر. كان من الصعب رؤية الحجم الفعلي للغيوم، فقد كانت تلك الكتل الرمادية تحجب الشمس، ثم تندفع لتقترب وتتساقط من خلالها زخات المطر مثل ستارة من الفضة تنسدل من السماء إلى الأرض.

لاحظت ليلي ذلك أيضًا، وعلى الفور قالت: «يا إلهي، تلك العاصفة ستضربنا بقوة». نظرت إلى نيكول، ثم نحو المجموعة، وأردفت: «حسنًا، على الجميع أن يجهزوا أغراضهم ويجلسوا في خيامهم. لن نتمكن من الطهو الليلة؛ لذا يمكنكم تناول بعض الطعام المعب من السيارة الجيب، ولكن لا تسرفوا، فكل ما لدينا يجب أن يكفيننا مدة يومين إضافيين».

نهضوا مسرعين وتفرقوا للبحث عن حقائبهم، ثم نصبوا خيامهم. وساعدت ليلي والتر، وبمجرد أن عاد ليو، ورأها وهي تمد يدها في حقيبتها. ركض نحوها ليساعدها على سحب

الخيمة من حقيبة التخزين.

قالت وهي تسحبها من قبضته: «سأتولى أنا الأمر». ففرشت الخيمة على الأرض، وأخرجت الأوتاد المعدنية من الكيس، ثم التقطت مطرقة صغيرة، وبدأت تثبيت أركان الخيمة في الأرض الجافة.

وأثناء جلوسه إلى جانبها جذب أحد أركان الخيمة بقوة، واستخدم مطرقة الخاصة ليدق به وتدًا تلو آخر.

وبينما كانت تجلس إلى جانبه شعر بأنها قد تجمدت في مكانها، ففوجئ عندما ألقى نظرة خاطفة عليها وقد كانت ترمقه بنظرات غاضبة.

سألها: «ماذا هناك؟».

«ماذا تفعل؟».

قال وهو مرتبك: «أحاول مساعدتك».

مدت يدها وانتزعت الوتد من يده قائلة: «هل أبدو لك مثل شخص يحتاج إلى المساعدة في نصب خيمته؟».

«بالطبع لا». قال ذلك بينما كان يمد يده نحو الوتد الأخير. وعندما توقف، التقت أعينهما، وكان يحاول أن يخفي شوقه إليها، الذي بدا في نبرة صوته حينما أضاف: «أنا فقط أساعدك على إنجاز العمل بشكل أسرع».

وقفت ببطء وحدقت إليه، وانتشرت حولهما في الهواء رائحة غريبة قبل هبوب العاصفة الرعدية؛ وشعرت بالرطوبة الشديدة المصاحبة للعاصفة كأنها تتجمع فوقهما مباشرة.

قالت: «هل يمكنني التحدث معك على انفراد؟».

نظر إلى خيمتها - التي ما زالت مجرد كومة من القماش وأوتاد مثبتة على الأرض - ثم إلى الشُّحْب الرماذية وهي تتسارع وتتجمع فوقهما، وقال: «الآن؟».

«نعم الآن».

ودون انتظار، استدارت ليلي، ثم مشت واختفت خلف أحد التشكيلات الصخرية الكبيرة. ركض وراءها، ودار حول الزاوية المظلمة ليجدها قد ذهبت إلى أبعد مما كان يتوقع، وكانت تسير في المسافة التي تفصل بين صخرتين ضخمتين حمراوين. توقفت عندما اقترب منها، والتفتت إليه قائلة: «ماذا تظن نفسك فاعلاً؟».

صمت، وبطريقة ما أدرك أنهما لا يتحدثان الآن عن موضوع الخيمة: «ماذا تقصدين؟».

«طريقة تعاملك معي في المقهى وتوددك إليّ، ومساعدتي على نصب خيمتي!».

«هل مساعدة الآخرين إياك أمر غريب؟».

«أنت تعلم أن هذا ليس مقصدي. أنا أتحدث عن طريقتك وأنت تساعدني. فماذا وراء ذلك يا ليو؟».

أوضحت طريقة ضغطها بفكيها على أسنانها، ونظرات الغضب والألم التي بعينها أنها تعلم بالضبط ما يفعله؛ لذا رأى أنه لا مانع إذن من الاعتراف بما يدور داخله، حيث قال: «أريد أن أكون بالقرب منك». وأضاف: «ما زلت أكن لك بعض المشاعر».

هزت رأسها: «لا».

«لا؟».

قالت مرة أخرى: «لا. توقف عن ذلك».

شعر بخيبة أمل كبيرة: «ليلي...».

«هل تعرف كم المعاناة التي عشتها كي أتجاوز ذلك الأمر؟». اتسعت فتحتا أنفها، فيما ألقى هو نظرة خاطفة على ذقنها الذي كان يرتجف قبل أن تتمالك نفسها مرة أخرى.

وأوما برأسه مؤكداً لها: «بالطبع، أعلم...».

«أعلم الآن أنك قد اتصلت بي - فهمت ذلك الآن - لكنني لم أكن أعرف حينها. والأمل بأنك ستعود يوماً ما كان يراودني ولم يختفِ في يوم وليلة، لقد عانيت ألماً مستمراً». وضغطت بقبضتها الواهنة على صدرها، وأضافت: «استمر سنوات». أطبقت فكيتها، وأخذت تحدق إليه بآلم حقيقي يعكس ما كان يضطرم في صدرها، وأردفت: «تلك الوعود التي قطعناها على أنفسنا عنت الكثير لي. لقد فهمت أن ما حدث كان مفاجئاً لك بالقدر نفسه. لقد فهمت ذلك الآن؛ لكن عندما تقوم بمثل تلك الأشياء، أقصد عندما تعاملني بلطف وتربت على كتفي، فقد يكون الأمر بالنسبة إليك مجرد إجازة رومانسية؛ لكن ذلك يذكرني بأصعب فترة مرت في حياتي. لو أنك تمسكت بحبي - ولو كنت في نيويورك - فربما أمكنني تحمل أي شيء؛ لكن ذلك لم يحدث، ولا يمكنني خوض تلك التجربة مرة أخرى».

اقترب ليو خطوة منها، لكنه ارتد عندما سقطت قطرات ثقيلة من المطر على جبهته، فقال بلطف: «أريد أن أكمل تلك المحادثة؛ لكن هل يمكننا التحدث في خيمتي، فالمطر على وشك أن يهطل بغزارة؟».

تابعت متجاهلة كلماته: «فهمت أن حياتك لم تمضِ بسلاسة أيضاً، وإن كان هذا في بعض الوقت؛ لكن حياتي كانت سيئة إلى أقصى حد منذ أن رحلت». وامتلات عينها بالدموع، وبدأت تحمران عندما قالت الحقيقة المؤلمة التالية بصوت عالٍ: «أنا أكره حياتي. أنا حقاً أكرهها. باستثناء خيولي ونيكول، لا أملك أي شيء». تنفست بعمق، وهزت رأسها، وأضافت: «لذلك، ليس لك الحق في العودة إلى حياتي مجدداً، والنظر إليّ على هذا النحو، تلك وقاحة».

انهمرت الأمطار من السماء في هدير يصم الأذان، لتختفي معه بقية جملتها.

صرخ بصوت عالٍ وسط مزيج من ضجيج العاصفة الماطرة وهي تضرب الصخر: «ليلي، دعينا نعد!» سقطت كميات كبيرة من المطر البارد فوق الصدع الضيق الذي كانا يقفان فيه، فتقدم إلى الأمام، ورفع جانبي سترته الواقية من الرياح فوقها ليحميها من المطر، ولكنها دفعته بعيدًا.

«لا أريدك أن تحميني من المطر يا ليو». تدفقت المياه على وجهها، وبللت ثيابها. نظر إليها، وشعر بأن أفكاره مشوشة ومشاعره مضطربة.

أصرت وقالت بحدة هذه المرة: «أنا لست بحاجة إليك».

قال بلطف: «حسنًا. أنا لا أفعل ذلك لأنني أعتقد أنك بحاجة إليّ. بل أنا أفعل ذلك لأنني أريد ذلك». نظر حوله باحثًا عن الكلمات المناسبة، ليقول لها في النهاية ببساطة: «أحبك».

«لا أريدك أن تحبني».

أغلق عينيه، ومد يده ليمسح حبات المطر عن عينيه ووجهه. وعندما فتحتها مرة أخرى، رأى أن المطر كان قد غمر جسدها، فأطراف شعرها كانت مبللة، ورموشها، ووجنتها، بل شفتها كذلك.

وبينما كان هو يركز انتباهه عليها، كانت هي تمسح الماء ولكن الحركة والطريقة التي كانت تنظر بها إليه زادت شوقه إليها. وتذكر أول مرة رآها فيها.

قالت له وهي تقرأ ذلك الشوق في تعبيرات وجهه: «توقف عن ذلك».

قال وهو يغمض عينيه ويشير نحو المخيم: «آسف. دعينا نعد».

لكنها لم تتحرك، وقالت: «لماذا تنظر إليّ دائمًا بمثل تلك الطريقة؟».

لم يعرف ليو ماذا يجب أن يقول. ولم يعرف كيف كان ينظر إليها، لكن من الواضح أنه لم يستطع إخفاء الإعجاب الواضح في عينيه. كان يشعر بأنه قد وقع في حبها مرة أخرى، فهو لم ينسها قط. أشاح ليو ببصره عنها، وقال: «أسف».

نظرت إليه بحب واقتربت منه، فضمها إلى صدره، وأخبرها بمدى حبه واشتياقه إليها، وأخبرها بكم تعذب طوال سنوات فراقهما، بكت كثيرًا، وفجأة دفعتته بعيدًا وقالت: «توقف».

قال: «ليلي...».

ودون كلمة أخرى، استدارت وهي تهوول أمامه عائدة إلى المخيم.

الفصل السابع عشر

أمطرت السماء فجأة؛ ولكن المطر توقف مرة أخرى بالسرعة نفسها التي بدأ بها، وعندما خرجت ليلي من خيمتها صباح اليوم التالي، وجدت الفوضى تعم أرجاء المكان؛ المطر قد أطفأ النار، وبلل حذاءها، وسرعان ما لاحظت أنها هي شخصيًا تشبه هذه الفوضى بعد ما حدث مع ليو أمس.

وها هي اليوم تخشى رؤيته.

ارتدت حذاء جافًا، وقامت بتفقد الأضرار الناجمة عن المطر حول المخيم. كانت الشمس قد جففت التربة، وجعلتها صلبة لا تستطيع امتصاص المزيد من ماء المطر. لقد نصبوا الخيام في بقعة مرتفعة عن سطح الأرض بما يكفي، حتى يتدفق الجزء الأكبر من المياه ويتجمع في المنخفضات الزلقة أو يندفع إلى الأماكن الأقل ارتفاعًا، ومع ذلك، ابتلت أغراضهم، وكان كل شيء تقريبًا ملطخًا بالطين الأحمر. هكذا تحوّل اليوم الذي من المفترض أن يكون يوم عمل بسيطًا ومرتبًا إلى يوم عمل شاق فوضوي.

وسرعان ما أشرقت السماء خلف الأعمدة الصخرية العملاقة، وقد بدت أشعتها الوردية والذهبية الجميلة اعتذارًا عما هطل ليلة أمس من أمطار غزيرة مفاجئة. أشعلت ليلي النار مرة أخرى مقربة حذاءها منها بقدر ما سمحت لها جرأتها، وهي تضع ملابسها فوق فروع العرعر المتداخلة لتجف. كانت قد بدأت إعداد القهوة عندما سمعت وقع خطوات خافتة لشخص يمشي على الطين.

توقعت ليلي أن ليو سيكون أول فرد تراه عيناها اليوم، ولم تكن لتفاجأ إن رآته مائلًا أمام خيمتها منتظرًا تفسيرًا لما حدث ليلة أمس؛ ولكن حمدًا لله، ولحسن حظها، كانت هذه الخطوات هي خطوات نيكول وليس ليو.

قالت نيكول وهي تمرر يدها عبر خصلات شعرها الأشقر: «حسنًا، حسنًا، أخبريني، هل ذهبتِ إلى خيمة ليو الليلة الماضية وتحدثتِ معه؟».

وبمجرد تخيل ليلى تلك الصورة، سرت موجة من الوعي خلال كيانها نبهتها إلى الأجزاء التي كانت تؤلمها في جسدها ما أن تلمس. بالطبع كان من الممكن أن تذهب إلى خيمة ليو، لقد أرادت ذلك حقًا. وبالنسبة إليه كان سيسمح لها بالدخول، فهي تعرف أنه كان سيقول أو يفعل أي شيء تطلبه منه، هكذا كان دائمًا.

قالت لها: «شكرًا على انضمامك إليّ، لا أعرف ما الذي كنت أفكر فيه».

«أعرف ما الذي كنت تفكرين فيه». رفعت نيكول ساقها فوق صخرة كبيرة وجلست في مواجهتها، واستطردت: «عادة كنت سأنصحك بإعطاء ذلك الرجل فرصة؛ لكنني أعتقد أنه يجب علينا التركيز هنا». وأشارت إلى الأخاديد والبرية والمناظر الطبيعية المحيطة بهما، لأنها ستحتاج - بلا شك - إلى كل اهتمامهما خلال اليومين التاليين.

قامت ليلى بتفحص حبات البن المطحون بعناية، متجنبًا النظر إلى عيني نيكول. وكانت الرحلة بمنزلة مخاطرة كبير لكل منهما. كلتاهما ستتحملان المسؤولية إذا حدث خطأ ما. وليو يشكل مصدر إلهاء هما في غنى عنه. طمأنتها ليلى قائلة: «هذا ما نفعله، أنا لم أتصرف أو أفكر بعقلانية الليلة الماضية، هذا كل شيء، ولن تنجح تلك العلاقة بيننا أبدًا على أي حال».

أومأت نيكول قائلة: «لا أعرف عم تتحدثين؛ لكنني أعرف جيدًا أن أي شخص يقول إن المال لا يمكنه أن يحل المشكلات، عادة ما يكون شخصًا غنيًا»، ثم رفعت وعاء الماء المغلي وسكبته ببطء على حبات البن المطحون، وأضافت: «إذا وجدنا ذلك الكنز، فسوف تتغير نظرتك إلى الحياة كلها. يا إلهي، ربما سأشتري عقارًا بجوار المزرعة، تخيلي الأمر».

أعجبت ليلي بتلك الخطة كثيرًا؛ ولكن كانت هناك اعتبارات أخرى كثيرة عليها التفكير فيها؛ لذا قالت: «ماذا لو لم يكن معروضًا للبيع؟».

غمزت نيكول: «عندما تملكين المال، يصبح كل شيء متاحًا للبيع».

سمعتنا صوت أحدهم يتنحج خلفهما، واستدارتا لتريا ليو يمسك بعض الملابس المبتلة. وبالطبع يعرف ثلاثتهم سبب ابتلال تلك الملابس، عند هذه اللحظة احمر وجه ليلي خجلًا لتذكرها ليلة أمس.

قال: «هل لي أن أضع ملابسي هنا؟»، ثم أومأ إلى الشجرة الصغيرة التي علقت عليها ليلي ملابسها الرطبة.

وقفت نيكول وارتسمت على شفيتها ابتسامة متعجرفة، وأجابت: «أنا سأذهب لطي خيمتي وإيقاظ الآخرين».

تولى ليو أمر الملابس، وأعطته ليلي كوبًا من القهوة المركزة.

سألها: «هل يمكننا التحدث عن ليلة أمس؟».

«أفضل ألا نفعل».

أخذ رشفة من كوبه، وهدق إلى قهوته داكنة اللون: «حسنًا، بالطبع».

لكنها عرفت أن الأمر ليس على ما يرام. لقد بكت بين ذراعيه أمس، ولا يمكنها نسيان ذلك.

خفت صوتها وهي تقول: «أريدك ألا تفعل ذلك...»، وهي هنا تقصد: ألا تنظر إليّ بتلك الطريقة. نظرت نحو النار كأنها تبحث عن الكلمات هناك، وفي النهاية أضافت: «ما كان يجب أن أرتمي بين ذراعيك، آسفة».

«لا أظن أنك نادمة على ذلك». نظرت إليه بدهشة، ومن ثم أكمل حديثه قائلاً: «عن نفسي لست نادمًا، وإذا ما اقتربت مني مرة أخرى وبكيت بين ذراعيّ سأرحب بالأمر».

«لن أفعل، لم نعد مراهقين يا ليو».

«لم أكن مراهقًا عندما عملت في المزرعة». ابتسم وشرع يكمل حديثه لكنه رآها تضغط على أسنانها وترمقه بنظرات غاضبة أعقبها قولها: «حسنًا. لم أعد أتحمّل الكلام في ذلك الموضوع».

مشى برادلي نحوهما، وقد انعكست فوق رأسه أمواج أشعة الشمس الذهبية، كان يتشاءب حين قال: «يا لها من عاصفة تلك التي ضربت المكان ليلة أمس». سكب لنفسه قديمًا من القهوة، غافلًا عن ذلك التوتر الذي كان يحيط بالأجواء حول نار المخيم الصغيرة، وأردف قائلاً: «اعتقدت أن تلك الأمطار كانت ستجرفنا في طريقها».

لوحث بيدها وهي تقول: «ليس لهذه الدرجة. كان ذلك لا شيء».

وانضم إليهم والتر أيضًا الذي بدا في حالة يرثى لها وهو يمشي متثاقلاً، ويبدو عليه النعاس. بدا كأنه كان ينتمي إلى ذلك المكان، فقد كان مظهره الخشن ملائمًا جدًا، وسكبت له ليلي القهوة، بينما كان يبحث عن مكان ليجلس فيه.

سأل برادلي: «ماذا سيحدث إذا ذهبنا أسفل الوادي اليوم؟ هل يمكننا أن نتوقع المزيد من الأمطار؟».

قال والتر: «لم أكن أعلم أنها تمطر في الصحراء».

قالت لهما ليلي: «معدل الأمطار هنا نحو 254 مليلتر لكل متر مربع خاصة في الربيع». بعدها نظرت إلى السماء التي تغير لونها من اللون الأحمر إلى الأزرق الساطع، بينما هب النسيم عليلًا، ولم تكن هناك ولو سحابة واحدة في الأفق. أردفت قائلة: «كانت توقعات

الطقس للأيام العشرة الحالية تنبئ بأن هناك فرصة بنسبة ثلاثين في المائة لهطول المطر أمس؛ لكنني كنت أعرف أننا سنوجد على ارتفاع عالٍ، لذلك لم أكن قلقة. وعلى أي حال، من المفترض أن تصفو السماء بقية الطريق».

وأضافت نيكول: «لكن الأرض مع ذلك ستكون زلقة؛ لذا كونوا على حذر».

قال ليو، بينما كان يحدق إلى الأسفل وهو يدير عصا قصيرة على أصابعه: «هل يمكنني أن أسأل سؤالاً غيبياً؟».

أجابت نيكول: «تفضل».

«الآن بعد أن حصلنا على هذه الصورة، ولدينا فكرة إلى أين نتجه، ما الذي نتوقعه بالضبط؟». رفع بصره، ثم حدق إلى نيكول ومن بعدها إلى ليلي في ظل ضوء الصباح الخافت، واستطرد قائلاً: «بمجرد أن نصل إلى هناك، لنفترض أننا وجدنا الكوخ. ولحسن الحظ وجدنا جذل الشجرة. فهل هذا يعني أن ذلك هو المكان الذي أخفى فيه ديوك كل شيء؟».

جفلت ليلي: «ربما، ولكن لا أعتقد ذلك، أتذكر كيف كان والدي يعتبر الألبان والألعاب أهم شيء في حياته؟ حسنًا، إذا لم تنبئنا شفرة موجودة بالقرب من الجذل إلى أين نذهب للعثور على المال، فنأمل أن نخبرنا على الأقل بالخطوة التالية. أكاد أجزم بأنه إذا كنا نبحث عن كنز حقيقي، فهو بالتأكيد قد ترك رسائل مشفرة في أنحاء المكان».

للحظة تخيلت أنها تسمع همسات ديوك في عقلها وهو يقول إذا كان الأمر سهلاً، فهو لا يستحق كل هذا العناء.

انحنى برادلي قائلاً: «ولكن أين نحن الآن بالنسبة إلى المكان الذي يجدر بنا الذهاب إليه اليوم؟».

أخرجت خريطتها الكبيرة، وأشارت إلى نقطة وضعت عليها علامة عبارة عن مربع كبير، وقالت: «هذا هو المكان الذي نحن فيه الآن»، ثم تحركت بإصبعها مسافة سنتيمترات وأردفت: «وهذا هو وادي جاسبر. المكان الذي سنذهب إليه».

قال والتر وهو قاطب الجبين: «أرى مجموعة من التموجات والخطوط المتعرجة... جدًا».

«نعم. تلك هي خطوط الارتفاع. نحن سننزل إلى مستوى النهر». التفتوا جميعًا ورأوا النهر من بعيد؛ وعرفوا إلى أي مدى يجب أن يسيروا. واصلت ليلي حديثها قائلة: «سنضطر إلى ترك السيارة الجيب بعد قطع مسافة قريبة والذهاب سيرًا على الأقدام. ولن يكون الأمر سهلًا».

نظر الرجال بعضهم إلى بعض، ونظرت ليلي إلى نيكول، وبدا واضحًا أنهم سيمضون بضعة أيام صعبة.

كان برادلي أول من كسر حاجز الصمت، وهو يقول: «إن من الأفضل أن نبدأ، دعونا نتناول طعامنا لنتحرك من هنا».

لم تكن هناك أصناف متنوعة من الطعام، مجرد شوفان سريع التحضير، ومكسرات، وتوت، لكنهم استمتعوا بتناول القدر المتبقي من طعامهم الطازج، وهم يعلمون أن وجباتهم التالية ستكون خفيفة وغير قابلة للتلف وغنية بالبروتين. ولم يلاحظ أحد أن ملابس ليلي وليو كان معظمها قد جف الآن بفعل حرارة النار.

فك الجميع خيامهم وحملوا كل الأغراض داخل السيارة الجيب، وأمضوا ساعات عديدة على الطرق الوعرة، التي أخذت خطورتها تتزايد ما جعلهم يقررون أن وقت ترك السيارة وإكمال الطريق سيرًا على الأقدام قد حان.

راجعوا محتويات حقائبهم ليحددوا ما هم بحاجة ماسة إليه، وكان من المستحيل أن تترك ليلي المسدس في السيارة الجيب؛ لذا حملته هو ودفتر ديوك، والهاتف الذي يعمل عبر

الأقمار الاصطناعية، وهواتف تيري، ووضعت كل تلك الأشياء في حقيبة بلاستيكية كبيرة.

وضع ليو يده على هاتف تيري الذي في الحقيبة، وقال: «هل ينبغي لنا أخذ كل تلك الأشياء؟ ألا يبدو ذلك تصرفاً سيئاً؟».

«لا داعي للقلق. لنأخذ معنا كل ما نريد، فأنا أعرف كل حارس في تلك المقاطعة منذ أن كنت صغيرة. هم رجال طيبون، ونحن غير ذاهبين إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي».

اضطر بعضهم إلى تبديل أحذيته، وأخذ كل منهم بعض الملابس الاحتياطية، وما يكفي من بسكويت الطاقة، ولحم البقر المقدد، والماء، والأطعمة المعلبة التي تكفيهم مدة يومين. وحملت نيكول مجموعة الإسعافات الأولية، بينما تأكد كل منهم من حزم كيس نومه وخيمته داخل حقيبة ولكن... ذكّرتهم قائلة: «حاولوا الإبقاء على حقائبكم خفيفة قدر الإمكان. فأنا أعرف أنك تريد أن تأخذ كل شيء يا برادلي، لكنني أعدك بأنك لن تحتاج إلى دثارك الصوفي في المتاهة».

بدا كأنه قد شعر بالإهانة، لكنه بعد ذلك أخرج حزمة من حقيبته وأعادها إلى السيارة الجيب.

وبعد ذلك، انطلقوا في صمت؛ حيث كانت الأجواء مشحونة بالأمل والخوف... ولكن ربما كان ذلك الهدوء الذي لاحظت ليلي أنه يسيطر على الجميع مجرد نتيجة لتركيزهم الشديد. فهم لم يفعلوا ذلك من قبل، كان يمتد أمامهم ركام من الأحجار المتراسة بعضها فوق بعض، وقد صفت في مسار متقطع كأنها علامات على الطريق، ولكن لم يكن هناك مسار واضح أمامهم.

قال لها ليو وهو يقف قريباً جداً ما جعلها تندهش من مدى قربها منها: «هل تتذكرين كيف كانت تغطية شبكة الهاتف المحمول سيئة في المزرعة؟».

نظرت إليه في حيرة: «ما سبب إثارتك ذلك الموضوع الآن؟».

«لا أعرف، تذكرت من فوري مدى غضب الضيوف عندما كانوا يدركون أنه لم يكن في المزرعة كلها سوى متر مربع واحد يمكنهم التقاط إشارة الهاتف فيه من حين لآخر. وذكرني ذلك بأنني لم أتحقق من هاتفي أو البريد الإلكتروني أو أي شيء آخر منذ عدة أيام. أعتقد أن ذلك الصيف الذي قضيته في المزرعة كان آخر عهدي بالانقطاع عن الإنترنت».

سأله والتر وهو ينظر عابثًا إلى قدميه: «في اعتقادك ماذا يحدث حاليًا عبر الإنترنت؟».

قال ليو: «الشيء نفسه مثل كل يوم: شخص ما يبدو مجنونًا، وآخر يلقي مواعظ، بالإضافة إلى نشر بعض الصور المضحكة عبر مواقع التواصل».

قال برادلي: «معك حق، هناك من ينشر صورته وهو ينظر إلى نفسه في مرآة الحمام على إنستجرام».

انفجر ليو ضاحكًا: «نصف المنشورات التي تصل إليك هي صور لأشخاص أمام مرآة الحمام».

نظر إليه برادلي بغضب وهو يقول. «ليس النصف».

قالت نيكول: «تلك التطبيقات حولتكم يا رفاق إلى آلات بلا تفكير، إذا كنتم تكرهونها بهذا القدر، إنستجرام، أو تويتتر، فلم لا تقومون بحذفها وكفى؟».

ضحك برادلي: «بالطبع نحن نكرهها، تلك هي النقطة المهمة، نحن نتصفحها لنشعر بالتفوق والأفضلية والغضب في الوقت ذاته».

قال ليو: «ولكن هذا الكلام لا ينطبق على والتر، فليديه ما يقرب من مليون متابع على تيك توك؛ وجميعهم لا يمكنهم الاكتفاء من محتواه المختص بعالم الحيوان فقط». نظر إلى والتر بينما كانوا يسيرون عبر جزء منبسطة نسبيًا من الطريق، وقال: «ما هو المنشور الذي انتشر بشكل واسع أولًا؟».

قال برادلي وهو يضحك: «المنشور المتعلق بالملكية المسئولة عند اقتناء النمس».

هز والتر رأسه: «لا، كان يتعلق بعادات التزاوج لدى...». انقطعت كلماته فجأة، وسمعت صرخاته الحادة عندما فقد توازنه، وسقط على الأرض، ثم انزلق وابتعد مسافة خطوات أسفل منحدر صخري.

اندفعت نيكول، ونزلت على ركبتها لتطمئن عليه، بينما كان هو يمسك كاحله ويتلوى من الألم. قالت: «يا إلهي، ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟».

ابتسم وهو يشير إلى كومة من الحجارة المبعثرة وتواريها الأغصان المتشابكة للعرعر المتساقط، بعدها قال بصوت عالٍ، وهو يضغط على أسنانه: «لقد انزلت على تلك الصخور».

نقلوه إلى أرض مستوية، وجثا ليو بجانبه، وأخذ يحاول بحذر شديد أن ينزع له حذاءه وجوربه.

همس برادلي: «يا إلهي»، بينما كانوا جميعًا يحدقون إلى كاحله المتورم، حيث كانت هناك كدمة أرجوانية قد بدأت بالفعل تتكون تحت بشرته الشاحبة.

سألت ليلي: «ما مدى سوء حالته؟».

تحسس ليو أسفل قدم والتر، الذي كتم صرخة ألم، لكنه لم يتمالك نفسه عندما ضغط ليو بالقرب من الجزء العلوي لكاحله.

ضغط ليو مرة أخرى، وبدا أن الألم يغزو جسد والتر كله، ما جعله يبدو شاحبًا ومتعرقًا، وقال في وهن: «لا تضغط على هذا الموضع مرة أخرى، من فضلك».

نظر ليو إلى ليلي، وقد امتقع وجهها، وقال: «أعتقد أن كاحله قد كسر».

سألت ليلي والتر: «هل يمكنك تحريكه؟».

حاول أن يحرك قدمه، لكنه شهق على الفور، وقال بحدة: «لا».

جلست ليلي على عقبها، بينما بدأت تسيطر عليها مشاعر الخوف التي كانت تهاجمها مثل أصابع تزحف على بشرتها ما دفعها لتقول: «حسنًا، إذن انتهى الأمر».

سأل برادلي: «ماذا؟ ما هذا؟».

قالت: «لقد أصيب والتر. يجب أن نعود».

خلع برادلي قبعته وألقاها على الأرض قائلاً: «يا لسوء الحظ».

صاحت نيكول: «براد، لا تكن أحمق».

قال والتر: «يا رفاق، أنا آسف حقًا، ربما نستطيع ربطها وننتظر لنرى كيف يصبح الوضع في الصباح؟ هلا ساعدني أحد من فضلكم».

ساعدوه على الوقوف، وتحققوا مما إذا كان بإمكانه الوقوف على قدمه، لكنه صرخ على الفور. التقت عينا ليلي بعيني نيكول، وكأن كل واحدة منهما علمت ما يدور في ذهن الأخرى؛ إصابة والتر هذه تعني أنه لن تكون هناك رحلة استكشافية، ولا نقود.

ولا مزرعة.

بالإضافة إلى وجود جثة في الوادي.

شعرت ليلي بخيبة أمل كأن أحدهم قد سرق أحلامها، ثم شرعت تبحث في حقيبة نيكول عن أدوات الإسعافات الأولية، بينما كان كل من نيكول وليو يساعدان والتر على الجلوس مرة أخرى.

قالت ليلي وهي تضغط بأصابعها على كيس به ضمادة تشبه الثلج: «يجب أن نعود». ثم وضعت الضمادة على كاحله، وأردفت: «كنت قلقة بالفعل بشأن اصطحاب الجميع إلى هنا. من الصعب أن ننجح في تلك المهمة ونحن نمشي على قدمينا، فما بالك بالمشي على قدم واحدة». ابتسمت بحزن وهي تعلم مدى شعوره بالذنب، ثم أضافت: «الحذر أفضل من الندم».

ظل ليو وبرادلي يحدقان إلى والتر بينما كانت نيكول تناول ليلي الضمادة المرنة، وساعدتها على الانتهاء من عملية تثبيت قدمه وتضميدها.

تنحج برادلي ثم قال: «سنمضي أنا وليو في البحث عن كنز ديوك».

قال ليو وهو يضحك غير مصدق: «نحن سنفعل ماذا؟». بينما حدقت نيكول بازدراء.

سألت ليلي برادلي: «هل أنت مجنون؟ بالكاد يمكنك العثور على مرحاض خارجي».

قال وهو يفكر: «حسنًا، إذا كنت قلقة بشأن نجاح الفكرة، فأليك الخطة التي سنتبعها: سيصطحب ليو ونيكول والتر ليعاودوا أدراجهم. وسيخبرون الشرطة بأن تيري قد اختفى، وأنا وأنت ذهبنا للبحث عنه، بينما نكون نحن في طريقنا للبحث عن المال».

ردت ليلي: «لا. نحن لن ننفصل».

سأل بصوت مرتفع: «أيعقل بعد كل ما مررنا به أن نتخلى عن هذا اللحم؟».

حذرت نيكول: «براد، اصمت».

صحح والتر بصوت منخفض: «اسمه برادلي».

بدأ برادلي يتحرك في المكان جيئة وذهابًا، ثم قال: «مستحيل، هناك شيء مهم في انتظارنا هناك». وأشار إلى المتاهة، ونظر إلى كل واحد منهم، وأضاف: «كم مرة في حياتنا

سيتسنى لنا قول إننا خضنا مغامرة كهذه؟ مغامرة جريئة ومحفوفة بالمخاطر ومحتمل أن يكون لها مردود هائل؟»، ثم التفت نحو ليلي وأردف: «وأنتِ ستعيشين بقية حياتك لا تعرفين ما إذا كان أبوك العجوز قد وجد أشهر كنز في التاريخ الأمريكي أم لا! إن هذا هو مربط الفرس يا رفاق، وتلك هي مغامرتنا الكبيرة. لا يمكننا التراجع الآن».

قالت نيكول ل ليلي بهدوء: «يمكنك فعل هذا أيتها المديرية».

نظرت إليها ليلي وهي تقول: «ماذا؟».

«لقد ذهبتِ إلى هناك من قبل. وأنتِ أكثرنا معرفة بديوك؛ تعرفين ما كتب في دفتر يومياته، وتفهمين أعباه. أنتِ الشخص الأنسب الذي يمكنه أن يذهب».

قال برادلي: «صحيح، إذن كما قلت: نيكول وليو يأخذان والتر ويعودان به، ويمكننا أنا وليلي مواصلة الطريق».

حدقت ليلي إلى الضمادة التي كانت تغطي قدم والتر، واستغرقت في التفكير. فبغض النظر عن مدى رغبتها في ذلك المال، ومزرعتها، وحصولها على إجابة قاطعة عما إذا كان والدها قد أخفى عنها أكبر مكسب حققه في حياته، يبقى السؤال الأهم هو: هل يمكنها أن تفعل ذلك؟ هل عليها فقط... أن ترسل والتر إلى المستشفى وتستمر في البحث؟ ألم يكن الأمر فظيلاً بالقدر الكافي عندما تركوا تيري في قاع الوادي؟

لكن... فكرة عودتهم والاتصال بالسلطات ستُظهر على الأقل أنهم حاولوا التصرف بشكل صحيح. لم تكن فكرة رهيبة...

قالت فجأة: «ليو».

نظر إليها برادلي باندهاش: «ليو!».

استقامت وأطبقت فكيتها، ثم حاولت أن تتظاهر بالثقة وهي تقول: «سأذهب مع ليو».

اعترض برادلي: «لماذا لا نذهب كالنا؟».

«كلما كان عدد الأشخاص عديمي الخبرة أقل كانت المخاطر أقل، وليو حاصل على رتبة نسر الكشافة، ويتمتع بخبرة في التحرك عبر الأراضي البرية أكثر من أي شخص آخر هنا». ومن ثم صمتت ثم أردفت: «بصراحة، لا أعتقد أنني أستطيع القيام بذلك دونه. فبال تأكيد ديوك لم يضع شفرات سهلة، وسأحتاج إلى ليو لحل الرموز التي في انتظارنا».

التقت عينا ليو بعينيها فأشاحت بوجهها. لقد سألته ذات مرة كيف يحل الألغاز بهذه السرعة، فأوضح لها أنه يرى الرموز والألغاز بوصفها صوراً في رأسه. كما أنه يظل يغير أماكن الأشياء، ويحرك القطع أو الأرقام في ذهنه حتى تتكون لديه رؤية واضحة للحل. بعدها يدقق في الأمر ويتحقق من استنتاجه ثم يعيد التحقق مرة أخرى. وإذا كان يعمل على حل شفرة، فإنه يتأكد من الترجمة الصحيحة لكل حرف أو رمز أو رقم. أما إذا كان يتعامل مع أحجية تركيبية، فيصير الأمر أسهل: فكل ما عليه فعله هو اكتشاف كيفية تحريك كل قطعة، وسيعرف ما إذا كان على حق أم لا عندما يطبق ما رآه في ذهنه على أرض الواقع.

بالنسبة إلى ليلي، بدا الأمر مثل العجائب. لم تفهم كيف كان يعتمد على مخه فقط دون يديه؛ لكنها لم تكن بحاجة إلى الفهم، بل يكفي تأكدها من قدرته على القيام بذلك، وهي الآن لا تحتاج إلا إلى ذلك الدماغ.

قال برادلي: «لا يمكنك أن تتركيني خلفك».

«أنت لست الشخص الذي يتخذ القرارات هنا. ولكي أكون صادقة، أنا لا أثق برد فعلك عندما تكون تحت ضغط ما. لقد وجهت مسدساً نحو رؤوسنا، وأقحمنا في مطاردة سيارات عالية السرعة».

قال برادلي متذمرًا: «في الحقيقة، ليو هو من ورطنا في مطاردة السيارات عالية السرعة التي تتحدثين عنها».

راقبها ليو، ويدها تمسكان بحزامي حقيبة ظهره. أدركت ليلي أن ذهابها برفقته هو الطريقة الوحيدة للمضي قدمًا؛ لكن دقائق قلبها كانت تتسارع من فرط إفراز الأدرينالين لمجرد تصورها فكرة البقاء وحيدة معه، ومحاولة التصرف بعقلانية قدر الإمكان. قالت: «أنتم يا رفاق ستعودون مع والتر، أما أنا وليو فأمامنا يومان». قالت لنيكول بمنتهى الجدية: «أخبروا الحراس بأن تيري أراد تجربة طرق مختلفة وهام على وجهه بمفرده، وذهبت أنا وليو للبحث عنه».

أومأت نيكول بنظرات مليئة بالقلق.

قالت ليلي: «انتظروا مكالمتنا. أتمنى أن نكون ضمن نطاق تغطية جيدة لشبكات الهاتف المحمول».

سأل والتر: «ماذا لو لم تتصلا؟».

«سوف نفعل». لم يجرؤ أي منهم على إكمال الجملة، لكنهم كانوا جميعًا يعرفون بقيتها: سوف يتصلان... إلا إذا انتهى بهما الأمر مثل تيري.

الفصل الثامن عشر

بحلول الوقت الذي أعادوا فيه والثر إلى السيارة الجيب، كان كاحله المصاب قد تورم حتى وصل إلى ضعف حجمه الطبيعي تقريبًا، وتحول الجلد حوله إلى اللون الأزرق. وبالنسبة إلى برادلي، فإنه لم يكن سعيدًا بالتأكيد بالتغييرات التي طرأت على الخطة. أما والثر فعلى الرغم من شعوره بالذنب، ورغبته في خوض المغامرة، فإنه شعر بارتياح إلى حد ما للعودة.

في الحقيقة، لم يكن ليو متأكدًا من شعوره؛ لأنه رأى أن المسافة التي تفصله عن الأمان الذي كان يتمتع به في مكان عمله، والبقعة التي يقف فيها الآن يمكن قياسها بالسنين الضوئية لا بالأميال. فقد كان الخطر الذي تعرضوا له حقيقيًا: تيري لقي حتفه، ووالثر أصيب على الأرجح بكسر في القدم. أما هو وويلي فيمكن بسهولة أن يغرقا، أو أن تتناثر أشلاؤهما جراء الموت سحقًا، ولن يسمع بهما أحد مرة أخرى. شرد ذهنه، وأخذ يفكر لحظات في كورا، وتساءل عما تفعله الآن، وكيف ستتعامل مع الأمر إذا حدث له مكروه؟ ومع ذلك، أحس بأن النبض الذي كان يشعر به في عروقه هو نتيجة حماسه، وليس لخوفه. إنه الأدرينالين الناتج عن ترقب خوض المغامرات، والشوق إلى فكرة الوجود مع ليلي مرة أخرى. أدرك ما تشعر به من حرب داخلية - الانجذاب والخوف - لكنه أراد أن يترك لها حرية الاختيار. فقد أمضت الكثير من حياتها وهي مجبرة على تنفيذ ما يفرض عليها، والآن أراد أن يكون اختيارها له نابغًا من رغبتها هي.

استغرقا بعض الوقت في إعادة ترتيب الحقائق لتحديد ما سوف يحتاجان إليه حقًا من مؤن حتى لا يصطحبا معهما سوى حقيبتين. كانت حقيبة تيري تحتوي على أدوات تسلق جبال عالية التقنية وباهظة الثمن؛ لذا أخذتها ليلي من برادلي، ووضعتها مع أمتعتها. رأى ليو ترددها وهي تُخرج كيسًا بلاستيكيًا يحتوي على دفتر اليوميات، والهاتف، والمسدس.

قال: «يجب أن نأخذ تلك الأشياء، فهم لن يحتاجوا إليها».

تنهدت باستسلام، ثم دفعت بكل شيء في حقيبة ملابسها الاحتياطية.

عندما انتهوا من تجهيز كل شيء، ساعد ليو والتر على الاستقرار في المقعد الخلفي.

سأل برادلي ليو بمزيج من القلق والحسد: «هل تعرف حقًا ما ينبغي لك فعله؟».

قال ليو بحذر: «أعتقد أنني أعرف ما أفعله، لكن حتى لو لم أكن أعرف، فإن ليلى تعرف.».

ثم نظر إلى حيث كانت هي ونيكول تتحدثان بهدوء على بعد مسافة قصيرة، وأردف:

«علينا أن نكون ممتنين لاستعدادها للاستمرار في ذلك الأمر.».

قال والتر وهو يضحك بألم: «لقد تورطت أنت أيضًا في الأمر بشكل كبير.».

قال برادلي: «نعم، لكنه سيخوض مغامرة رائعة، وبالمناسبة إذا كان يجب عليّ أن أعاد

أدراجي، فعليك أنت مواصلة الرحلة، إذ من الأفضل أن تصب كل تركيزك على البحث.».

همس فيما بين ثلاثتهم: «نحن سنقسم المال بيننا، أليس كذلك؟ لذا ركز من فضلك على

الكنز وليس مع ليلى.».

عاد ليو إلى الخلف بضع خطوات، وقال بغضب شديد: «برادلي، ماذا تقول؟».

ابتعد برادلي عن السيارة الجيب، وأخذ يمرر يده بين خصلات شعره في إحباط، ثم قال:

«آسف لكوني فظًا، ولكن الأمر خطير بالفعل؛ لذا احتجت أنا ووالتر إلى التأكد من أنك تفهم

الوضع جيدًا.».

قال ليو: «أعرف ما يجب عليّ فعله، لكن ماذا عنك، أتعرف ما هو مطلوب منك؟» ثم بدأ

سرد التعليمات، وهو يحصيها على أصابعه: «ستصطحب والتر إلى المستشفى. بعدها

ستذهب إلى الشرطة وتخبرها بأن تيري اختفى ونحن نبحت عنه. أما نحن فإذا وجدنا

المال، فسنأخذ منه ما نستطيع حمله، وسنتصل بك في اللحظة التي يلتقط فيها الهاتف

المحمول إشارة». حدق إليه ليو بشدة، ثم وضع يديه على كتفيه، وهو يقول: «عليك أن تثق بي. هل يمكنك ذلك؟».

أوماً برادلي برأسه على مضض.

اعتدلا في وقفتهما عندما اقتربت منهما ليلي ونيكول مرة أخرى.

قامت نيكول بتعديل الضمادة الثلجية حول كاحل والتر، وقالت: «كيف حالك؟».

رد: «بخير، آسف مرة أخرى لإفساد كل شيء».

قالت ليلي: «لا داعي للأسف. كان من الممكن أن يكون الأمر أسوأ». تردد صدى صوتها لحظة. بعدها أغمضت عينيها وأخذت نفساً عميقاً وهادئاً، ثم قالت وهي تمعن النظر بكل واحد منهم: «أؤكد لكم أنكم تصرفتم مثل رعاة البقر الحقيقيين على مدار هذا الأسبوع»، تأثر ليو بكلماتها، وكيف كانت مضيئة جيدة حتى الآن، على الرغم من هذه الظروف. أضافت قائلة: «لقد بذلتكم قصارى جهدكم. يجب أن تكونوا فخورين جداً بأنفسكم».

تبادلت ليلي ونيكول نظرة خاطفة، ثم ذهبت نيكول نحوها وعانقتها قائلة: «توخي الحذر»، بعدها التفتت إلى ليو وقالت: «وأنت حافظ على سلامتها وإلا سأقتلك».

قال: «سأحرص على ذلك». ثم التفتت إلى ليلي وقال: «هل ينقصنا شيء؟».

فحصت ليلي حقيبتها مرة أخرى، وقالت: «لا، لدينا كل ما نحتاج إليه».

صاح والتر: «انتظروا». ورفع يده المغطاة بالغبار ليدفع خصلات شعره السوداء عن جبهته، ثم قال: «أردت فقط أن أقول للآنسة نيكول والآنسة ليلي إن هذه الرحلة كانت إحدى أفضل الرحلات التي قمنا بها على الإطلاق». نظر إلى برادلي وليو وأضاف: «أليس كذلك يا شباب؟».

أيد ليو كلامه قائلاً: «باستثناء موت تيري، كانت رحلة رائعة».

قال والتر وهو يضحك بعصبية: «صحيح، باستثناء ذلك؛ لذلك أردت فقط أن أقول شكرًا لكما، لن أنسى أبدًا تلك التجربة».

وبابتسامة مترددة، انحنت ليلي وعانقته قائلة: «أنت إنسان طيب يا والتر. حاول ألا تزعج نيكول».

تجهمت نيكول، وصعدت إلى مقعد السائق، وشاهد ليو برادلي وهو يجلس في مقعد الراكب الأمامي. سُمع صوت تشغيل المحرك، ونظرت نيكول من النافذة نحوهما، وقالت: «أراك في غضون أيام قليلة يا عزيزتي».

بجانب ليو، أومأت ليلي برأسها وهي تنظر متجهمة، بينما لوح الشابان نحوها هي وليو، وشاهد الاثنان نيكول وهي تتجاوزهما محاولة القيادة بحذر على الطريق الوعر.

وأخيرًا اختفت السيارة الجيب عن الأنظار، فقال ليو: «هل تعتقدون أنهم سيكونون على ما يرام؟».

«سيكونون بخير». ثم رفعت حقيبة تيري على كتفيها وأضافت: «أشعر بالقلق بشأننا نحن».

عاد ليو وليلي إلى طريقهما عازمين على توخي الحذر مع كل خطوة، والانتباه جيدًا إلى الطريق ومخاطره تلك المرة. لم يتحدثا، وبدا الأمر كأن هناك هدنة غير معلنة بينهما، فقد كان تركيزهما منصبًا فقط على الرحلة والمغامرة التي في انتظارهما.

وبعد قرابة نصف ساعة، اختفى التوتر الذي شعرا به نتيجة وجودهما وحدهما، واعتادا تبادل الحديث مرة أخرى؛ فمثلًا حذر كل منهما الآخر من الأشياء الخطرة التي يجب تجنبها، ولفت كل منهما انتباه الآخر إلى المشاهد البديعة التي يمران بها. كما سألهما ليو عن

إحدى النباتات المزهرة (شجيرة الكريوزوت)، ونقنقة طائر صغير ذي رأس رمادي اللون (حجل الشوكار)، وسألته هي عن كورا: كيف تبدو؟ وهل لديها أقرباء آخرون بجوارها؟ وأي فروع الطب تفضل؟ صارت حركتهما أسرع لأنهما أصبحا اثنين فقط، وتحدثا كثيرًا أثناء سيرهما فوق بقعة من الطين الأحمر يغطيها العشب والنباتات الشجيرية. وعندما انحرفت ليلى إلى اليمين، بدا ذلك المسار مختلفًا؛ غلب عليه الطابع الصخري أكثر من الترابي، وبدأ الانحدار بشكل حاد إلى الأسفل؛ الأمر الذي تطلب أن يستنفرا معظم تركيزهما. لقد قطعنا مسافة طويلة، وشعر ليو بأن قدميه تحترقان وهو يسير على ذلك المنعطف شديد الانحدار.

التفتت وقالت له: «احذر، وتتبع خطواتي جيدًا وأنت تسير هنا».

فعل كما قالت له، وغيّر مسار خطواته لتتطابق مسار خطواتها.

أشارت إليه قائلة: «هل ترى الأرض ذات التربة الأكثر قتامة هناك؟».

أومأ برأسه، فقد كانت الأرض الممتدة على بعد مسافة منهما وعرة ومغطاة بنوع من المواد العضوية، سألتها: «ما هذا؟».

«إنها قشور التربة البيولوجية، وهي عبارة مجموعة من الكائنات الحية تنمو على سطح التربة، وهي تحتفظ بالمياه عند هطول الأمطار، وتشارك في عملية تعرية التربة، ولكن قد يستغرق نموها مئات السنين، وهي هشة للغاية. يجب ألا تسير عليها مطلقًا».

كان حريصًا على اتباع خطواتها أثناء سيرهما على الأرض التي أصبحت أكثر امتلاء بالحصى لا الطين، ثم بعد ذلك أصبحت صخرية، وتدرجيًا، ضاقت التضاريس حتى تشكلت فتحة الوادي. وفجأة حاصرتهما الصخور الشاهقة، حاجبة الشمس بينما كانا يسلكان الأنفاق الضيقة بينها. ذكّر ذلك بوجوده في المدينة وسيره في الممرات الضيقة بين المباني.

مد يده، وترك أصابعه تتحسس الجدار الصخري. كانت بعض أجزائه مسطحة، وبعضها الآخر منحنيًا مثل الأمواج، وبدا السطح نفسه مليئًا بالخطوط إثر تراكم طبقة فوق طبقة من الصخور الرسوبية التي شكلتها مياه الفيضانات على مدى ملايين السنين. بدا المشهد حوله خيالًا.

سألها وهو يستدير ليمشي بشكل جانبي ليتمكن من المرور عبر الجزء الضيق من الطريق: «هل سمعت من قبل عن انقلاب مانهاتن؟».

ضحكت قائلة: «انقلاب مانهاتن؟ يبدو مصطلحًا غريبًا بالنسبة إليّ».

«في المدينة، لا يمكنك حقًا رؤية شروق الشمس أو غروبها؛ لأن المباني المرتفعة تسد الأفق. ولكن هذه الظاهرة تحدث مرتين في السنة حيث يحاذي غروب الشمس شبكة الشوارع الشرقية والغربية في مانهاتن، وإذا وقفت في المكان الصحيح تمامًا - أنا أفضل شرق شارع 42 و43 - يمكنك رؤية ذلك المشهد».

توقفت ثم استدارت وهي تنظر بعيدًا في شرود، كأنها تحاول تخيل يومي غروب الشمس هذين، بعدها هزت رأسها محاولة جعل ذهنها صافيًا، وقالت: «لا أستطيع أن أقرر ما إذا كان مشهد كهذا يبدو فظيعة أم ساحرًا للغاية».

نظر إلى السماء فوقه، التي بدت مع اتساعها كأنها طريق سريع من اللون الأزرق يمتد بين القمم الصخرية الحمراء التي تشبه أسطح المنازل. وقد علق على كلامها قائلة: «ربما كان كلاهما في الوقت نفسه. ذهبت ذات ليلة إلى حفل مع برادلي، وبينما كنت أستعد لاختلاق كذبة بشأن ضرورة أن أعود إلى المنزل، سحبني هو إلى الخارج؛ حيث كان هناك حشد كبير، وبدا المشهد كما لو أن المدينة كلها قد التزمت الصمت في تلك اللحظة، بينما كنا نشاهد غروب الشمس معًا».

سألته: «هل تفتقدها - أقصد المدينة؟».

همهم ليو وهو يفكر: «لا تسيئي فهمي، أنا أحب نيويورك. إنه المكان الذي نشأت فيه، وحيث كانت أُمِّي تعيش، وحيث توجد كورا الآن. وستظل هناك على الأقل مدة شهر أو شهرين آخرين، ولكنني هناك أشعر بقلق دائم. أنا أترقب حصولي على ترقية كبيرة في العمل، وبصراحة، إذا لم أحصل عليها، لا أعرف ماذا سأفعل، ربما سأنتقل إلى العمل في شركة أخرى».

فكر ليو في آخر مرة شاهد فيها انقلاب مانهاتن. لقد كان حينها على موعد مع فتاة يخطط للارتباط بها، لكنه لم يتمكن من تذكر اسمها الآن: ماجي؟ مارجي؟ لقد تأكد من أول لقاء لهما أنه لم يكن هناك أي تناغم بينهما، وعلى الرغم من أن غروب الشمس في تلك الليلة كان جميلاً، فإلا لا يشبه على الإطلاق غروب الشمس هنا: إن السماء تبدو كأنها تشعل شريطاً من النار على حافة الوادي الملتوية، مع وجود مساحة يغمرها الظل، وكان من المنطقي ألا ترغب ليلى قط في المغادرة.

سألته: «هل تعتقد أنك سوف تحصل عليها؟».

«الترقية؟ ربما».

جعلها ذلك تضحك: «لا تبدو متحمساً للأمر. ألا يُعد هذا خطوة جيدة؟».

هز كتفيه وهو يبتسم لها: «يعني ذلك المزيد من المال، ولكن متعة أقل».

قالت بتعقل: «الحصول على المال إنجاز كبير».

«أعتقد ذلك».

شعر بأن ليلى تراقبه، وأدرك تمامًا كيف يبدو الموقف؛ لكن اعترافه لها الآن بأنه منذ بداية هذه الرحلة أصبحت الترقية بالنسبة إليه أشبه بفخ، وأنه لم يعد قادراً على تخيل فكرة العمل في مكان مغلق مرة أخرى، وأن وجوده هنا جعله يرى كم كانت حياته في نيويورك

روتينية وعقيمة حقًا، يعني إقرارًا ضمنيًا بدورها في كل هذا الإدراك. كان الأمر يتعلق بشكل كبير بالوجود قريبًا منها مرة أخرى، وقد طلبت منه بشكل صريح أن يحتفظ بمشاعره لنفسه؛ لذا التزم الصمت.

قضى كل منهما الساعة اللاحقة في تسلق الأحجار الناتئة في صدوع الأودية بين الجدران العمودية، ولم يكن ليو يخاف من الأماكن المغلقة، لكن ما كان يربكه هو عدم قدرته على تحديد اتجاهاته بمساعدة الشمس، أو السماء، أو الجبال. أجبرتهما الطبيعة الصخرية على السير ببطء. ولم تكن مثيرة للذعر بشكل تام، ولكن القلق من أنه لا يوجد سوى مخرج واحد فقط - بالإضافة إلى المجهود البدني الذي كانا يبذلانه - بدأ يثير أعصابه، وبحلول هذا الوقت بدأت فتحة الوادي تتسع مرة أخرى. ظل يتساءل: كيف استطاعت ليلى جعل الأمر يبدو بهذه السهولة؟ لقد كان كلاهما يتنفس بصعوبة عندما توقفا للتحقق من الخريطة؛ لكنها بدت هادئة تمامًا. ولم يلحظ مدى روعة الظل إلا عندما عادا إلى السير في الشمس مرة أخرى، فمد يده نحو قنينة الماء، وكان الهواء جافًا ومليئًا بالغبار.

حاولت مسح جبينها بظهر يدها، وبدت كأنها تشع طاقة وحيوية، فقد كانت بشرتها تعكس البريق الذهبي للصخور حولها. إنها جميلة جدًا، وكان جمالها يخطف الأنفاس. نظرت إليه قائلة: «هل أنت مستعد؟».

أومأ ليو برأسه قائلاً: «نعم». بعدها نظر خلفه قبل أن يأخذ شربة ماء كبيرة، ثم يضع قنينة الماء في حقيبته.

«ما زال علينا أن نواصل الهبوط؛ لكننا سنتبع الطريقة الأسهل. أعتقد أنك متعب بعض الشيء بحيث لا يمكنك النزول بالحبل عبر الجرف»، ثم طوت الخريطة.

«أنا لست متعبًا»، كان يكذب وهو يقول ذلك.

تجاهلت كلامه. وذكرته قائلة: «تتبع خطواتي، ولا تقف على حافة الصخور».

لسوء الحظ، لم تكن لدى ليو مهارة ليلي في الحفاظ على توازنها؛ لذا اضطر إلى استخدام يديه وقدميه وهو يجتاز طريق الهبوط.

سألها: «هل هذه هي الطريقة السهلة؟».

«لن تكون كذلك إذا ظللت تنذمر طوال الطريق».

فتح فمه ليقول شيئًا ساخرًا، ولكن عندما اندفعت سحلية بين يديه، قفز من المفاجأة إلى الوراء فانزلقت قدمه. قبل ثانية واحدة كان في نقطة معينة، وما إن مرت حتى اختفى، سقط سقوطًا حرًا، وتساءل عما إذا كان هذا هو ما شعر به تيري.

أحس بأن الأرض اختفت من تحت قدميه، بينما أرسلته قوة الجاذبية إلى الأسفل نحو منحدر مرقط من الصخر الزيتي والحصى في أقل من ثانية، كان صراخ ليلي يبدو له بعيدًا جدًا. لقد حاول أن يمد يده إلى ما استطاع أن يصل إليه - النباتات والفروع والصخور - فوجد أصابعه تلمس الأوساخ، بينما كان يرى كل شيء مقلوبًا رأسًا على عقب، وفجأة اندفع مرة أخرى إلى أسفل، أحس بتقلص معدته؛ وشعر بأن ساقيه قد انفصلتا عن جسده. لقد جرح شيء ما كفه، وآخر خدش وجهه. وبالكد التقط أنفاسه عندما هبط أخيرًا على حقيبته في قاع... مكان مجهول.

طننت أذناه، بينما ألهب التراب والحصى عينيه، ما أدى إلى تشوش رؤيته. لم يكن يعرف أين هو حتى رأى ليلي، التي اقتربت منه وهي تلهث، وأخذت تمرر يدها في زعر على صدره، وساقيه، ورجليه، ووجهه للاطمئنان عليه.

«ليو...». انقطع صوتها فجأة وهي تدفع حقيبته عن كتفيه، وتتحسس ذراعيه، مع الضغط بأصابعها على رقبتة لتشعر بنبضه: «اعتقدت أنك مت».

حاول أن يجلس، لكن كل جزء في جسده كان يؤلمه، خاصة أسفل ظهره. قال وهو يئن: «ليتنني مت».

«هل تشعر بأن هناك أي كسر في عظامك؟».

نظر إلى يده؛ لقد جرحها شيء ما، ولكن لا تبدو سيئة للغاية. تحسس ما ظن أنه خدش على وجنتيه ثم عبس. تفقد باقي أجزاء جسده: المرفقين، والمعصمين، والركبتين، والقدمين. رأى أنه يستطيع تحريك كل هذا، فقال: «لا أعتقد ذلك».

سقطت على الأرض وأمسكت بيده، وضمتها إلى صدرها، وقالت مرة أخرى بصوت أجش: «اعتقدت أنك مت».

«ليل، أنا بخير». حاول سحب يده لكنها شددت قبضتها عليها، فقال: «مهلاً»، ثم ربت بيده على كتفها قائلاً: «انظري إليّ. أنا بخير».

وأخيراً، أفلتت يده فنظر نحوها. كانت تلك المرأة الفولانية الحذرة تبكي خوفاً عليه.

حوّلت عينيها الدامعتين نحو عينيه على مضض. كان ليو على استعداد لأن يسقط طواعية أسفل هذا التل عشرات المرات إذا كان ذلك سيعني أنها ستنظر إليه هكذا في كل مرة. أضاف: «انظري؟ أنا لست ميئاً. لم أخسر أيّاً من أسناني، أليس كذلك؟» وابتسم.

تجهمت لقوله ذلك، فلم تكن مستعدة للمزاح بعد، وسألته: «أأنت حقاً بخير؟».

اتسعت عيناه ونظر إليها بابتسامة عريضة على الرغم من الألم، وأجاب: «أنا حقاً بخير».

«حسنًا». أخذت نفساً عميقاً وهي ترتجف، وأومأت برأسها وهي تنظر إليه لمزيد من الاطمئنان، ثم قالت بهدوء: «ليو».

نظر نحوها وهو يميل إلى الأمام: «نعم».

قالت وهي تضرب رأسه بخفة: «ألم أقل لك أن تنتبه لخطواتك».

الفصل التاسع عشر

استغرق الأمر عشرين دقيقة لكي يزول تأثير الأدرينالين من جسد ليلى، وعندما حدث ذلك، ذكّرها هدير النهر القوي بأن السير نحو المتاهة من المفترض أن يكون الجزء الأكثر سهولة في تلك الرحلة. تخيلت سماع صوت ديوك الأبحش وهو يقول: هذا هو أسهل جزء في رحلة استكشاف الأخاديد يا عزيزتي. لا تقولي لي إنك غير مستعدة لهذا.

وقف ليو خلفها وهو يعرج، وعبر بكلماته عن أفكارها، حيث قال: «مهلاً، إن هذا النهر أكبر مما كنت أتوقع».

عندما نظرت إلى النهر شعرت ليلى بالقلق، حيث ارتفعت موجاته البيضاء، ثم زاحم بعضها بعضاً وتكسرت، بينما دارت الدوامات الصغيرة في حركة لولبية رشيقة. كما اندفعت المياه، وتدفقت بسرعة رهيبة لتتلاطم مع مجموعة من الصخور. وفي منتصف النهر جرى الماء بشكل أكثر هدوءاً، وعلى الفور أدركت ليلى أن ذلك كان بسبب عمق تلك البقعة.

تخيلت ليلى ردها على والدها: لا يا ديوك، أنا لست مستعدة لهذا على الإطلاق.

فالمراء لا يجازف بحياته من أجل عبور النهر. أجابها والدها بتناقل: هل حزمت أغراضك في حقيبة مقاومة للماء؟

أخذت نفساً عميقاً لتهدئة أعصابها. وتذكرت أن حقائبها مقاومة للماء، لكنها توقعات أن يصل منسوب المياه الهادئة إلى ساقها فقط. لقد كان هذا أحد أسباب تخطيطها العبور من ذلك المكان، حيث أرادت تفادي احتمالية تلف الخرائط أو الهاتف الذي يعمل بالأقمار الاصطناعية، ظلت تفكر فيما إذا ابتلت أغراضها، وتعذر إشعال النار، أو تبديل ملابسها المبتلة بأخرى جافة فسوف...

لم تسترسل ليلي في أفكارها، فلم يسبق لها من قبل أن تخيلت موتها؛ لكنها إذا اضطرت إلى تخيل الأمر، فستقول ما يقوله أي شخص آخر متفائل إلى حد ما: أتوقع أن يباغتني الموت عندما أتقدم في العمر، وبعد أن أعيش حياة مديدة وسعيدة. فهي بالتأكيد لم تتوقع أن تلقى حتفها في النهر الأخضر، وهي تسعى إلى تحقيق حلم والدها المجنون.

خلع ليو حقيبته، وتفحص السحاب والأربطة؛ للتأكد من أن خيمته وكيس نومه كانا مثبتين جيدًا بالأحزمة، ثم خلعت ليلي حقيبتها لتفعل الشيء نفسه.

ومن ثم نظر حوله وقال: «اللون الأخضر أكثر مما توقعت أيضًا».

معظم النباتات لم تكن لتنجو قط من جفاف الصحراء المحيط بالمكان؛ لكن وجود النهر أدى إلى تكون أراضٍ رطبة على ضفتيه؛ حيث توجد أشجار الحور الفريمونتي، وشجيرات الزيتون الروسي، التي تخيم بظلالها على المكان، وكذلك نمت جذور الشجيرات الكثيفة والأعشاب الربيعية وسط الماء المتدفق.

قالت: «لقد كانت سنة ممطرة. ربما لن تبدو الطبيعة بالصورة نفسها الربيع المقبل».

أومأ وهو يتنفس بعمق قائلاً: «دعينا نأمل أن نكون هنا حينها لنرى بأنفسنا». ثم أضاف وهو يحدق نحو أعلى النهر: «حسنًا، يمكننا فعل ذلك». كان بإمكانها أن ترى أنه قد توصل إلى الاستنتاج نفسه الذي توصلت إليه - سيكون الأمر أسوأ كلما اقتربا من ملتقى النهرين - أردف: «علينا فقط التحرك ببطء».

التقطت فرعًا، وألقته في المياه لتقيس سرعة التيار. وعلى الفور غمرته المياه، وأخذ يدور بضع أقدام في اتجاه مجرى النهر قبل أن ينجرف بسرعة نحو دوامة صغيرة قوية، فتنهدت ليلي لرؤية ذلك.

قال: «أرى أن عبورنا من ذلك المكان سيحتم علينا أن ننصب الخيام بعدها في بقعة قريبة لتجفيف أحذيتنا»، ونظر إليها بسرعة وهو يتوقع ما كانت ستجادل بشأنه وأضاف: «يمكننا

التغاضي عن بضع ساعات يا ليل، فنحن لا يمكننا السير بأحذية مبللة، ولا يمكننا عبور النهر حافبي الأقدام».

لقد كان على حق، لكنها كرهت ذلك. كرهت أن الأمر يزداد تعقيدًا، وكرهت فشلها في التخطيط لكل شيء، وكرهت بشدة فكرة أن تفوق رغبتها في الماضي قدمًا رغبتها في التخلي عن الأمر. قالت: «ذلك من شأنه أن يجعلنا نسير فترة أطول غدًا؛ لكنني لا أعرف ما الذي يمكننا فعله حيال ذلك». رمقته بنظرة فاحصة، فرأت أمامها شخصًا يُعتمد عليه على الرغم من أنه يعرج إلى حد ما، سألته: «هل أنت واثق بأنك مستعد للقيام بذلك؟ لقد سقطت من فوق منعطف شديد الانحدار».

«أنا بخير». انحنى ليو وبدأ ثني أسفل بنطاله لأعلى. لقد كان مصنوعًا من نايلون إسباندكس خفيف الوزن باهظ الثمن، وندمت هي لعدم إحضارها شيئًا مماثلًا، ولكن كيف كان يمكنها تخيل حدوث كل تلك التطورات؟

نظرت إلى بنطالها، وحاولت هي الأخرى ثنيه قدر الإمكان كي يبقى جافًا.

ابتسم ليو وهو يقول: «دعينا نذهب».

اقتربا معًا من الحافة، وحدقا إلى نقطة دخولهما المياه العكرة والمظلمة بشكل مقلق.

وذكَرته قائلة: «أرخ الأزيمة التي على خصرك وصدرك».

كانت تعلم أنه إذا تعثر أي منهما، فإن وزن حقيبتيهما العملاقتين يمكنه أن يقلبهما، ويسحبهما إلى الأسفل. أو يمكن لهاتين الحقيبتين أن تعلقا بشيء ما، فيعلقا هما معهما. لقد علمت ليلي أن إرخاء أزيمة الحقيبتين يعني احتمالية فقدان كل ما في داخلهما بسهولة، ولكن بالنظر إلى البديل، تأكدت أن عليها أن تفعل ذلك.

لقد عبرت هذا النهر من قبل مرات عدة، ولكنه لم يكن بهذا الامتلاء، ولم تكن المياه تتدفق بتلك السرعة. لقد كان الوجود في أعماق وادٍ منخفض أمرًا خطيرًا؛ لأن هطول الأمطار يمكن أن يؤدي إلى إغراقهما. وعاصفة الليلة الماضية كانت عنيفة للغاية على الرغم من أنها لم تستمر طويلًا. عندما نظرت ليلى إلى أعلى، استطاعت رؤية بعض الشلالات الصغيرة تتدفق فوق حافة الصخرة الحمراء حيث المكان الذي كانت تقف فيه قبل قليل. أدركت أن الأمر لن يصبح أسهل إذا ظلا واقفين لمشاهدة المنظر.

وضعت ليلى قدمًا واحدة داخل المياه، في مواجهة التيار المتدفق، وأخذت تتحرك بشكل جانبي في المياه. وبمجرد تأكدها من أنها كانت تضع قدمها في موضع آمن، كانت تبقي عينيها على الشاطئ المقابل؛ حرصًا منها على ألا تصاب بالدوار وهي تنظر إلى أسفل نحو الماء بدواماته الصغيرة التي تحوم حول ساقيها.

قالت له: «حاول أن تظل على الحاجز الرملي».

على يمينها، تقدم ليو قليلًا نحو أعلى النهر، فتأثرت بشدة لإدراكها أنه كان يحاول حمايتها عن طريق تخفيف شدة التيار. ومد يده من أجل أن تتشبث بها، وتحركا معًا في خطوات متناقلة صغيرة في المياه التي يصل عمقها إلى الركبة.

وبعد ذلك، على بعد نحو ثلث كيلو متر تقريبًا فقط، سقطا فجأة حتى بلغت المياه منطقة الخصر. أخذ ليو نفسًا عميقًا على إثر ملامسة جسده للماء المتجمد، ونظرت إليه، وهي قلقة. فهما لم يكونا قد وصلا إلى منتصف النهر بعد.

قالت له: «سيتعين علينا رفع أمتعتنا، أمل ألا يكون النهر أشد عمقًا عند منتصفه».

قد يؤدي ذلك إلى اختلال توازنهما، لكنهما إذا تحركا ببطء، فسوف تسير الأمور على ما يرام؛ لذا رفع كل منهما حقيبته بعناية فوق رأسه.

قال وهو ينظر في عينيها بثبات: «خطوة خطوة. هل أنت بخير؟».

أومأت ليلى برأسها، بينما كانت تلقي نظرة خاطفة على الشاطئ المقابل للنهر، وعلى الرغم من أنها لم يكن بإمكانها رؤية القاع، ظلت تنظر من حين إلى آخر إلى صفحة المياه. فقد كان الماء الجليدي يتدفق فوق خصرها ويضرب ضلوعها. كما شعرت بقدمها وهي تلامس الصخور، والفروع الصغيرة، ومخلفات النباتات. وكانت كل خطوة عبارة عن عملية بطيئة يتحركان خلالها إلى الأمام بضع سنتيمترات، ويتحسسان ما حولهما للعثور على موضع ثابت لأقدامهما، وهما يميلان بجسديهما إلى الأمام. شعرت بأن ليو كان لديه التركيز الدقيق نفسه.

كل شيء على ما يرام حتى الآن؛ لكنها على الرغم من ذلك كانت لا تزال تشعر بعدم الارتياح. وبشكل غريزي شعرت بأنها تسمع نبضًا مشئومًا يصدر من قلبها. قالت: «تبدو تلك فكرة سيئة».

تمتم وهو ينظر إلى الجانب الآخر: «يمكننا فعل ذلك، خطوة خطوة، فنحن في منتصف الطريق تقريبًا».

لقد وصلا إلى منتصف النهر، وكانا في أعرق بقعة، ولكن لدهشتهم، ارتفعت المياه بضع سنتيمترات على جسديهما عند منطقة الجذع. نظر ليو إليها بانتصار وقال: «أترين؟ أوشكنا على الوصول».

ابتسمت، لكن صوتًا حادًا خرج من حلقها عندما خطت خطواتها التالية بشكل خطأ؛ حيث انزلقت قدمها على الحافة الزلقة لصخرة حادة. وصرخت وهي تحاول بصعوبة تثبيت الحقيبة فوق رأسها؛ الأمر الذي بدا كتحدٍ كبير بسبب وطأة الوزن الزائد. نظر ليو إليها ليتفقدتها بينما اتسعت عيناه حين قال: «هل أنت بخير؟».

كانت كلمة نعم على شفيتها، لكنها فجأة أدركت أنها ليست بخير؛ لقد اختل توازنها ومالت على جانبها، ولتتحاشى السقوط خطت خطوة جانبية سريعة، ولكن للأسف نتج عن هذه

الخطوة سقوطها وسط دوامة صغيرة، فانحنت لتحافظ على توازن جسدها، لكنها تعثرت في شيء غير مرئي، فانزلقت قدمها، وسقطت إلى الخلف، وغمرتها المياه تمامًا لثوانٍ؛ ما جعلها تلهث.

لوى التيار جذعها، وقلب ساقها، وسحبها معه إلى أسفل النهر، فأصابها الذعر وظلت تركل بقدميها في محاولة منها للوقوف.

عادت ليلي للنهوض وهي تسعل، وأخذت تنظر بعينيها نحو الشمس الساطعة، في محاولة يائسة منها لتحديد موقعها. كان تيار الماء قاسيًا وغادرًا، وظل يندفع نحوها بقوة. فجأة لم تعد حقيبتها المبللة أكثر ما يقلقها؛ لأنه عندما فقدت توازنها وانزلقت باتجاه مجرى النهر، علقت قدمها في كتلة متشابكة من الفروع والصخور. ولم يكن لديها شيء لتتشبث به، ولا شيء يمكنها أن تمد يدها نحوه أو تتعلق به لتسحب نفسها إلى أعلى. خطأ ليو بضع خطوات تجاهها في تلك البقعة المحفوفة بالمخاطر، وهو يمد إحدى ذراعيه نحوها، لكنه لم يتمكن من حمل حقيبته بثبات بيد واحدة. فسحب ذراعه على الفور، وأخذ يحاول المحافظة على توازنه. إذ لو أسقط كلاهما حقيبته في الماء، فسيكون ذلك أمرًا كارثيًا.

قال بصوت ثابت: «ليلي. أخبريني ماذا يحدث».

أجابته: «قدمي عالقة». حاولت أن تخفي في نبرة صوتها الذعر الذي شعرت بأنه واضح عليها على أي حال، خاصة أن الفزع والرعب أفقداها القدرة على التفكير المنطقي. وعندما دفعت ساقها إلى الخلف، في محاولة لسحبها وتحريرها، اكتشفت أن الأمر لا يقتصر على أنها خبطت فقط فوق كتلة متشابكة من الفروع؛ بل كان هناك شيء ما يلتف حول كاحلها، ولن تتمكن من التخلص منه دون أن تفقد توازنها مرة أخرى. ويمكنها أن تنحني إلى الأسفل لتحرر نفسها؛ لكن سيتعين عليها التضحية بحقيبتها، وهي لم تكن مستعدة للقيام بذلك بعد. وأضافت: «لا أستطيع أن أحرر نفسي دون أن أسقط حقيبتي في الماء».

نظر إليها، ثم إلى الضفة الأخرى التي كانت على بعد قرابة ثلثي كيلو متر، ثم عاد للنظر إليها بعينيه الداكنتين وهو يفكر. لقد أخرتهما فوضى ذلك الصباح بالفعل عن البدء، والآن أوشكت الشمس على الغروب، وتبدو مثل كرة بطيئة الحركة معلقة وسط الغيوم. حتى إذا قررا التضحية بالحقيبتين وسبحا إلى الشاطئ - وحتى لو تمكنا بمعجزة ما من الخروج من الوادي قبل غروب الشمس - يظل أمامهما كيلو مترات عدة يجب قطعها في الظلام وهما مبلان، قبل أن يتمكننا من الوصول إلى أي هاتف.

سألها: «هل وضعك مستقر في ذلك المكان؟».

قالت بينما كانت أسنانها يصطك بعضها ببعض: «إذا وقفت ساكنة، أعتقد ذلك».

«سأقترب بما يكفي لألقي حقيبتني على الشاطئ، وبعد ذلك سأعود من أجلك، هل يناسبك ذلك؟».

أومات ليلي برأسها، بينما كانت نظرتها مثبتة عليه. كان الماء يضغط على قدميها، ولم تكن تملك سوى مقاومته بثقل جسدها؛ الأمر الذي خلف لديها شعورًا بأن تيار الماء يتسارع، وكأن ذلك النهر يحاول أن يهزمها. كان الجزء الخارجي من حقيبتها مغمورًا بالماء بالفعل، ولكن ثمة احتمال بأن يكون في الداخل شيء لا يزال جافًا - الهاتف المتصل بالأقمار الاصطناعية، المسدس، يا إلهي، دفتر اليوميات - جعلها تصمم على رفع الحقيبة بيديها المرتجفتين، بينما كان الماء يتساقط على ذراعيها المتعبتين.

أرادته أن يسرع، لكنها في الوقت ذاته شعرت بالقلق من فكرة اندفاعه للوصول إلى هناك والعودة، ومن احتمالية تعثره. كانت تخشى أن يعلق هو أيضًا، ومن ثم يصبحان محاصرين معًا ولا يستطيع أي منهما الوصول الآخر. لقد عاودها تفكيرها المحموم الذي شعرت به سابقًا: إذا حدث له أي شيء فلن تعرف ماذا ستفعل. رفعت ذقنها متجاهلة التسارع الكبير لنبضها، وأخذت تحثه على التحرك قائلة: «كن حذرًا».

«سأفعل». ألقى نظرة أخيرة عليها، ثم التفت إلى الأمام، خطوة واحدة، ثم أخرى، ثم أسرع الآن، كان على استعداد لتحمل مخاطر لم يكن يجرؤ على القيام بها من قبل. انزلت قدمه مرات عدة؛ لكنه تمكن من استعادة توازنه. وشاهدته ليلي وهو يحاول بعضلات ذراعيه المتشنجة استخدام الحقيبة لحفظ توازنه. وكانت تشعر بضيق في صدرها. ثم تعثر ليو، وكاد يسقط إلى الأمام، فصرخت باسمه. شعرت بأن الذعر يستولي على كيانها، كما تسلس الإحساس بالبرودة والفرع إليها عندما أدركت أنها لم تعد قادرة على حمل الحقيبة بذراعيها، ومن ثم وضعتها فوق رأسها حتى لا تسقطها بشكل كامل.

أخذت تتنفس بعمق: شهيقًا وزفيرًا.

غير أن مشاهدتها إياه لم تكن تساعد على الإطلاق؛ بل جعلتها أكثر فزعًا. فكرت في قرارة نفسها: كل ما يمكنني التحكم فيه هو نفسي. ليو بارع وهادئ حتى عندما يتعرض للضغوط. ويجب أن أبقى ساكنة، حتى يأتي من أجلي. حاولت ليلي الاسترخاء، وهي تدفع من عقلها الأفكار التي كانت تصور لها مدى ضعفها واعتمادها عليه. فتحت عينيها عندما سمعت صوت حقيبته وهي تسقط على الأرض بأمان بين تجمعات المريمية المتشابكة، بعدها استدار هو على الفور، مستخدمًا ذراعيه ليدفع نفسه بسرعة وهو يخطو بقدميه على سطح النهر غير المستوي.

وفي الأسفل، تغير شيء ما: فجأة تحررت قدمها، لكنها لم تكن تقف بشكل ثابت، فقد كان النهر المنتصر يسحبها إلى الأمام، حيث جذب ساقيها مرة أخرى، وسحبها بعيدًا عن ليو، كان آخر ما لمحته هو عيناه، وهي تحدق إلى حالة من الصدمة، وحروف اسمها وهي تتشكل على شفثيه. ملأ الماء البارد فمها وعينيها، وظلت تقاقل من أجل البقاء على السطح، فبصقت المياه، وسعلت كثيرًا قبل أن تصطم بقوة بصخرة. بعدها خُيِّل إليها أنها رأت ضوءًا يظهر فجأة، وأدت الصدمة إلى شعورها بأنها غير قادرة على التنفس. وارتفع الماء وضرب جسدها بقوة حتى وصل إلى رقبته، فحاولت تثبيت نفسها على الصخرة.

لم تستطع ليلي رؤية أي شيء، أو التفكير في أي شيء باستثناء أنه ربما كانت تلك هي الطريقة التي ستموت بها. واستغرقت ثانية في حديث مع نفسها: أتمنى أن يجد ليو المال، أمل أن يجده ويشتري المزرعة تكريمًا لذكراي ويعيش هناك بمفرده مع الخيول ونيكول. أمل ألا ينساني. أطلقت ضحكة تحولت إلى نحيب عندما اندفع ليو في الماء لتجده أمامها، كان شعره يغطي عينيه، وفي ظل ضوء الشمس بدت حبات الماء المتناثرة على أطراف رموشه المتشابكة كأنها نجوم صغيرة متألئة. مد يده إلى الأمام ليسحبها بعيدًا عن الصخرة، ورفعها هي وحقيبتها المشبعة بالماء على ظهره، وتقدّم إلى الأمام خطوة خطوة ضد التيار القوي عازمًا على الوصول إلى الشاطئ.

أخيرًا وصلا إلى الشاطئ، ومدد ليو ليلي على العُشب، وزحف خلفها، ثم احتضن وجهها بينما كانت تسعل فيخرج الماء من فمها بدلًا من الهواء.

كانت في حالة هستيرية بعد أن وصلا إلى اليابسة، بالإضافة إلى معاناتها وتنفسها بصعوبة، ومع زوال الصدمة بدأت تفهم: لو لم يصل إليها ليو في تلك اللحظة لغرقت.

قال لها بلطف: «ليلي، تنفسي يا عزيزتي. لا بأس. أنتِ في أمان الآن».

راودتها فكرة كيف كان من الممكن أن ينتهي كل شيء هناك في النهر، ومن أجل ماذا؟ حفنة من المال؟

قالت بصعوبة: «ما الذي نفكر فيه، إننا نتصرف بحماقة».

«إننا نحاول استعادة مزرعتك، وهذا هدف يستحق تحمل القليل من متاعب ذلك النهر».

وعلى مضض أطلقت ضحكة ساخرة وهي تقول: «لقد اعتقدت ثانية أنني حقًا سأموت هناك».

ومن خلال الطريقة التي نظر بها إليها، استطاعت ليلى أن تخمن وهي تتأمل ملامحه أنه
ظن الشيء نفسه. قال لها: «لقد تركتك تذهبين في الماضي. فهل تعتقدين أنني سأسمح
بحدوث ذلك مرة أخرى؟».

الفصل العشرون

بعد برهة قصيرة، كان وقع كلمات ليو لا يزال يتردد حولهما، بعدها ابتسم لها وابتعد.

تمتم قائلاً: «يجب أن تجففي ملابسك».

صعدا نحو ضفة النهر، وبدأ ليو على الفور جمع العصي والأغصان لإشعال النار. أرادت ليلي مساعدته؛ لكنها شعرت بأنها مصابة بالشلل ربما بسبب ما مرت به من تجربة الاقتراب من الموت في النهر، أو ما قاله لها قبل قليل، أو واقع ظروفهما الحالية. هكذا للمرة الثانية في اليوم نفسه، تدفق طوفان من الأدرينالين في عروقها، لتشعر فجأة برعشة قوية لدرجة أنها لم تكن تستطيع أن تخطو خطوة أخرى إلى الأمام إلا بعناء، فأغلقت عينيها، وأطبقت فكيها، وهي تحاول أن تجمع شتات نفسها.

رفع ليو كيس النوم بينهما لكي تخلع ملابسها دون أن يراها.

حدثها قائلاً: «قد يستغرق الأمر ليلة لتجف ملابسك المبتلة. يمكنك خلالها ارتداء ملابس الجافة».

حدقت إليه ليلي وهي تنظر إلى أعلى نحو الحقيبة قائلة: «ليو، أنت لن...».

«أنتِ ترتجفين بشدة، وقد تسقطين أرضاً. وتعلمين أن الجو سوف يصبح بارداً بمجرد غروب الشمس». حوّل وجهه بعيداً عنها وهو يقول لها: «أعدك بأنني لن أنظر نحوك».

قامت ليلي بسحب قميصها المبلل إلى أعلى ثم مررته فوق رأسها، بينما كانت تشعر بالضعف وعدم الاتزان. ونزعت أيضاً جواربها لتكشف عن قدميها الشاحبتين من أثر تعرضهما للماء. بعد تردد قصير نظرت إليه فوجدت أنه لا يزال ينظر بعيداً.

قالت بهدوء: «حسنًا».

قال وهو مغمض العينين بينما كان يوجه وجهه بعيدًا عنها، ويمد يده ليناولها ملابسه الاحتياطية المطوية: «ها هي، ارتدي تلك الملابس».

ظهر بعض الاحمرار على رقبتة ووجنتيه، وكان يشعر بالنبض القوي لعروق رقبتة.

قالت بعد أن ارتدت الملابس: «حسنًا، يمكنك أن تنظر نحوي الآن».

تقدم ليو إلى الأمام، ولف كيس النوم حول كتفها، ثم انحنى والتقط الكومة الرطبة من ملابسها وقميصه، وابتعد عدة أمتار ونشرها على حجر مسطح كان لا يزال دافئًا بعد أن تشبع بحرارة الشمس الغاربة. وبعدها أخرج خيمتها وكيس نومها من حقيبتها، ووضع كلاً منهما على الأسطح الصخرية الدافئة. ورتب حذاءه وحذاءها في صف واحد، وبدأ بعد ذلك فحص حقيبتها، رأى أنه على الرغم من أن لحم البقر المقدد كان مبتلاً، فإن الهاتف، والمسدس، ودفتر اليوميات - التي كانت موضوعة بحرص في المنتصف بين الأغراض الأخرى - كانت لا تزال جافة ومحفوظة بشكل آمن داخل كيس زيبلوك البلاستيكي.

قالت بهدوء: «حمدًا لله».

«نعم حمدًا لله».

أخذ يرتب المكان من حوله، وظلت هي تحديق إليه وتتأمله.

ظلت تراقبه وهو يخطو بحذر شديد حافي القدمين حول مخيمهما المؤقت، وبعد لحظات ذهب مرة أخرى لجمع الفروع، والأغصان، والعشب الجاف.

وبمجرد أن شعرت بأن ساقها قد تحسنتا، توجهت نحو حقيبته الجافة، وسحبت خيمته.

قالت: «أعتقد أنه سيتعين علينا مشاركة تلك الخيمة».

ابتسم ليو لها من مكانه بينما كان يمسك بيده الحجر الصوان، ويشعل النار: «سوف أنصب أنا الخيمة. مهمتك هي أن تجلسي هناك وتراقبيني».

شعرت بحرارة تغمر وجنتيها، وتساءلت عما إذا كان يحاول إزعاجها انتقامًا منها لرفضها مساعدته من قبل في نصب خيمتها، أم أنه يحاول أن يثبت لها أن بإمكانه القيام بروتين رجل الجبل القاسي.

إلا أنها قررت تجاهل هذه الأفكار تمامًا. جلست على صخرة، وأخذت تستمتع بمشاهدته. وقد أشعل النار بعناية، وأحاطها بدائرة صغيرة من الحجارة. وبمجرد أن اطمأن إلى أنها لن تنطفئ، جلس قبالة ليلي، ومد يديه نحو النار لتدفئتهما.

سألته، وهي تشير إلى كيس النوم: «هل تريد هذا؟».

«لا لست بحاجة إليه». أمعن النظر في عينيها، ثم أضاف: «صدقيني».

كانت درجة الحرارة عالية إلى حد ما، ولكن مع اختفاء نسيم الهواء لم يكن الطقس سيئًا على الإطلاق. وعلى الرغم من أن جسدها توقف عن ارتجافه العنيف، فإنها ظلت تشعر بحمى خفيفة، فسحبت كيس النوم بقوة حول كتفيها.

سألها وهو يضحك: «هل ترغبين في تناول لوح بروتين في وجبة العشاء؟».

انحنت وهي تبحث في حقيبته قائلة: «لحسن الحظ لدينا الكثير جدًا منه»، ثم سحبت اثنتين، وقذفت أحدهما نحوه من فوق أعمدة النيران المتصاعدة.

أمسك به وهو ينظر إليها مندهشًا وقد اتسعت عيناه: «أنتِ تحبين الحياة المليئة بالمغامرات».

«أنت تعرفني، ثم إنني كنت على وشك الموت قبل قليل، فلا يمكن لشيء أن يهزني الآن. ولكن ماذا عنك؟ لقد ألحقت ضررًا كبيرًا بنفسك اليوم».

قام ليو بتمزيق الغلاف الخارجي للوح البروتين، وقضم قضة منه، ثم نظر إلى الجروح والخدوش على جسده، وقال: «سوف تشفى».

«أسفة لأنني أسقطت حقيبتني في النهر».

هز رأسه وهو ينتهي من تناول لوح البروتين، وقال: «أنتِ على قيد الحياة - وهذا هو المهم، وتلك الأغراض سوف تجف».

«ولكن ليس بحلول وقت النوم».

قال ليو بينما كان ينحني إلى الأمام، ويقلب الخشب في النار لجعله يحترق بشكل أفضل: «يمكنك استخدام كيس النوم الخاص بي».

وبينما كان يحدق إلى النيران، كانت هي تحديق إليه. وسألته: «حقاً؟». لقد كان دائماً شخصاً هادئاً جداً، وذا شخصية مرنة. أدركت وهي تراقبه أنه كان يواجه التحديات كما لو كانت جزءاً من الأحداث المتوقعة لمسار حياته. وعلى النقيض، كانت تستاء من كل عقبة صغيرة تعترض طريقها.

ربما لن تضرها محاولة الاستمتاع بالمغامرة بدلاً من الغضب بشأن احتمالية إخفاء والدها الكنز عنها، ففي النهاية لن تستطيع تغيير الماضي.

سألته: «هل أنت بخير حقاً؟ هل تشعر بأي ألم؟».

كانت ليلي ترى بعض الخدوش في ذراعه اليسرى، وكدمة بادية فوق ضلوعه.

أوماً برأسه نحو النار مبتسماً: «لقد كان يوماً صاخباً ومحفوفاً بالمخاطر».

ضحكت من كلماته، فنظر إليها مسروراً وسعيداً لسماع صوت ضحكتها. فخفق قلبها وهي تنظر إليه؛ حيث كانت تستطيع بمجرد النظر إليه أن تعرف ما يشعر به في أعماق نفسه،

وكم كان ذلك غريبًا، أكد هذا المشهد أنهما لم يتغيرا على الإطلاق، ومشاعر أحدهما تجاه الآخر لم تتغير.

كانت تقول لنفسها، لا تقعي في حبه مرة أخرى.

قال لها: «ستدبر أمرنا الليلة وننام في خيمتي، سأقدم إليك معروفاً، فلا تنسي ذلك».

قطعت جزءاً من لوح البروتين الخاص بها وألقته نحوه.

ولكن بدلاً من أن تضربه به في جبهته كما كانت تخطط، تفاداه والتقطه بفمه.

صرخت ليلي وهي تشير نحوه: «لا أصدق ما رأيته!».

لقد كان فخوراً جداً بنفسه، وبدا الأمر مضحكاً: «هل رأيت ذلك!».

قالت: «حسناً، ولكن هل يمكنك القيام بذلك مرة أخرى؟»، ثم رمت قطعة أخرى، لكنها

قذفتها بطريقة مختلفة تلك المرة، فهبطت على ذقنه مباشرة.

هز رأسه، ووضع يديه على فخذيته: «تلك كانت رمية سيئة، لن تُحتسب».

«حسناً، حسناً».

حاولت مرة أخرى. كانت رمية مرتفعة، وكان عليه أن يميل ناحية اليمين؛ لكنه في النهاية

أمسك بها وقضمها وهو فخور بنفسه.

سألته وهي تنحني لتأخذ قضمة لنفسها: «من كان يعلم أنك موهوب في فن التقاط قطع

الطعام؟ لا بد أنها مهارة جديدة».

أوماً برأسه وهو يفتح لوحاً آخر من ألواح البروتين: «أنا شخص مليء بالمفاجآت».

فكرت في أعماق نفسها: نعم هذه هي الحقيقة، ثم ظلت تحديق إليه طويلاً.

ومع ذلك، كان عليها أن تظل حذرة: عليها أن تحافظ على تركيزها، ولا تفكر في أنها تجلس هنا وحيدة مع ليو وسط البرية. فبعد كل شيء، هما لم يأتيا إلى هذا المكان للاستمتاع، فأصدقاؤهما يعتمدون عليهما، ومستقبلها متعلق بذلك الأمر.

لكن عندما نظر إليها مبتسماً بخجل، تبخرت كل الأفكار العقلانية من رأسها، ووجدت نفسها تندفع قائلة: «إنني أستمتع بجلوسنا هنا معاً في الهواء الطلق».

ابتسم لها وقال: «وأنا أيضاً».

«هل ما زلت تشعر بالبرد؟».

هز رأسه: «أنا في أحسن حال».

ترى هل كان حقاً بخير؟ نظرت إليه ليلي متسائلة عما إذا كان يتظاهر بأنه على ما يرام.
«ما الأمر؟».

هزت رأسها مبتسمة: «لا شيء»، حولت انتباهها إلى طعامها، وقالت: «أنا سعيدة لأنك لا تشعر بالبرد».

نظر إليها وقال: «هل تريدين أن أبدأ نصب الخيمة؟».

«نعم».

«لم أفهم قصدك».

«لا عليك».

أشاحت بوجهها، والتقطت لوح بروتين؛ لكنها شعرت بأنه يصب تركيزه عليها حين قال:
«حسنًا، سأتولى هذا الأمر».

قالت له ليلي: «شكرًا لإنقاذك حياتي في النهر».

رد عليها قائلاً: «شكرًا لأنك ساعدتني عندما سقطت سابقًا».

«هل تعتقد أنني كنت قاسية عليك في بداية الرحلة؟».

أوما برأسه بالإيجاب وانحنى إلى الأمام.

«يجب عليّ أن أجهز المخيم».

كانت تعلم أنها يجب عليها مساعدته؛ ولكنها لم تفعل، وقضت الوقت في الاستمتاع بمشهد الغروب الذي كسا السماء بحلة من الضوء البرتقالي تتخللها أشعة الشمس الأرجوانية، وكان صوت طقطقة الحطب المتقد يضيء على المكان إحساسًا بالسلام والطمأنينة، وكان ليو يهتم بالأمر وحده دون أن يطلب مساعدتها، وبدا ذلك المشهد كأنه حلم، أو ربما تخيلات لم تظن قط أن عقلا يمكنه نسج مثلها.

وبمجرد أن نصب ليو الخيمة وكيس النوم والفراش، أحست ليلي بارتخاء جسدها. وكأن عظامها تذوب؛ وكل ما تمنته في تلك اللحظة هو التمدد على فراش حقيقي، وأن تفرق في النوم. قام الاثنان بالطقوس اليومية التي تسبق عادة الخلود إلى النوم: تنظيف الأسنان، وإعادة ملء القنينات بالماء، ومعالجتها بأقراص التنقية. فحص ليو ملابسهما، وطمأنها إلى أن كل شيء سيكون جافًا في الصباح. وبينما كانت الشمس تودع السماء وتلقي بنظرتها الأخيرة على الوادي، بدا أن درجة الحرارة قد انخفضت على الفور. فتح ليو غطاء الخيمة الصغيرة وأشار إليها لتدخل.

دخلت الخيمة ورأت أن كيس النوم كان في الحقيقة لا يكفي سوى شخص واحد.

سألته: «هل يمكننا فكه واستخدامه بطانية؟».

مد يده ليحك الجزء الخلفي من رقبته وأجاب: «يمكننا المحاولة. أنا فقط قلق من أنه لن يبقينا دافئين. خاصة أن الحرارة قد بدأت تنخفض مرة أخرى إلى ما دون الخمس درجات مئوية. توقف ليو لحظات ثم قال: «استخدمي أنت كيس النوم، وأنا سأنام هنا بجوارك».

استغرقت في التفكير: ثرى هل يمكنها الغرق في حبه مرة أخرى، ولكن ماذا سيحدث بعد ذلك، هل يمكنه رفض الترقية، وترك نيويورك، والانتقال للعيش هنا؟ كيف يمكنها التكيف مع فكرة وجوده في حياتها اليومية مرة أخرى، وارتباطها بهذه العلاقة، إن الفكرة نفسها جعلت نبضها يرتفع بسرعة.

نظرت إليه في حرج: «حسنًا سأنام أنا في كيس النوم، واستلقِ أنت على هذا الفراش».

«حسنًا».

«ألن تشعر بالبرد؟».

«أنا بخير، لا تقلقي».

كان الهدوء يخيم على المكان، ولم تسمع سوى صوت تدفق مياه النهر، توقعت أن يستغرق استسلامها للنوم وقتًا طويلًا؛ ولكن غلبها النعاس على الفور.

وفي حلمها كانت تتردد كلمات ليو التي صرح بها من قبل: «أحبك، ولا أعتقد أنني توقفت مطلقًا عن حبك».

الفصل الحادي والعشرون

بعد مضي بضع ساعات، استيقظت ليلي، وأخذت تحديق إلى الخيمة، وتفكر في كل ما مرت به في حياتها؛ في الماضي وما يطويه بين صفحاته من ألم وحزن، وفي المستقبل المجهول الذي ينتظرها، تنهدت إثر شعورها بالعجز وقلة الحيلة، وفي هذه اللحظة وجدت أن ليو قد استيقظ أيضًا.

سألته وهي تهمس: «هل استيقظت أنت أيضًا؟».

أجابها بصوته الأجش ونبرته العميقة: «نعم».

«كم الساعة الآن؟».

«أعتقد أن الوقت يقترب من منتصف الليل».

«لا يبدو أنك استطعت النوم على الإطلاق».

تنحى ثم قال: «أواجه صعوبة في النوم».

سألته بهدوء: «بسببي أنا؟»؛ لكنه لم يقل أي شيء، فسألت مرة أخرى: «ليو؟ هل أنا السبب؟».

أقر ليو أخيرًا: «نعم».

رفعت رأسها: «هل جسدك يؤلمك؟».

«أنا على ما يرام». ابتلع ريقه وحاول أن يضحك قائلاً: «المشكلة ليست في الألم الجسدي».

«معك حق».

استغرقت في التفكير لحظات.

وقد جعلها الظلام أكثر جرأة، فسألته في استياء: «هل لديك حبيبة أو زوجة؟».

تجمد في مكانه، ثم قال: «هل أنتِ جادة؟ بالطبع لا يا ليلي».

على الفور، شعرت بالحماسة، وقالت: «أسفة. لقد كان هذا سؤالاً غيبياً».

ضحك ثم قال: «هو كذلك بالفعل»؛ ولكن بعد ذلك تنحج، وسألها بدوره بعدما خطر له خاطر مقلق: «هل يوجد شخص ما في حياتك؟».

قالت: «لا، فمن الصعب إيجاد شخص مناسب في مجال عملي، فكل من ألتقي بهم هم مجرد...».

«مجرد ماذا؟».

«سأحين». لم تكن تريده أن يعرف كيف كانت حياتها العاطفية مثيرة للشفقة.

تجمد ليو في مكانه، ولم ينطق بكلمة.

سألته: «ماذا عنك؟ هل حاولت الارتباط؟».

«هل حقًا تسأليني هذا السؤال الآن؟».

«نعم؟».

تنفس ببطء ثم قال: لقد حاولت لكن ليس كثيرًا».

«رائع».

«برادلي سيسره أن يخبرك بأنني أعاني رهاب الارتباط والالتزام؛ لكن الأمر ليس كذلك». ظل صامتًا، ومع عدم وجود أي شيء آخر حولهما يمكنها ملاحظته، كان من المستحيل ألا تلاحظ أن نبضات قلبه كانت تتصاعد وهو يقول: «أعتقد أن المشكلة هي أنني لست الشخص الذي يقع في الحب أكثر من مرة».

والآن كان نبضها الذي يتسارع، فقد كان لكلماته ودلالاتها وقع قوي عليها.

لكنها سألته على أي حال: «ماذا تقصد؟».

«أعني أنني وقعت في الحب مرة واحدة فقط، ولم أنس ذلك الحب».

«ليو...».

«لست مضطرة إلى أن تبادليني الشعور نفسه، فأنا فقط أوضح موقفي. أعتقد أنه من المهم عدم ترك هذا الموضوع معلقًا»، ثم أضاف بعد لحظات من الصمت: «لكن لا أظن أن هذا هو أفضل توقيت لقول ذلك... فقبل قليل كان كلانا على وشك الموت. يا لحماقتي! آسف».

كانت الأفكار في رأسها ضبابية للغاية، بينما كان جسدها منهكًا؛ لذلك شعرت بأنه من الصعب عليها التفكير بشكل منطقي في المستقبل؛ ولكن حتى إذا افترضنا أنها استيقظت من فورها من نومها في الصباح، وفي يدها فنجان من القهوة، فمن المؤكد أنها لم تكن لتعرف الكلمات الصحيحة التي يجب عليها قولها. هل كان يعتقد أن من الممكن أن تنجح علاقتهما؟ حياته ومستقبله في نيويورك، أما هي فتعيش وتعمل هنا. والعيش وسط الطبيعة الشاسعة في الهواء الطلق يمثل الماء والهواء بالنسبة إليها، ومن ثم هي ليست على استعداد لأن ترسم حدود حياتها بشكل يناسب حياة أي رجل مرة أخرى.

شعرت بأنها تستطيع السماح له بالدخول في عالمها، فهي أولاً وأخيرًا تتمنى تأسيس علاقة تدوم سنوات؛ لكنها شعرت بأن ذلك مستحيل، فكل واحد منهما ينتمي إلى عالم مختلف.

قال: «بينما أستلقي هنا في الظلام، أحاول أن أتخيّل عودتي إلى حياتي السابقة كما كانت في الأسبوع الماضي؛ لكنني لا أستطيع كذلك تخيل كيف سيبدو ذلك».

«ماذا يعني ذلك؟».

«لا أعرف ماذا يعني ذلك بالضبط. أعتقد أن ذلك يعتمد على ما تريدينه أنت».

قالت: «أنا لا أعرف حقًا ماذا أريد، فحاول أن تنام يا ليو».

«سأفعل».

الفصل الثاني والعشرون

استيقظ ليو بينما كانت ليلي تخرج من كيس النوم متذمرة، وهي تقول: «تَبَّا، تَبَّا، تَبَّا».

فتح عينيه بصعوبة، وبدا أنه يريد أن ينام فترة أطول.

قال لها: «صباح الخير».

أجابته بنبرة متوترة وباقتضاب: «صباح الخير».

سألها: «ما الأمر؟».

أشارت إلى يده: «انظر إلى ساعتك».

رفع ذراعه ثم نظر في الساعة: «تَبَّا».

«ها قد فهمت».

لم يدركا كيف انقضى الصباح بتلك السرعة، فقد تجاوزت الساعة التاسعة والنصف.

قالت: «ليست لديّ أدنى فكرة كيف استطعنا أن ننام حتى ذلك الوقت».

«كان المكان دافئًا ومريحًا».

«أي دفاء أنت لم تنم في كيس النوم». دفعت شعرها خلف أذنيها وأردفت: «أنت غريب

حقًا». ثم خرجت من الخيمة.

تبعها وتمطى تحت أشعة شمس الصباح، واستمتع كثيرًا بهواء الصحراء وهو يلامس

بشرته؛ لقد كان شعورًا مذهلاً حقًا.

تفقدنا ملابسهما التي كانت على الصخور، فوجدنا أنها قد جفت.

قالت ليلى: «من المفترض أن تبلغ الحرارة اليوم ثلاثين درجة مئوية تقريبًا، ولدينا ما يقرب من 7 كيلو مترات لنقطعها سيرًا على الأقدام».

قال لها: «7 كيلو مترات، سنقطع هذه المسافة في ساعة واحدة، أو ربما في ساعتين إذا توقفنا للحصول على بعض الماء».

«لن نتوقف».

نظر ليو إلى حيث كانت تجلس على الصخور، بينما كانت ترتدي الجورب والحذاء. وجوده بالقرب منها منحه شعورًا لا يوصف بالسعادة.

كان لديه الكثير ليخبرها به؛ لكنه لم يفعل. إن أشياء مثل كيف كان يفكر في التخلي عن حياته التي اعتادها ليكون قريبًا منها فقط. وعلاوة على ذلك، صارت حياته مختلفة الآن؛ إذ لم تعد تربطه الصلة ذاتها بنيويورك، فقد اختلف الأمر عما كان عليه حين وفاة والدته. غير أنه يشعر بالقلق إزاء كيف سيعيش، وكيف يمكنه أن يكسب قوته إذا انتقل للعيش بالقرب منها. إن ليو شخص منظم ويعمل بجد. في الحقيقة، إذا أراد أن يبحث عن أي عمل وليس وظيفة ذات مستقبل، فربما يكون ذلك أسهل نسبيًا، فهو لن يحزن على ترك العمل المكتبي؛ فمحاولته باستمرار التغلب على بعض أفضل مخترقي الحاسوب في العالم كانت تحديًا ممتعًا في البداية؛ ولكن في السنوات القليلة الماضية، أصبح يواجه حقيقة أنه حتى لو قام بإنشاء الشفرة المثالية، فسيتعين عليه إنشاء شفرة جديدة في الأسبوع التالي؛ ما يعني أن وظيفته كانت قد بدأت تفقد بعضًا من بريقها السابق. وحتى لو سمح له حصوله على الترقية القيام ببعض الإبداع؛ فإن ذلك يعني حضوره الاجتماعات لمدة عشر ساعات يوميًا. وذُكر نفسه بأن الهدف من ذلك التغيير والانتقال للعيش هنا هو أن يكون بالقرب من ليلى. وهو يرغب في الوظيفة بوصفها وسيلة لتحقيق غاية، وسيلة لكسب المال الكافي لتأمين حياته؛ لكن الحياة لن يكون لها معنى أو قيمة إذا لم يعشها بجوارها.

نفذ بعض الأوساخ عن جوربه، ثم توقف وحدّث نفسه قائلاً: تمهل يا ليو. حتى والتر ربما كان سيطلب منه أن يتمهل قليلاً. كانت ليلي تحزم كل شيء بسرعة وبشكل منهجي، بينما انشغل ليو بارتداء ثيابه ببطء مستغرقاً في التفكير في شكل حياتهما معاً إلى آخر العمر؛ لكنه لم يكن يعرف ما إذا كانت تريد ذلك أم لا.

سألته في اللحظة المناسبة، وقد بدا عليها بعض الغضب: «هل يمكنك طي الخيمة؟».

وفي دقائق، قام بتفكيكها ووضعها في مكانها، وفرشت ليلي الخريطة على صخرة وقالت: «ستكون هناك بعض الصخور الكبيرة الخطرة جدًّا هنا»، وأشارت إلى مكان على بعد كيلو متر تقريباً، وأضافت: «لكن ليس هذا ما أشعر بالقلق حياله».

انتظر، لكنها لم تشرح أي تفاصيل. وأخيراً سألتها: «ما الذي يقلقك؟».

أخذت ليلي نفساً عميقاً، ونظرت إلى الخريطة: «أنا قلقة من فكرة عدم وجود الكوخ من الأساس. لقد كان قديماً ومتهاكاً حين ذهبت إلى هناك آخر مرة، أي قبل عشرين عاماً؛ بل إن الصورة قد التقطت قبل مدة كبيرة من ذلك».

قال: «حتى لو تهدم، فالجذل سيظل موجوداً هناك، وعلى الأقل هناك احتمال، أليس كذلك؟».

«معك حق، ولكن من الصعب جدًّا العودة بالزمن إلى الوراء، وتذكر مكان جذل الشجرة، فالعثور على الكوخ سيكون أسهل كثيرًا».

«فهمت قصدك».

تناولا عددًا قليلاً من ألواح البروتين، واحتسبا كميات كبيرة من القهوة سريعة التحضير الدافئة، ثم انطلقا في طريقهما. وعلى الفور فهم ليو لماذا كانت ليلي في عجلة من أمرها؛ فبحلول الساعة 10:15، صار الجو حارًّا جدًّا، كأنه الجحيم، وجافًا أيضًا بطريقة جعلته

يشعر بأن بشرته كانت مشدودة. وتمثّل الجانب الإيجابي فيما يلي: إنها كلما وجدا بقعة من الظل، كان بإمكانهما الوقوف فيها فيشعران بأن درجة الحرارة قد انخفضت على الأقل عشر درجات. أما الجانب السلبي: لم يكن هناك الكثير من الظل في هذا الجزء من المتاهة، وعندما وصلا إلى الجزء الذي يوجد فيه ظل كانت الشمس هي أقل ما يقلقهم: بعض الأجزاء كانت وعرة وضيقة للغاية، لدرجة أنها إن دلفا إليها يمكن أن يموتا من العطش أو من ضربة شمس قبل أن يتمكنوا من الخروج منها.

وبعد نحو ساعة كاملة من المشي البطيء على الصخور، واجتيازهما ممرات ضيقة عبر الشجيرات الصحراوية الشائكة - استدارت ليلي نحوه وهي تقول: «هل يمكننا أن نتحدث عن ذلك؟».

ابتسم ليو خلفها. كانت تعلم ألا يطرح الموضوع مرة أخرى. وكان يتساءل عما إذا كانت قد استغرقت ساعة كاملة لتسأل هذا السؤال البسيط. أجابها: «نستطيع بالتأكيد».

قالت بصراحة: «لا أريد أن أخرج مشاعرك». أشعرته كلماتها بالتوتر، كانت في الواقع بداية عظيمة. أردفت: «إذا كنت قد أزعجتك بكلامي الليلة الماضية، فأنا حقًا آسفة».

خفضت كتفيها بينما كانت تشق طريقها نحو أعلى صخرة، ثم مدت يدها لمساعدته؛ لكن ليو كان طويلًا بما يكفي للوصول إلى القمة، وسحب نفسه إلى أعلى قائلاً: «أنا بخير، شكرًا».

توقفت لالتقاط أنفاسها عند القمة، ونظرت إليه نظرة خاطفة بينما كانت الشمس ترسل أشعتها خلف ظهره: «هل كانت تلك الإجابة تتعلق بما قلته أم أنها تعليق على محاولتي مساعدتك لتسلق الصخرة؟».

قال: «إنها تتعلق بالصخرة. فما زلت أفكر في كلامك». بعدها أخرج قنينة الماء من حقيبته، وأخذ رشفة طويلة ثم اعترف قائلاً: «لا أدري إلى أين سيمضي بنا ذلك الحديث؛ لذا ربما

من الأجدد بك أن تخبريني بكل شيء. فقد أخبرتك بالفعل بموقفي».

سألته: «إذن هل كان ما قلته صحيحًا - ما قلته الليلة الماضية؟».

«عن أي جزء تتحدثين؟».

احمرت وجنتاها وتحولّ لونها إلى الورد. كان عليها أن تستدير وتواصل المشي قبل أن تتمكن من الإجابة: «تلك الكلمات التي قلتها عن كيف وقعت في الحب منذ عشر سنوات ولم تنسَ حبك هذا قط».

«نعم». قفز فوق بعض الصخور ليلحق بها، ثم أضاف: «هل يمكننا التوقف من فضلك؟».

رضخت، واحتمت بالظل المتكون بين عمودين كبيرين من أعمدة الحجر الرملي الأحمر.

قال ليو، وهو يتبعها نحو البقعة الظليلة والباردة: «أود أن ينظر أحدهنا إلى الآخر ونحن نجري تلك المحادثة». اتكأت ليلي على أحد العمودين وأسند هو ظهره إلى العمود الآخر في مواجهتها وأردف: «أريد أن أوضح لك أنه لا توجد مشكلة إذا كنتِ لا تبادليني الشعور نفسه».

عضت شفتها، وفي لحظة دمعت عيناها، فنظرت بعيدًا لتخفي دموعها وهي تقول: «أعتقد أنني ما زلت أحبك».

خفق قلب ليو بشدة حتى ظن أنه هوى من مكانه من فرط شعوره بالسعادة الغامرة. وقاوم رغبته في رفع قبضتيه إلى أعلى في إشارة لانتصاره، واكتفى بقول: «حسنًا».

«لكن الأمر ليس بتلك البساطة كما كان في الماضي».

وافقها الرأي: «معك حق؛ لكنني طيلة العقد الماضي عشت حياتي في أكثر الأماكن التي يمكنك تخيلها مللاً، وتتطلب تحمل أكبر قدر من المسؤولية». نظر إلى يساره فأبصر من

خلال شق صغير في الصخر أحد أجمل المناظر التي شاهدها في حياته على الإطلاق؛ حيث تمازج لون الأحجار الأحمر مع لون السماء الأزرق الأزرق الأشبه بلون حجر التنزانيت الكريم، واستطرد: «أعتقد أنني سئمت كل ذلك. كما أصبحت الأمور أسهل الآن بعد أن كبرت كورا، ولست خائفاً من اتخاذ تلك الخطوة المهمة، وعندما كنت في الثانية والعشرين من عمري أردت بكل كياني أن أظل معك في لرامي؛ لكنني لم أستطع». صمت قليلاً، وأخذ يتأملها، وهو يأمل أن تدرك صدق كلماته: «لكنني أستطيع الآن».

جفلت وأمعنت النظر في عينيه لتتأكد من صدق كلماته.

قال لها: «ما زلت أحبك. وأنا على يقين الآن أنني لو لم آتِ إلى هنا قط، ولو لم أرك مرة أخرى، لظلمت أعيش نصف حياة». اتخذ ليو خطوة إلى الأمام بقربها، مخترباً مساحتها الشخصية ولكن بلطف: «أرى أنك تعيشين المعاناة نفسها يا ليلي، أنتِ فقط تحاولين جعل كل يوم يمر بسرعة».

«ليو...».

«ربما لا توجد حياة تناسبني في هيوستر؛ ولكن ربما توجد حياة تناسبنا نحن الاثنين في مكان آخر إذا كنتِ ترغبين في البحث عنها».

نظرت إليه دقائق عدة وهي صامته، بينما كانت دقائق قلبها تتسارع وهي تقول: «هذا جنون. لقد التقينا منذ أسبوع فقط».

«هناك خمسة أشهر سابقة، بالإضافة إلى ذلك الأسبوع، مع فجوة زمنية صغيرة فاصلة بينهما».

أغلقت عينيه ورفعت وجهها إلى أعلى: «يجب أن تعرف أنني لا أستطيع تعديل حياتي وفقاً لظروفك، فدائماً ما كنت أقضي كل يوم في حياتي وفقاً لما يمليه عليّ شخص آخر، أو

وفقًا للظروف الناجمة عن اختيارات هذا الشخص الخطأ. أدرك أنني قد أكون متعنتة حيال هذا الأمر؛ ولكنني مضطرة إلى ذلك، فلن أستطيع التكيف مع ما يناسبك».

قال لها: «إذن دعيني أتكيف مع ما يناسبك».

حدقت به: «ماذا يعني ذلك؟».

«يعني أن أعرف بالضبط ما الشكل الذي تودين أن تكون عليه حياتك، ومن ثم أجد طريقة للتوافق معها. ربما قد تحصلين على وظيفة في مزرعة أكبر، وأنا...».

«لا أستطيع العمل لدى شخص آخر». وقد بدا أنها قد أدركت النبذة الحادة في صوتها، فخففتها: «أنا أعرف نفسي يا ليو، سأشعر بالإحباط طوال الوقت».

«إذن نضع هدفًا ونعمل على تحقيقه؛ مثل استعادة المزرعة».

«ليو، أنت على وشك الحصول على ترقية».

«أعلم، ولكن امتلاك مزرعة خاصة بنا أفضل من أي ترقية».

حركت فكها بطريقة أظهرت إصرارها، وهزت رأسها: «علينا أن نجد هذا المال».

«لماذا تعتقدين أن تلك هي الطريقة الوحيدة؟».

قالت بحدة: «بصرف النظر عن الجثة التي تركناها خلفنا، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني تخيلها الآن، فإذا لم نجد هذا المال، سواء أكنت هنا معي أم لا، فسأضطر إلى الاستمرار في القيام بذلك العمل، وتلك ليست حياة مستقرة تناسب بناء أسرة».

أوما ليو برأسه وهو يفكر في هذا الأمر، وإذا استمرت في القيام بجولاتها السياحية، فستتغيب معظم الوقت. وسيظل هو وحيدًا في هيوستن، أو في بلدة مجاورة، ويعمل في

وظيفة يتقاضى فيها أجره تبعًا لعدد ساعات عمله، وذلك فقط لينال شرف رؤيتها يومين في الأسبوع. لم يقل إنه لن يقبل بذلك؛ لكنه فهم ما كانت ترمي إليه.

ربت كتفها وقال: «أعتقد أنه من الأفضل أن نجد هذا الكنز إذن».

انطلقا وهما يتحدثان بين الحين والآخر لبعضهما البعض، ويشيران لبعض الأشياء التي كانا يريانها في بعض الأحيان في طريقيهما؛ ولكن كان الجزء الأكبر من تركيزهما منصبًا على تفادي الحوادث، خصوصًا كسر الكاحل أثناء سيرهما في تلك المنطقة التي كانت تزداد خطورة، وبين الحين والآخر كانا يبحثان عن ذلك الكوخ الصغير وسط ذلك الجزء النائي من ولاية يوتا. شعر ليو بأن قلق ليلي بدأ يزداد كلما اقتربا من المكان الذي توقعت أن يكون فيه الكوخ، وكلما طالت مدة سيرهما مع عدم وجود أي علامة تدل على أن ثمة بشرًا آخرين غيرهما قد خطوا بأقدامهم إلى تلك المسافة البعيدة.

كان من المفترض أن تكون الرحلة إلى الكوخ الجزء الأسهل في مسيرتهما، ولكن كان هناك شعور خفي يسيطر عليها بأن تلك المغامرة لن تنتهي قريبًا. استغرقت في التفكير فيما مر من أحداث: إنه في ليلة واحدة كانا أسفل المنحدر، ثم عاودا الخروج من هذا الوادي، ثم رغبًا في التوقف عن البحث، فضلًا عن سقوط والتر، وتجبير قدمه، وموت تيري.

وفجأة أظلمت السماء، وانخفضت درجة الحرارة بشكل ملحوظ.

أخذت ليلي تخطو سريعًا عندما وصلا إلى أرض ممهدة كانت تقع قبل منعطف النهر مباشرة، وسمعا ليو تقول بدهشة: «يا إلهي!» قبل أن يلامس وابل البرد الأول الجزء الخلفي من رقبتة.

كانت القطع القليلة الأولى التي تساقطت على الأرض صغيرة، ربما بحجم حبة بازلاء؛ ولكن بعد ذلك هبطت حبة برد بحجم مكعب الثلج بالقرب من قدمه، بينما تلقت ليلي كرة من

البرد بحجم كرة الجولف على كتفها؛ ولكنها لم تهتم للأمر؛ لأن ما كان يدهشها ليس سببه
البرد على أي حال.

كان الأمر يتعلق بكوخ يقع على بعد نحو 30 مترًا فقط.

الفصل الثالث والعشرون

كل ما كان بوسعهما فعله هو تغطية رأسيهما، ودفع أحدهما الآخر للدخول عبر الباب الصدى المتهدم. اندفعا معًا إلى الداخل لاهتين وهما يضحكان.

مسحت ليلي وجهها: «يا له من طقس سيئ، لن أصدق توقعات الطقس مرة أخرى».

ضحك ليو، وكان السقف الصفيح للكوخ الصغير سليمًا في أغلبه؛ لكن الجدران كانت مائلة إلى حد ما، ولكن دون أي شقوق كبيرة. تناثرت قطع البَرَد على ظل، وقد دخلت عبر نافذة مكسورة محدثة ضجة مخيفة أثناء ذلك؛ لذا قررا استخدام خيمة أحدهما وتعليقها فوق الإطار الحاد للنافذة لمنع دخول البرد. وتحول الضوء في الداخل حينها إلى اللون الأزرق الفيروزي، ودارت ليلي حول نفسها ببطء مندهشة من كل ما يحيط بها.

صرخت وعلا صوتها فوق هزيم العاصفة الثلجية: «يا إلهي، يبدو المكان كما أتذكره تمامًا».

لقد كان في الواقع كوئًا صغيرًا يحتوي على غرفة واحدة فقط، ومساحته تقارب 4 أمتار في 4 أمتار، ويوجد في إحدى زواياه موقد قديم صدى لنار الحطب، وصندوق مغبر في زاوية أخرى، و... كان هذا هو كل شيء. لم تكن هناك طاولة ولا كرسي، ناهيك عن أي شيء للنوم عليه. كان تصميمه وموقعه يدل على أنه مجرد مكان لتوفير المأوى لا للراحة. وفي الزاوية المقابلة للباب مباشرة، كانت الأرضية الخشبية متعفنة، تاركة حفرة يظهر أسفلها التراب والصخور.

لم يكن هناك شيء يمكنهما استكشافه؛ لذلك استدارا وحقق كل منهما إلى الآخر، وكانت ابتساماتهما مبهجة وجامحة. لقد وجدا الكوخ، وبطريقة ما كانا على بعد خطوة واحدة من تحقيق الهدف، فمع كل خطوة تبدو تلك الخطة الحمقاء، والمجنونة، والمدهشة، وبعيدة المنال ممكنة أكثر فأكثر.

نظرت ليلي وراءها، وارتخت قسما ت وجهها، ثم تقدمت نحو الحائط، وأخذت تمرر يدها على التوارىخ المحفورة هناك. كان هناك ما لا يقل عن ثلاثين منها قد حُفرت فوق الخشب، بعضها توارىخ قديمة جداً بحيث لا يمكن تحديدها بدقة، والبعض الآخر يشير إلى نحو عشر سنوات مضت، وبعوار كل تاريخ كانت هناك أحرف أولى محفورة بشكل واضح. وكان معظم هذه الأحرف: و. ر. و.

قالت وهي تتابع هذه الأحرف بإصبعها: «وليام روبرت وايلدر». كان البرد قد توقف عن تساقطه، والآن بدأ المطر يهطل برفق على السقف الصفيح. وأضافت: «إنها الأحرف الأولى من اسم ديوك».

وضع ليو يده على الأحرف الثلاثة المكتوبة بخط مائل ل. ف. و. وسألها: «هل هذه أحرف اسمك أنتِ؟» وتذكر قائلاً: «ليليانا فيث؟».

أومات برأسها، وأبعدت يدها عن الحائط، وقالت: «لقد بدأ الاستكشاف عندما كان في الحادية عشرة من عمره على ما أعتقد. بالقرب من بيته، وليس بعيداً من لرامي. كان والداه يخبرانه بأنه إذا خرج مع شروق الشمس فعليه أن يعود لتناول العشاء». ضحكت وأضافت: «عندما كان في الرابعة عشرة من عمره، ذهب في رحلة إلى موآب وليس معه سوى حقيبة ظهر فقط، والتقى مجموعة من الباحثين من برينستون، وبدأ يقضي وقتاً طويلاً معهم طوال الصيف حتى سمحوا له أخيراً بمساعدتهم في حفرياتهم. لقد فقد إصبغاً عندما كان في الخامسة عشرة من عمره، ولم يتصل بوالديه مع هذا، بل غادر فقط بهدوء مكان الحفر، وذهب بنفسه إلى غرفة الطوارئ».

صَفَّر ليو بصوت منخفض: «أخبرني بأنه فقدته أثناء تقطيع الجزر في المزرعة».

ابتسمت قائلة: «لم يشأ أن يخبرك بالحقيقة. وعلى أي حال، التقى أمي في الجامعة في سولت ليك. وكان يدرس التاريخ والآثار، وكانت هي تدرس علوم البحار. نعم علوم البحار».

أطلقت ليلى ضحكة جافة وأردفت: «ثم اصطحبها معه إلى الصحراء».

«يا إلهي، هذا أمر مؤسف».

وافقته ليلى الرأي: «معك حق. بعد زواجهما انتقلا إلى هيوستون وساعدا عمي في العمل في المزرعة في لارامي على مدار ستة أشهر. فماذا كان من المفترض منها أن تفعل في أي من تلك الأماكن؟ كان ديوك ينضم إلى جميع أنواع الفرق التي تخرج في رحلات استكشافية. وظلت حياته ممتعة تمامًا، بينما أصبحت حياتها هي كئيبة؛ إذ كان غائبًا طوال الوقت. ناهيك عن أنهما كانا مفلسين». لمست أحد التواريخ المنحوتة هناك 1987 وعلقت: «في بعض الأحيان لا أستطيع أن ألومها حقًا على المغادرة».

والدة ليلى: كان هذا هو الموضوع الوحيد الذي لم تتحدث قط عنه، وأراد أن يتحدث فيه بحذر؛ لذا علق قائلاً: «أعتقد أن عليك لومها هي على تركك».

هزت ليلى كتفها، وسحبت أصابعها إلى أسفل الحائط. «ربما».

«كم كان عمر ديوك عندما توفي؟».

فكرت لحظة: «حسنًا، كان ذلك قبل سبع سنوات، إذ... كان عمره ثلاثة وخمسين عامًا».

«توفي في سن صغيرة».

نظرت إلى تلك التواريخ المحفورة بضع ثوانٍ، وقالت: «نعم. كانت حياته صعبة».

«هل تواصلت مع والدتك؟».

هزت ليلى رأسها: «لقد زارتنى مرات عدة؛ لكنها لم تطلب مني قط أن أذهب للعيش معها».

أعتقد أنها أرادت البدء من جديد».

بدأت تلك الجملة الأخيرة كأنها صدى لياسها القديم؛ ما أشعل نارًا من الغضب في صدر ليو. نظر إليها وقال: «والدي تصرف مثلها تمامًا. فما هذا الهراء، عندما يُرزق المرء بطفل عليه أن يتحمل مسؤوليته ولا يفكر في فرصة أخرى».

صارحته: «في الحقيقة، كنت قريبة من عمي دان. وقد أحببت الخيول بالطريقة نفسها التي أحبها بها. لقد عشت فصول الصيف في المزرعة معه، وكانت وفاته قاسية عليّ؛ ولكن بحلول ذلك الوقت كنت في السابعة عشرة من عمري، وكنت أتخيل مستقبلي وأنا أمتلك تلك المزرعة، ويمكنني فعل ما أريد بقية حياتي».

صمتا وهما يتأملان الكتابات المنحوتة في الخشب؛ ولكنه نظر إليها من كذب عندما سمعها تطلق تهيدة صغيرة، ثم مال إلى الأمام ليكون قادرًا على النظر إلى وجهها؛ ولكنها مسحت دموعها سريعًا.

قال ليو وهو يحاول لفت انتباهها: «هيه، هيه، تحدثي إليّ».

احمر وجهها وبدأ عليها الغضب وهي تقول: «هل تعتقد حقًا أن ديوك قد وجد الكنز؟ أي نوع من البشر يفعل ذلك؟ هل تعرف كيف كان من الممكن أن يغير هذا المال حياتنا؟ إن مجرد التفكير في أنه تمكن من العثور عليه وحول إيجاده إلى لغز ولعبة أمر يثير جنوني».

قال لها: «أعرف».

أمعنت النظر في وجهه، وقالت: «أنا جادة فيما أقول. انظر إلينا وإلى ما نفعله الآن، إننا نتعقب ذلك الكنز، ولكن هنا»، ونقرت على رأسها: «أتخبط بسبب أفكار عديدة مثل: هذا بالضبط ما كان والدي سيفعله، ومن المستحيل أن يكون قد وجد المال وأخفاه مرة أخرى؛ ديوك كان أحق لكن ليس إلى هذا الحد».

هزت ليلي رأسها، وأردفت: «دائمًا ما رأيت أن رحلاته وبحثه عن الكنز وألغازه الغبية مضيعة للوقت، وكنت أشعر بالاستياء منه بسبب ذلك؛ ولكن انظر إليّ الآن: أقف في كوخ

أسفل الوادي، وأبحث عن الأدلة التي تركها عند جذل شجرة. يا له من وضع مزري؟».

قال ليو بهدوء: «ليل، لا بأس بأن ترغب في القيام بذلك، وتسعي وراءه، وأن تظلي غاضبة أيضًا»، ثم أمسك بوجهها بين كفيه، وقال: «ليس عليك أن ترضي بخيار واحد دون غيره».

سألته: «هل أنا مجنونة؟».

«إذا كنتِ مجنونة، فأنا كذلك أيضًا».

أومأت برأسها، ونظرت خلفه نحو النافذة المغطاة بالخيمة، وقالت: «أتساءل عما إذا كان يجب علينا أن نواصل طريقنا».

«هناك شخص تعرفينه جيدًا يقول إن السير في المطر قد يكون خطيرًا».

قالت: «لكن نيكول ومن معها يتوقعون أن نقابلهم غدًا».

قال لها ليو ليثنيها عن عزمها المتذبذب: «سوف تتحقق نيكول من حالة الطقس، بالطبع سوف تتذمر بشأن ذلك؛ لكنها ستدرك أن تأخرنا سببه العاصفة».

بدا المطر في الخارج كأنه يتجمع في هذا الجزء الصغير من الوادي الفاصل بين القمم، وأدرك كلاهما أن محاولة القيام بمزيد من الاستكشاف لن تجدي نفعًا حتى يخف المطر.

أو ربما كانا سعيدين بالحصول على عذر للراحة.

قالت: «أعتقد أنك محق. انظر كم هي مظلمة تلك الغيوم».

همهم موافقًا.

قالت: «سوف تغرب الشمس قريبًا...».

لم يكن الأمر كذلك؛ لكنه لم يكن يود أن يعارضها.

قال: «ربما قد نجد طريقة أخرى لتمضية الوقت».

«حسنًا».

وخلال تلك الساعة المطيرة في وقت متأخر بعد الظهر، كانت جدران الوادي تلقي بظلالها على الجزء الداخلي من الكوخ.

جلسا وتبادلا أطراف الحديث، في محاولة منهما لتمضية الوقت حتى انتهاء المطر. أخبرها بأنه خلال فترة بُعدها عنه تعلم الكثير من الأشياء، فمثلًا أدرك أن الإنسان عندما يتعلم نشاطًا جديدًا، يستخدم عقله إشارات معينة، ثم بعد فترة يتقن هذا النشاط، ويبدأ القيام به تلقائيًا دون تفكير.

حدقت ليلي في وجهه وابتسمت، كان قد نسي ابتسامتها العريضة وافتتانه بعينيها العسليتين، وتساءل كيف استطاع أن يتركها، وكيف عاش من دونها كل هذه السنوات. أدرك أنه غرق في حبها في الماضي، وما زال يحبها حتى الآن، وسيظل يحب ليلي وايلدر إلى الأبد.

الفصل الرابع والعشرون

مضى بعض الوقت وكانا قد تحدثنا خلاله عن كل شيء: عن مقهى أرشي، وبعض الأشخاص المؤثرين بشكل ما في حياتها، وعن نيكول، التي كانت الشخص الأكثر أهمية بالنسبة إليها، وعن المطعم الصغير القريب من شقة ليو؛ حيث اعتاد هو وكورا أن يتناولوا فطائر الأوكونوميياكي ليلة يوم الخميس من كل أسبوع؛ لأن مذاقها كان يشبه تمامًا مذاق تلك التي كانت تصنعها والدتهما. وتحدث عن مدى حبه شقيقته وكم كان الأمر مربكًا عندما واجه تحدي أن يعيش حياته ويركز على مستقبله دون أن تأتي هي في المقام الأول أثناء تفكيره في أي خطوة يقوم بها.

أخبرها أيضًا بمدى خفة ظل كورا، وهو أمر تختلف فيه عنه تمامًا، وكيف لم يكن بمقدور أحد غيرها أن يضحك بتلك السهولة، كيف كانت رائعة مع أصدقائها، غير أنها مسرفة إلى حد ما بسببه. أخذ يصف لها: شعرها الأسود الطويل، ورشاقتها، ورقبتها الطويلة، وضحكتها العالية بشكل مدهش. لقد تحدثنا كثيرًا عنها لدرجة أنه بحلول وقت النوم، شعرت ليلي بأنها تعرف كورا، وتستطيع سماع ضحكتها العالية، ويمكنها تخيل ليو وهو ينظر إليها بإعجاب. تخيلت أيضًا نفسها وهي تصطحب تلك الأخت الصغيرة في رحلة إلى تلال وايومنغ المغطاة بنباتات المريمية. أرادت أن تجعل فتاة المدينة تلك تقع في حب الطبيعة.

في الواقع، ربما لن يكون لدى ليلي وكورا أي شيء مشترك باستثناء ليو، ومع ذلك تخيلت بطريقة ما أن ذلك سيكون كافيًا.

بدأت حالة من الوعي الذاتي تسيطر عليها، بينما كان الضوء الخافت يحيط بالكوخ من الخارج. نظرت إلى وجهه النائم، فقد كان جزء منها يعلم أنها يجب أن تكون أكثر حذرًا. وكان حدس ليلي دائمًا يقودها إلى الابتعاد وتوقع أسوأ السيناريوهات، وهو ما كانت

تعيّشه بالفعل معظم الوقت؛ لكنها أصبحت متعبة، ألا يمكنها أن تحظى بتلك الفرصة وتشعر بالسعادة ولو بضعة أيام أخرى فقط؟

فتح عينيه وهو يقول: «مرحبًا».

«صباح الخير».

نظر إلى ساعته.

قالت: «دعني أأخمن»، ثم رفعت وجهها إلى أعلى متظاهرة باستنشاق الهواء، وأضافت: «إنها السابعة».

ضحك وهو يقول: «السادسة وثلاث وأربعون دقيقة. تخمينك ليس سيئًا».

أراد أن يحظى بمزيد من النوم.

ذكّرتة لماذا هما هنا قائلة: «جذل الشجرة لن يجد نفسه».

تنهد، وانسل من كيس النوم، وانشغل كل منهما بعيدًا عن الآخر، ليسرعا بإنهاء مهامهما الصباحية. ولحسن الحظ أتقنت ليلي فن غسل وجهها بالقليل من الماء والصابون القابل للتحلل العضوي.

التقيا في الخارج بعد أن حزما أمتعتهما وارتديا ملابسهما النظيفة؛ ولكن سرعان ما خيمت خيبة الأمل عليهما، فقد كان الكوخ الصغير محاطًا بالحشائش والأعشاب وكتل من نبات المريمية؛ لكن لم يكن هناك أي أثر لجذل الشجرة.

«غير معقول، هناك خطأ ما». دفعت ليلي جانبًا أغصان شجيرة الكريوسوت الطويلة لتتمكن من رؤية الأرض في الأسفل، ثم استقامت وأخذت تدور حولها، وربتت فخذها بإصبعها.

قال: «نحن نعلم أن هذا هو المكان الصحيح، فالأحرف الأولى لاسم والدك موجودة في الداخل. كما أن ذلك الكوخ يقع عند منعطف النهر أيضًا. أليس هذا ما قلت إنه يقصده بجوف الثلاثة؟».

«يمكن أن نكون عند المنعطف الخطأ؛ ولكن لماذا ستكون شجرة ديوك في مكان آخر؟» سألت نفسها: «لقد كان هنا طوال الوقت، ولا يبدو أن هناك مجموعة من الأكواخ منتشرة في المكان. فأين المشكلة؟».

سارت نحو بقعة بلا شجيرات، وفاجأت خطواتها طائر نممة الوادي وهو يلتقط طعامه بين الأغصان، ومدت يدها لتلتقط حقيبة ظهرها، ثم قالت: «تعال».

انطلق ليو نحوها، وهو يأرجح حقيبته الخاصة، ثم ما لبث أن سار بجوارها: «إلى أين نحن ذاهبان؟».

أشارت إلى الأخاديد الواقعة أمامهما: «نحو الأعلى».

تابع نظرتها: «عجبًا».

قالت وهي تتفحص الطبيعة حولهما لتحديد أسهل طريق ليسييرا فيه: «فقط ليكون معلومًا لك، لم أسمح قط لأي مجموعة من السائحين بفعل هذا؛ لكنني بحاجة إلى موقع أفضل يطل على الوادي».

«سأتأكد من عدم ذكر ذلك في تقييمي عند نشر تعليقي على موقع يلب».

لحسن الحظ، كان ارتفاع المنحدر أمامهما مناسبًا، وكان به الكثير من التنوعات التي مكنتهما من وضع أيديهما أو أقدامهما بأمان، فضلًا عن وجود حواف للصخور تمكنا من خلالها من الوصول إلى القمة دون الكثير من المتاعب. وكانا على ارتفاع نحو 15 مترًا؛ لكنهما تمكنا من رؤية جزء من ذلك النهر والوديان المتعرجة الشكل التي تحيط به.

سأل ليو: «هل يمكنك الحصول على تغطية للهاتف المحمول هنا؟».

قالت وهي غير متأكدة: «في بعض الأحيان».

«أتساءل عما إذا كان يمكننا تحميل خريطة عبر الأقمار الاصطناعية».

قامت بسحب كيس زيبلوك البلاستيكي، ووضعت المسدس داخل حزام خصرها مؤقتًا، وأخرجت هاتفها الذي يعمل عبر الأقمار الاصطناعية. وبعد محاولات عديدة لتشغيله، أدركت أن البطارية فارغة، ولا بد أنها نسيت أن تطفئه وهي تسرع في نقل كل شيء إلى حقيبة جديدة. قالت: «اللعنة».

قطب جبينه في عبوس، ثم قال: «هل ما زال هاتف تيري مشحونًا؟».

وجدته ليلي وقالت: «يا إلهي». وضغطت على زر الطاقة، وحبسا أنفاسهما حتى ظهرت صورة صغيرة للقمر الاصطناعي، وبدأت عملية التحميل على الشاشة. عندئذ تنفسا الصعداء وتصافحا.

قال ضاحكًا: «أعتقد أنني أفهم سبب حب برادلي للمغامرة الآن، فكل إنجاز صغير يشبه دفعة من الدوبامين تصل مباشرة إلى دماغي».

قالت له وهي تحاول حجب شاشة الهاتف عن الشمس: «لم يتبق الكثير قبل نفاد البطارية، سوف يستغرق تحميل الخرائط ثانية واحدة». أشارت نحو النهر وسألته: «هل ترى هذين التعرجين الحادين هناك؟ عند التقاء النهرين والمسافة التي بعد ذلك مباشرة؟».

اهتم بملاحظتها، وأوماً برأسه على الفور: «يبدو حقًا كأن هناك ثلاثة تفرعات أو منعطفات؛ ولكن أي انحناء هو الجوف الذي يقصده؟».

«نحن الآن عند طرف الجزء السفلي من التفرعات الثلاثة، وإنني لأتساءل عما إذا كان يجب علينا أن نكون هناك عند هذا المنعطف الحاد».

ضحك ليو: «أنتِ تقصدين أنه يجب علينا العبور إلى الجهة الأخرى؟».

تنهدت ليلي: «أعرف ما تفكر فيه؛ لكن الأمر لا يبدو سيئًا للغاية». عضت شفيتها وهي تفكر: «لا أتذكر أنني رأيت أي شيء هناك على الإطلاق؛ ولكن ماذا يمكننا أن نفعل غير ذلك؟».

قال: «دعينا نفكر جيدًا. هل يجب أن نتصل بـ نيكول، ونطلب منها البحث عن الموقع على جوجل إيرث؟ أعلم أنه لم يتبقَّ الكثير من طاقة البطارية، لكن...».

بدأ هاتف تيري - المتصل بالأقمار الاصطناعية، الذي كان في يدها في تلك اللحظة - العمل مجددًا، واهتز بينما كان يجري تحميل الكثير من الإشعارات، التي كانت تخص نصوصًا لسلسلة من المحادثات الجماعية لمجموعة باسم «الشباب الضائعين».

حدقا إلى أسفل الشاشة، وسألت ليلي: «من هم الشباب الضائعون؟».

هز ليو رأسه: «ليست لدي أدنى فكرة».

قالت بعدم ارتياح: «لقد أرسلت بعض تلك النصوص اليوم».

من الذي يسعى للوصول إلى تيري بأي طريقة أثناء إجازته المزعومة؟

نقرت لتفتح المحادثة، وكان هناك أربعة أشخاص في المجموعة: تيري، الذي كان من الواضح أنه يستخدم اسم روفيو، بالإضافة إلى شخص آخر يتخذ اسم بوكتس، وآخر يدعى نو ناب، وأخيرًا لاتش بوي.

قالت: «أظنها أسماء لشخصيات فيلم شاهدته من قبل»؛ لكن المحادثة التي جرى تحميلها لم تكن جديرة بالاهتمام، بل كانت تحتوي على صور من فيلم صراع العروش، ونكات بذيئة، وبعض الرسائل التي تحدث فيها تيري عن الرحلة، ثم بعض الأخذ والرد حول نيكول وليلي...

«إنه يتحدث عنا بسوء»، تمتت مشمئة، وتجاوزت بعض المقاطع بسرعة قبل أن يتمكن ليو من رؤيتها.

ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان.

سحب ليو الهاتف من يدها: «ماذا يقول هذا ال...».

«لا بأس. لقد كان شخصًا وضيعًا. ليس هذا مفاجئًا».

نظرت إلى شاشة الهاتف وشاركته القراءة.

قال وهو يتصفح المحادثة: «إنهم يتحدثون عن الرحلة، لقد كان يبقي شخصًا ما على اطلاع دائم بمكاننا. يا إلهي! هذا شيء غريب جدًا»، بعدها هز رأسه.

قبل ثلاثة أيام - عندما تغيرت خطة المجموعة - طغى الهلع على أسلوب تلك الرسائل النصية.

نو ناب: روفيو.

بوكتس: روفيو، يا صاح.

لاتش بوي: تيري أين أنت؟

نو ناب: لقد فقدنا أترك يا رجل، قم بتسجيل الدخول على الموقع.

قال ليو: «فقدوا أثره؟ يا إلهي، ماذا يعني هذا؟». أشارت ليلي إلى التاريخ، وقالت: «هذه الرسالة بتاريخ اليوم التالي لسقوطه. ومن الواضح أن أصدقاءه لا يعرفون أنه قد توفي».

واصل ليو التصفح.

بوكتس: يا صاح، أعتقد أن تلك الليلة لن تمر بسلام. فإلى أين تنوي الذهاب؟

نو ناب: تيري، يا صاح أجب على هاتفك.

لاتش بوي: لقد ذهب من فوره، تبًا

بوكتس: هل حصلت على الدفتر؟

تسمرت عينا ليو على النص، وهو يضع إبهامه عليه: «هل يتحدثون عن دفتر يوميات ديوك؟».

تملكت ليلى مشاعر القلق، ومدت يدها، ومررت بإصبعها النصوص على الشاشة لقراءة بقية المحادثة لتعلم إلى أين سينتهي هذا الأمر.

نو ناب: تيري، أخبرنا بما يجب علينا القيام به.

لاتش بوي: إنه لا يرد، لننتقل إلى الخطة البديلة.

نو ناب: دعونا نلتق في المكان المتفق عليه. لننتقل إلى الخطة البديلة.

بوكتس: تيري، أقسم أنه من الأفضل لك ألا تخدعنا، وإلا سثقتل مثلهم تمامًا.

نو ناب: دعنا ننتقل إلى موضوع مختلف. اللعنة على هذا المتأنق.

هبطت تلك الكلمات عليهما مثل الصاعقة؛ ونظر كلم منهما إلى الآخر، وفهما أنهما كانا يسيران في طريقهما بلا عجلة على مدار اليومين الماضيين، غير مدركين على الإطلاق أن شخصًا ما كان يعمل مع تيري، ومن المؤكد أنه يتبعهما.

قالت ليلى: «لا أفهم»؛ لكنها للأسف كانت تفهم كل شيء، ومدركة بالفعل الموقف على حقيقته. لقد عرفوا جميعًا من قبل أن تيري جاء للاستيلاء على دفتر يوميات ديوك؛ لكن

مجرد التفكير في أن تيري كان لديه شركاء، وأنه كان على تواصل معهم، أصابها بهزة في جسدها، خاصة عندما تذكرت عقب السيجارة، والحفيف في الليل. لقد شنتها للغاية وجود ليو والتفكير فيما كان ديوك قد خطط له، للدرجة التي جعلتها تتخلى عن حذرها. أضافت: «يا له من شخص حقير!».

هز ليو رأسه مذهولاً وهو يقرأ الرسائل مرة أخرى. قال: «إنهم يعتقدون أن تيري قد خدعهم». رفع بصره بعيداً عن شاشة الهاتف، وأخذ يتأمل الوادي الواسع في الأسفل وعلق: «أياً كان ما يقصدونه بالخطة البديلة، فقد يكونون في أي مكان حولنا».

«إذا كانوا يتتبعوننا... إذا كانت هناك أي طريقة يعرفون بها المكان الذي نتجه إليه...».

أنهى الجملة نيابة عنها وهو يستدير لينظر إليها: «إن ربما يقتلوننا هناك».

التقت عيناه بعينيها، وهكذا احتدم السباق، وبدأت المغامرة تزداد خطورة.

الفصل الخامس والعشرون

انطلقا في طريقهما سريعًا، لقد كان يسرعان في تحركهما من قبل، لكن ليس كسرعتيها الآن. كانت حمى التنافس التي تملكتهما واضحة للدرجة التي جعلت ليو يرى كل شيء حوله بطريقة ضبابية، بينما كانا يشقان طريقهما أسفل الجرف. تحركا عبر الصخور، وأخذ كاحلا كل منهما وركبته ومرفقاه تتخبط بها، وبالأغصان الشائكة. وقد شعرا بألم في مفاصلهما، وبالتهاب في بشرتيهما. لقد واجها الكثير ولم يكونا على استعداد ليخسرا كل شيء. ومعرفتهما أن هناك شخصًا ما يتتبعهما ويؤمن بالقدر نفسه من الحماس بوجود كنز لم يُعثر عليه بعد جعلتهما يستحثان الخُطى.

لم يتحدثا كثيرًا. وكان ليو يحاول أن يحفر صورة ديوك في ذاكرته، بينما كانت ليلي تنظر حولها وخلفهما كثيرًا. وبدا أنها كونت فكرة واضحة عن تفاصيل النهر في ذهنها الآن، بعد أن رآته من الأعلى. لقد حاولا السير على الطريق الصخري المسطح قدر الإمكان؛ ولكنهما اضطررا في النهاية أن يهبطا إلى الأسفل نحو طبيعة أرض مختلفة؛ أرض عشبية خضراء بالقرب من الماء. ووصلا إلى حافة النهر، ثم سارا فوق الصخور الصغيرة، وخاضا مساحات من المستنقعات - ليتربكا أقل قدر ممكن من آثار الأقدام خلفهما - وبمجرد أن بدأت ليلي البحث عن مكان جيد ليعبرا من خلاله، علم أنهما لا بد أن يكونا قريبين. وظهر أمامهما منعطف واسع للنهر، الذي كان ينعطف بشدة إلى اليسار لدرجة أنه حجب منبع النهر عنهما. توقفت ليلي أمام هذا المنعطف مباشرة، وكان جزءًا يسرع فيه التيار، لكن مياهه ضحلة نسبيًا.

وقالت: «من الممكن أن يكون هذا هو المكان، أظن أن ذلك أفضل تخمين لدينا، إن هذا هو جوف الثلاثة». ومن ثم حدقت إلى الماء وأردفت: «لا أستطيع أن أصدق أنني لم أفكر في

هذا المكان من قبل. لقد جئت إلى هنا مائة مرة ولا أتذكر رؤيتي أي كوخ؛ ولكن يجب أن يكون هناك واحد عند هذا الانحناء».

تذكر البقعة التي تقصدها، وتذكر رؤيته إياها على الخريطة وتعجبه من كيف أن بعض الأراضي بها لم تتأثر بالفيضانات الشديدة على مر السنين، وكانت منعطفات النهر في تلك المنطقة هي البقعة المثالية لأي من محبي ممارسة رياضة التجديف في المياه السريعة، وكانت الأخاديد الضيقة التي تعانق النهر قد نُحتت وأعيد نحتها على مر القرون مشكلة شبكة معقدة من المتاهات التي تبدو في جمالها مثل نسيج الدانتيل البديع. لقد كان ذلك المكان مثاليًا لإخفاء شيء ما: دون خلفية جيدة عن الاتجاهات وكل تفاصيل المكان، سيكون الاهتمام إلى الطريق أمرًا مستحيلًا، والأكثر صعوبة هو العثور على طريق الخروج مرة أخرى في الظلام. شعرا بأنهما محاصران بمشاعر هي مزيج من الحاجة الملحة للإسراع، والإثارة، والتشويق، وكان هاتفاً ما يقول لهما: أسرعاً. أسرعاً.

حدقت ليلي إلى الماء بارتياب ظاهر؛ وكان ليو يلاحظ محاولتها التغلب على ذلك الشعور.

ذكَرَها قائلاً: «لا تتعجلي».

«ليس لدينا وقت كافٍ».

«لدينا الوقت الكافي للعبور بحذر».

ومع خطواتهما الأولى، اندفع الماء البارد كالثلج فوق كاحليهما ليغمر أحذيتهما.

قال ليو: «أعتقد أن أقدامنا قد ابتلت».

وكان الماء يصل إلى ركبتيهما في أعلى اندفاع له، مع أن التيار كان سريعاً وقويًا. أمسك بيد ليلي، ونتيجة تركيزهما نظريهما على ضفة النهر المقابلة، نجحا في العبور دون وقوع أي حادث.

لم تكلف نفسها عناء مراجعة الخريطة مرة أخرى، فقط انطلقت نحو أعلى النهر، متجنباً أشجار الحور القطنية المتشابكة، ومتشبثة بحافة الصخرة الحمراء عن يمينها. وبعد مسافة أقل من متر بدأ القلق يسيطر على قلب ليو، لإدراكه حقيقة ما كانا يفعلانه حقاً، فضلاً عن تزامم الكثير من الأفكار المرعبة بعقله: فما احتمالات وجود ذلك الكنز هناك؟ ومع من كان تيري يعمل؟ وكم شخصاً منهم سيكون في انتظاره؟ ولماذا أحضر تيري برادلي وليو وبالتتر معه، بينما كان بإمكانه الذهاب في رحلة مع وايدر أدفنتشرز بمفرده؟ حتى لو كان ليو وليلي يسبقان أصدقاء تيري بنصف يوم، فكم من الوقت سيستغرق فكهما الشفرة؟ وكم من الوقت حتى يتمكننا من...

قالت ليلي وهي تحمل مجموعة من الأغصان ذات الأشواك وبعض الفروع بعيداً حتى لا تجرح ساقه عند مروره: «إنك هادئ للغاية، هل أنت خائف؟».

«نعم».

ضحكت والتفتت إليه قائلة: «أنا أيضاً؛ ولكننا قد تورطنا في ذلك الأمر لدرجة كبيرة».

وافق قائلاً: «لدرجة كبيرة جداً».

ولكنه حتى الآن لا يزال غير قادر على تخيل أين يمكن أن يكون جذل الشجرة الذي يبحثان عنه، فالمشهد أمامه يبدو مفتوحاً، فهو مكان تحيط به الصخور، ونباتات المريمية المنخفضة، أو ضيق ليصبح مكاناً خانقاً: أخاديد ذات جدران شاهقة وظلال خافتة. تحرك وكاد يصطدم بظهرها عندما توقفت ليلي فجأة.

«هناك».

استعاد توازنه من خلال الإمساك بيدها، وحاول أن ينظر ليري ما الذي جعلها تقف فجأة. رأى الأشياء نفسها التي رآها من قبل: النهر، وأشجار الحور القطنية، والأوساخ، والتراب، والمزيد من الصخور؛ ولكن بعد ذلك ظهر شيء بوضوح. لم يكن يحرق إلى مجموعة

الصخور غير المنتظمة والمتكسرة؛ بل كان ينظر إلى مدخنة حجرية متهدمة تغطيها طبقات من غبار الصخور الحمراء، وإلى الألواح الخشبية المتعفنة والمتداعية والمختفية تحت نباتات المريمية البرية المتشابكة والشجيرات الشائكة. أخذ ينظر بتركيز إلى جذل شجرة مغطى بالغبار والشجيرات.

قال: «يا إلهي! شجرة ديوك».

تلقت كلاهما خلفه في الوقت نفسه، وتفقدوا كل ما حولهما من أماكن؛ ولكن لم يكن هناك أحد. أنصتا بانتباه لسماع أصوات أناس آخرين؛ لكنهما لم يسمعا أي شيء. فقط هدير النهر بالقرب منهما، وهو يندفع بقوة نحو مجموعة صغيرة مدببة من الصخور لتعود مياهه وتصطدم بالقاع الضحل المليء بالحصى.

ركضت ليلى نحو جذل الشجرة، وسقطت على ركبتيها ونفضت عنه الغبار وهي تقول: «أسرع يا ليو».

انضم إليها، ووضع حقيبته على الأرض، وساعدها على تنظيف السطح غير المستوي، الذي تراكمت عليه الأوساخ فترة طويلة لدرجة أنها تسللت بين الفجوات والشقوق، وحاول أن يزيل هذه الأوساخ بأظافره الحادة.

كان من الواضح أن ليلى تفكر بشكل أفضل؛ لذلك أخذت تسكب الماء فوق الجذل، لتزيل الطبقات القليلة الأخيرة المتبقية من الأوساخ. في البداية، بدا النمط المحفور كأنه مجرد ثقوب منقوشة في الخشب؛ ولكن فجأة طرأت فكرة على ذهنه.

انحنى حتى خصره ليفحصه من كثب. كان عبارة عن سلسلة من العلامات المستديرة تمامًا التي كانت تعلوها بقايا الخشب المحترق، وكل علامة منها أصغر قليلاً من مساحة ممحاة القلم الرصاص.

سألها: «هل يمكنك تمييزها؟».

هزت رأسها: «ليس بشكل تام. لقد كان في أغلب الأوقات يستخدم معي الشفرة الحرفية. شفرة قيصر، وشفرة أتباش، وغيرهما».

حوّل انتباهه إلى تلك المهمة التي أمامه، لقد كانت هناك سبع مجموعات من الدوائر المتباعد بعضها عن بعض ببضع سنتيمترات. الأولى كانت عبارة عن سلسلة من ثلاث دوائر مرتبة بطريقة عمودية، مع وجود دائرة واحدة إلى اليسار في الأسفل، وكأنك ترى حرف L معكوسًا. وبجانب ذلك كانت هناك دائرتان مرسومتان إحداها بجوار الأخرى بشكل أفقي. وبعد ذلك كانت هناك دائرة واحدة موضوعة أسفل خط النقش، ثم دائرتان مرسومتان إحداها فوق الأخرى بشكل عمودي مرة أخرى. وكانت المجموعة الخامسة عبارة عن دائرتين مرسومتين متجاورتين، ولكن بزاوية أو ميل. والمجموعة السادسة كانت عبارة عن دائرتين مرتبتين بشكل عمودي، ثم ثلاث دوائر مرسومة بميل بداية من الدائرة اليسرى في الأعلى. وتلك هي المجموعة السابعة التي كانت تأخذ شكل المجموعة الخامسة نفسها.



اندفع عقله إلى التفكير في الأنماط والشفرات المتعلقة بالأرقام، والأماكن، والأشكال.

أربعة، اثنان، واحد، اثنان، اثنان، اثنان، ثلاثة، اثنان.

أهذا هو تشفير النرد أم تشفير روزيكروسيان؟

لا، من الواضح أن الموقع مهم في تلك الشفرة.

وكلما طال تحديقه، كانت قدرته على التفكير تتلاشى بسبب الإحساس المقلق بأن الوقت يداهمهما، وشعر بأن حل الشفرة بعيد المنال؛ الأمر الذي أثار جنونه، قد لا يكون أمامهما سوى بضع دقائق لمعرفة الحل، وتغطية جذل الشجرة، والذهاب إلى البحث عما جرت حمايته بتلك الشفرة.

فرك ليو عينيه: «تبًا».

وبجانبه، كانت ليلي همس غاضبة، وسألته: «ماذا لو كان الأمر أكثر تعقيدًا مما يبدو عليه؟ هل هناك شيء أغفلناه، أم أن هذا هو كل شيء؟».

«أظن أن حفر تلك الدوائر بالنار كان أمرًا ذكيًا». ومد يده إلى الأمام، وأخذ يتحسس المجموعات السبع المنفصلة بأطراف أصابعه، ثم قال: «أعتقد أنها تهجئة لشيء ما. غير أن علينا فقط معرفة ما إذا كان هذا رمزًا رقميًا أم شيئًا آخر».

انتقلت إلى الجانب الآخر من الجدل لتنظر إلى الشفرة من زاوية مختلفة: «ربما ننظر إليها بالشكل الخطأ».

قال لها: «كلما حدقت أكثر إلى هذه الشفرة شعرت بأنني لا أستطيع رؤية أي شيء».

توقفت عن التنفس لحظة بعد شهقة مسموعة: «يا إلهي. ليو، أنت عبقرى».

«لماذا؟».

ابتسمت قائلة: «قلت إنك لا تستطيع رؤية أي شيء. الجدل مسطح؛ لكن الشفرة مكتوبة بطريقة برايل. التي لم يستخدمها ديوك كثيرًا؛ لكنه كان يعرفها، لقد علمني إياها منذ زمن بعيد».

أطلقت صيحة صغيرة ونظر هو إلى الأسفل وأدرك أنها محقة. أخذ ليو يشحذ ذهنه محاولاً أن يتذكر طريقة برايل التي تعلمها للحصول على رتبة نسر الكشافة.

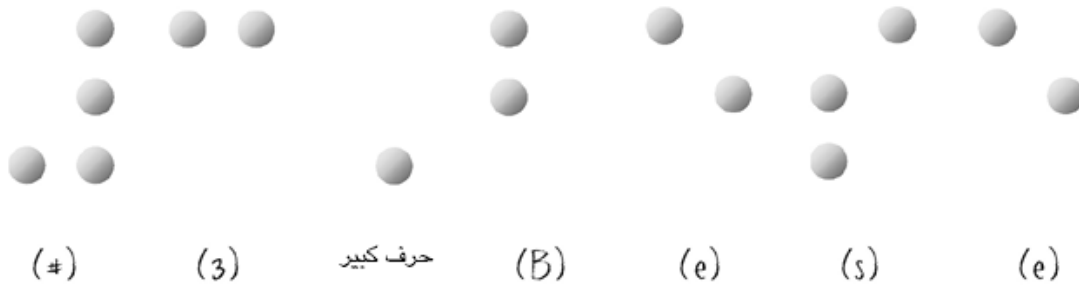
أشارت إلى المجموعة الأولى، وقالت: «حسنًا، تلك المجموعة الأولى، عبارة عن حرف L معكوسًا؛ ما يعني أن التالي هو رقم؛ لذلك أعتقد أن المجموعة الثانية تشير إلى الرقم ثلاثة».

أخذ يحدق إلى المجموعات الأخرى، وقال: «صحيح، ألا تعني تلك الدائرة حرفًا كبيرًا من حروف الإنجليزية؟».

قالت ليلي وهي تومئ برأسها بحماس: «نعم».

قال لها: «أنا متأكد من أن هذا الحرف هو حرف B، وهذا هو حرف e. وعلى يقين بأن هذا هو حرف s».

«أعتقد أنك على حق، ولكن...». وأشارت إلى الحرف الأخير: «ولكن هذا يعني أن هذا هو حرف e مرة أخرى».



نطقت ليلي الحروف مجتمعة، وقد سيطر عليها العبوس وهي تقول: «Three-Bese هذا ليس مكانًا، إن هذه الأحرف لا تشير إلى كلمة من الأساس». ونظرت إليه في حيرة.

فرك يده على وجهه: «أعرف ذلك».

قالت: «انتظر»، كان صوت ليلى مرتفعاً وقويًا للدرجة التي جعلته يجفل. ومن ثم بحثت عن دفتر اليوميات في حقيبتها وأخرجته لتسحب الصفحة التي قطعها تيري منه، الخريطة المرسومة بشكل معقد لجزء من الفتحات العميقة للأخاديد. وقد بدت كأنها صورة لشبكة كثيفة من الشعيرات الدموية. ومن ثم وضعت الخريطة على الجذل، وأشارت بيدها: «انظر هنا».

انحنى كل منهما ليدرسها بعناية. وكانت هناك نقطة دخول واحدة في بداية الخريطة، كانت لصدع يشق صخرة. ومن تلك النقطة نشأت نحو عشرة فروع أصغر، ومن كل فرع من تلك الفروع انبثق العديد من الممرات الثانوية الأصغر، التي انبثقت منها بدورها مسارات أصغر فأصغر أثناء تفرعها. ومن ثم جرى تمييز السلسلة الأولى من الفروع بالأرقام. أما المسارات التي انبثقت منها، فكانت تصنف بالحروف A, B, C. وبالنسبة إلى سلسلة الفروع الثانية، فقد كانت لها ستة مسارات ضيقة موسومة من A حتى F. أما السلسلة الثالثة، التي كانت موسومة بحذر من قِبَل ديوك بالرقم 3، فكانت أعمق ولها مسارات مميزة بالحرف J.

قال: «حرف B يشير إلى كلمة Branches أي فروع، ولدينا هنا 3 فروع».

قالت: «إذن ما المقصود بـ e s e؟» وما إن نطقت تلك الكلمات، حتى ضربت يدها على الجذل مرة أخرى وقالت: «east, south, east أي الشرق، الجنوب، الشرق، يا إلهي! ليو، تلك هي المنعطفات داخل فتحة الوادي الموسومة بـ 3». مدت يدها وأمسكت بذراعه: «هذه هي الاتجاهات الفعلية».

مال نحو الجذل وهدق إليه.

همس وهو ينظر إليها: «هل أنتِ مستعدة؟».

أومأت برأسها، وكان على وشك أن يقول لها أحبك.

لكنه سمع بعض الأصوات التي كانت مميزة لدرجة أنه كان باستطاعته تمييزها في أي مكان، بالضبط كما يقدر على تمييز صوت أمه مثلاً، أو صوت إنذار سيارة الشرطة، أو صوت تكسير بيضة. وقبل أن يقوم دماغه بتحليل الصوت، تشنجت عضلات جسده.

إنه صوت خطوات أقدام تسحق الفروع الجافة.

وصوت بندقية أو مسدس في وضع الاستعداد للتصويب.

الفصل السادس والعشرون

صدر صوت من خلف ليو: «مرحبًا بالعاشقين، ارفعا أيديكما إلى أعلى».

نظرت ليلي حولها، واتسعت عيناها عندما رأت رجلين يقفان في الظلال.

كان الشخص الذي يحمل المسدس هو الأطول والأضخم، وكانت ملابسه متسخة؛ بل إن سرواله كان قد تمزق وتغطيه الدماء، وكانت الجروح والخدوش تغطي ذراعيه بعضلاتهما القوية. ولم تكن حالة الشخص الآخر أفضل كثيرًا. فقد كان نحيلًا وقصيرًا، بينما كان شعره الأشقر مغطى ببقع من الدم المتجمد بالقرب من صدغيه. وكانت هناك ضمادة قذرة ملفوفة حول يده. وكلاهما كان يرتدي ملابس مموهة شبه عسكرية كالتي كان تيري يفضلها.

افترضت أنهما من «الشباب الضائعين».

نظرت نحو الجذل حيث كان يقف ليو، وأدركت كيف كان مصدومًا. كان يقف أمامها مباشرة، فرفع يديه ببطء وهو يحاكي حركاتها. بدا المشهد مثيرًا للجنون، لكن أول ما خطر ببالها كان تساؤلها عما إذا كان قد تعرض لذلك الموقف في حياته قبل تلك الرحلة؛ أن يجري تصويب مسدس نحوه. فقد كانت حياة ليو طبيعية. وكان يقوم بأعمال مكتبية، ويذهب إلى المقاهي. يا إلهي، لقد ذهب ذات مرة لتجربة صناعة الجبن في فرنسا.

وها هو الآن بعد أن قضى أسبوعًا واحدًا فقط معها، أصبح لديه صديق ميت، وآخر كسرت قدمه، بالإضافة إلى جرح عميق في خده، وسلاح موجه إلى رأسه.

أشار الرجل ذو العضلات البارزة بمسدسه إلى صديقه قائلاً: «جاي، أحضر حقيبتيهما».

قالت: «يبدو أنك تنزف يا جاي»، وأضافت وهي لا تخفي تباهيها بأنها هي وليو على الأقل لم يجعلها أمر تتبعهما سهلاً: «هل سقطت أرضًا؟».

نظر إليها بغضب، وانتزع حقيبتها من فوق ظهرها بقوة جعلتها تسقط إلى الأمام، وتماسكت لكي لا تسقط أرضًا. اندفع ليو بغضب، ودفع جاي إلى الخلف، وأثناء تلك الجلبة، مدت يدها نحو...

ولكن فجأة أحست بشيء معدني بارد موضوعًا فوق جبهتها.

قال الرجل ذو العضلات: «لو أنني مكانك لما فعلت ذلك».

جذبها جاي لتقف على قدميها، بينما سحب الرجل ذو العضلات مسدس تيري من حزام خصرها.

اتسعت عينا ليو: «هل كنت تحتفظين به في بنطالك طوال الوقت؟».

قالت: «ليس طوال الوقت».

قام جاي بتفتيش جيوبها بشكل سريع، بينما كان الرجل ذو العضلات يفتش الحقيبتين، وهو يلقي بلا مبالاة ما لم يثر اهتمامه على الأرض.

قالت ليلي بينما كانت تصر على أسنانها أثناء تفتيشه جيوبها: «دعني أخمن، أنتما صديقا تيري؟ لقد تركنا منذ أيام، أتعلمان ذلك؟».

رد جاي: «نعم». وانتقل إلى ليو وأخذ يفتشه.

سألت وهي تتظاهر بجهلها للأمر: «هل تعرف إلى أين ذهب؟ لقد استيقظنا ذات يوم ووجدنا أنه قد رحل».

متجاهلاً ذلك، لوح جاي إلى صديقه: «كيفن. ألم تجده بعد؟».

أخرج الرجل ذو العضلات المدعو «كيفن» دفتر يوميات ديوك من حقيبتها ورفعها لأعلى مزهواً بنفسه: «وجدته». قلب الصفحات قبل أن يضعه في جيبه الخلفي ويومئ برأسه نحو جذل الشجرة قائلاً: «B-e-s-e 3، هذا مفيد جداً. شكراً لكما».

تنحني ليو ثم قال: «على الرحب والسعة؛ لكن يؤسفني أن أخبرك أن هذه الشفرة مضللة بعض الشيء».

حاولت ليلي ألا تظهر أي تعابير على وجهها.

عبس جاي وهو يقترب: «ماذا قلت؟».

قال ليو: «أتحدث عن الشفرة الموجودة على هذا الجدل. أنت تعتقد أنها تتوافق مع الخريطة الموجودة في الدفتر، وتكشف موقع الكنز، لكنني أجزم أن ذلك غير صحيح. تيري...»، ثم سكت فجأة، وجفل قليلاً، وأردف: «تيري شخص ذكي حقاً، وقد حظي بكثير من الفرص للاستيلاء على الدفتر وفحصه جيداً. ربما تحقق من الأمر، وأدرك أن ديوك لم يترك أي شيء مهم حقاً».

قال جاي وهو يمسح العرق الملتخ بالدماء الذي كان يقطر من جبهته فوق عينيه: «لم يترك أي شيء مهم؟ كيف أمكنك معرفة ذلك؟».

رد ليو: «لو كان هناك شيء مهم لما ترك تيري هذا الدفتر معنا؟» وأخيراً التقطت ليلي الخيط، إذ لو أخذ هذان الأحمقان الدفتر، فلسوف يُقضى عليها هي وليو. استترد ليو: «كما ترون يا رفاق نحن هنا من دونه... ومن المؤكد أنه يعرف شيئاً لا نعرفه».

سأل كيفن متجهماً: «مثل ماذا؟ ما الذي يمكن لـ تيري أن يعرفه؟».

هزت ليلي وشاركتته محاولة خداعهما: «لو أعرف لم وقفت هنا».

أغمض كيفن عينيه لثوانٍ عدة ثم قال لها وقد بدا عليه الانتباه: «إذن لماذا أنتما هنا، إذا كنتما متأكدين تمامًا من أنه لا فائدة من البحث؟».

اضطربت وتلعثمت: «لماذا... نحن هنا؟ حسنًا. نحن هنا...».

قاطعها ليو: «نحن هنا في محاولة لحل آخر لغز لـ ديوك، هذه ليلى وايلدر، أتعرفان ليلى وايلدر؟ نحن نحاول إيجاد طريقة لتتمكن من حل هذا اللغز في محاولة منها لقول وداعًا لوالدها الحبيب».

«صحيح. هذا الأمر يعني لي الكثير، غير أنه من الصعب بالنسبة إليّ أن أتحدث عن ذلك».

ضاقت عينا جاي وهو يتفحصها: «توديع والدك. أنا لا أصدق ذلك». نظر في تحدٍّ وهز رأسه: «أنت فقط تحاولين خداعنا لكي نترك الدفتر. اللعنة عليك».

وفي داخلها، شعرت ليلى بالإحباط.

أمال الرجلان رأسيهما أحدهما نحو الآخر، وأخذا يتناقشان، ولكن كل محاولتهما للتكتم باءت بالفشل عندما قال جاي بهدوء: «إما أن يكون تيري موجودًا هناك بالفعل، وإما أننا سنسبقه ونتحرك من هنا». بعدها أوما برأسه نحو فتحات الوادي، وكأنه يقول: هيا بنا.

نظر كيفن خلفه وأوما برأسه نحو ليو وليلى: «ماذا عنهما؟».

عرض ليو مسرعًا: «يمكنك أن تأخذنا معك، فليلى هي أفضل من يقوم بفك شفرات ديوك».

«كما لو أنك لن تحاول خداعنا عند أول فرصة تتاح لك».

أمال ليو رأسه كأنه يريد أن يقول: بالطبع سأفعل، فأنتما تستحقان ذلك.

أضاف كيفن وهو يلوح بالدفتري: «نحن بالفعل لدينا الدليل الذي نحتاج إليه لتحديد الاتجاهات، ومن ثم لسنا بحاجة إليكما بعد الآن؛ لذلك أعتقد أننا سنقول لكما وداعًا». مد يده نحو حقيبته، وأخرج مجموعة من المشابك البلاستيكية التي تشبه الأصفاد تمامًا مثل تلك التي كانت في حقيبة تيري.

وبينما كان جاي يوجه المسدس نحو ليلي، اتجه كيفن صوب ليو، وسحب يديه خلف ظهره وثبتهما معًا بإحكام شديد. ثم أمره بالجلوس وربط قدميه عند الكاحلين. وعندما حان دور ليلي، فعل الشيء نفسه، وأجلسهما على الأرض العشبية بحيث أمكن لكل منهما أن يرى الآخر.

في لحظة وجيزة، تساءلت ليلي عما إذا كان الرجلان يخططان لإطلاق النار عليهما، لكن جاي التقط حقيبتها، وأخذ لوحًا من البروتين، ثم ألقى حقيبتها وحقيبة ليو بعيدًا عن متناول أيديهما. وأخذ يقضم لوح البروتين، وألقى الغلاف على الأرض عند قدميها، وقال: «آمل ألا تشعرا بالجوع».

سخر منه كيفن وهو يقول: «أنت أحمق، هل تعلم ذلك؟».

هز جاي كتفيه: «لكنني لست قاتلاً، أيًا كان ما سيحدث لهما الآن فسيكون من فعل الطبيعة».

أخرج كيفن دفتري ديوك من جيبه ولوح به أمام وجهها قائلاً: «شكرًا لك مرة أخرى. فإذا رأيت تيري، فأخبريه بالأستاء من حظه العاثر». ألقى نظرة أخيرة على مقتنياتها المتناثرة على الأرض، وأعطى حقيبتيهما ركلة أخرى. وبابتسامة متكلفة صغيرة، أضاف: «حظًا سعيدًا يا ليلي وايلدر».

كانت الشمس ساطعة فوق رأسيهما. وقبل أن يتمكننا من استيعاب وضعهما السيئ، بدأت ليلى تتعرق.

قال ليو: «لا أستطيع أن أصدق أن هذا قد حدث في الحال. أعتقد أننا قد تعرضنا للسرقة والتقييد على أيدي أغبي شخصين في العالم».

قالت: «هل ما زلت قادرًا على رؤيتهما؟» نظر في الاتجاه الذي سلكه هذان الأحمقان.

أجاب: «نعم»، ثم انحنى جانبًا وأضاف: «ولكن بالكاد أرى أنهما لا يزالان يسيران على طول الجدار الصخري».

«أخبرني عندما لا تتمكن من رؤيتهما». كانت تفكر بشكل محموم في كل طريقة ممكنة للهرب، وشعرت بكراهية شديدة تجاه تيري؛ لأنه السبب في قدوم هذين الرجلين. ولو لم يكن قد مات بالفعل، لكانت قد دفعته من ذلك الجرف بنفسها.

«حسنًا». صمت ليو لحظة قبل أن يتحدث مرة أخرى: «ليلى».

«نعم؟».

«أريد منك أن تعلمي أن الوقت الذي أمضيته معك أفضل أوقات حياتي على الإطلاق».

صمتت وقطبت جبينها: «يجب أن تعلم أننا لن نموت هنا يا فتى المدينة المتيمة».

ضحك: «أعرف؛ لكنني سمعتك تتنفسين بغضب، وأردت تشتيت انتباهك».

اعترفت: «فعلًا أنا غاضبة بشدة». خفق قلبها بقوة، وبدا الأمر كأن جسدها كله يرتعش، استطردت: «لا أستطيع أن أصدق أنهما حصلوا على الدفتر. لا أستطيع أن أصدق أننا مقيدان هنا بينما هما...».

«ليلي».

«... يتصرفان كما يحلو لهما، ويستخدمان كل ما كرس والدي حياته من أجله ل...».

قاطعها قائلاً: «أتعلمين أنني بعد أن افترقنا حاولت ذات مرة الارتباط بفتاة؛ لكنها تركتني وبعثتني بالأبله».

ضحكت على الرغم مما تشعر به من إحباط وقالت: «نعم، لماذا؟».

«لأنني كنت أتصرف بحماقة».

«ولماذا كنت تفعل ذلك».

«لأنها لم تكن أنتِ. أجزم بأنها تحدثت عني كثيرًا مع أصدقائها، وأخبرتهم بأنني مجنون ومعقد جدًا».

«أنا أيضًا حاولت الارتباط بعدك، وفي أول مرة خرجت فيها بصحبة هذا الشاب انتابني شعور غريب بالغثيان وتركته ورحلت دون أن أتفوه بكلمة واحدة».

«يا إلهي، ولماذا انتابك هذا الشعور؟».

«ربما لأنني كنت حزينة للغاية». ثم توقفت مدركة ما فعله في الحال: «أنت تحاول تشتيت انتباهي يا راعي البقر».

«حاولت أن أمنحك فرصة لتهدئي قليلاً». ثم مال برأسه، وأضاف: «لقد ابتعد هذان الغيبان، علينا التفكير في طريقة للهرب قبل عودتهما». وحاول أن يفك قيوده.

حان دورها للتحدث بجدية: «بالطبع تعرف أنني أود ذلك، فلا أحد يعرفني كما تعرفني أنت».

أصبح هو أكثر هدوءًا، بينما كان الهواء يبدو دافئًا وثقيلًا حولهما: «أتذكرين تلك المرة التي ذكرت فيها أننا لن ننجح؟».

شعرت بالخوف والقلق؛ لكنها حاولت التركيز: «أعتقد أن لدي بعض الأفكار».

«مثل؟».

«إذا تمكن أحدنا من مساعدة الآخر على الوقوف؛ لأمكنك حينها قطع هذه الأصفاة».

«أقطعها بماذا - بحبي للحرية؟».

ضحكت: «ألم يلقى القبض عليك من قبل؟».

«هل هذا سؤال جاد؟ أنا أقوم بابتكار خوارزميات الاستثمار. وعادة ما أكون في سريري في التاسعة مساءً، فما الموقف الذي سيجعلني عرضة للقبض عليّ وتقييدي بالأصفاة؟».

«حسنًا، هذا يعني لا...».

سأل بارتياح: «هل ألقى القبض عليك من قبل؟».

تجاهلت ليلى هذا الموقف المحرج، وعادت إلى المشكلة الأصلية قائلة: «الأمر أسهل عندما تكون يداك أمامك؛ ولكن مع ذلك بإمكانك فعل ذلك ويداك خلفك. لست متأكدة من أنني قوية بما يكفي لقطع هذا النوع؛ ولكن ربما يمكنك أنت فعل ذلك. ستخفف ذراعيك بقوة كافية لتقطع القيود بالقرب من أضعف نقطة».

سادت فترة من الصمت دون أي رد: «والخيار التالي؟».

«هذان الشخصان المجنونان لم يجدا السكين الموجودة داخل حذائي الطويل».

«هل معك سكين؟».

«نعم، لكنني نسيت أمرها بسبب غضبي وتفكيري في تيري، وأنه لو كان لا يزال على قيد الحياة لقتلته بنفسي. أترى؟ من الجيد أنك هدأتني».

استغرق الأمر أكثر من بضع دقائق من العمل؛ ولكن في نهاية المطاف تمكن ليو من الميل على جانبه بالاتجاه الصحيح، وحرك يديه إلى الأسفل حتى أصبحت بالقرب من حذائها. سألته: «هل يمكنك فك الحذاء».

«أعتقد ذلك، يبدو الأمر كأن لديّ عشرة إبهامات». ولأن يديه كانتا مكبلتين خلفه، تخبط كثيرًا قبل أن يتمكن من الوصول إلى فردة حذائها وفك أربطتها. قالت: «حسنًا، سأحاول أن أخلعها؛ لكن هل يمكنك مساعدتي؟». «نعم... حسنًا...».

«لكن اضغط على ذلك...».

«هل يمكنك سحب قدمك قليلاً؟».

«يا إلهي، كيف يمكنني أن أسحب قدمي؟».

«لا أعرف، حاولي فقط أن تجعلي قدمك أصغر حجمًا داخل فردة حذائك».

«ماذا يعني هذا؟».

وبحلول الوقت الذي كانت فيه الشمس في أعلى نقطة لها في السماء، كانا هما في حالة من الفوضى، بعد أن تمكنا من إخراج قدمها بدرجة كافية لتسقط السكين على الأرض. حاول ليو التقاطها بفمه ثم أمسكها بيديه، وبعد محاولات عدة اتخذ موقعه خلفها.

قالت ليلي وهي تنفث الهواء في محاولة لإبعاد شعرها عن جبهتها الرطبة: «حسنًا». بالكاد تحركت من مكانها؛ لكنها كانت منهكة، وأردفت: «أخرجها من غمدها، وحاول بحذر قطع أصفاد يدي».

هز رأسه ومرر إليها السكين: «افعلي ذلك بنفسك. شيء ما ينبئني بأنك أكثر كفاءة في استخدام السكين مني».

أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تتحسس بحذر شديد القيود، وتحدد مكان القطع، وحاولت الإمساك بالطرف غير الحاد من السكين مستخدمة أصابعها.

قالت له: «لا تتحرك».

ضحك بعصبية. «صدقيني، لن أذهب إلى أي مكان».

مرت بضع دقائق، وهي تحرك السكين برفق، وتتفحص درجة تقدمها في العمل، مع توخي الحذر لكي لا تصيبه بجرح شديد، بالإضافة إلى محاولة الحفاظ على أصابعها من الإصابة بالخدر وإسقاط السكين.

«ليلي، في حال عدم خروجنا من هنا...».

«سوف نخرج».

وكرر: «إذا لم نستطع فعل ذلك، فأنا أحبك حقًا».

حاولت أن تخفي ابتسامتها حتى تستطيع التركيز، فأضاف ليو: «أنتِ رائعة حقًا».

«رائع؛ ولكن لا تتحرك».

همس متألمًا: «كن فقط ساكنًا». وتجمدت هي قائلة: «يا إلهي، آسفة».

«استمري في العمل. إنه مجرد جرح سطحي».

أخذت نفسًا واستمرت في محاولتها قائلة: «أظن أنني... أوشكت على... الانتهاء...». ومع صوت طقطقة صغيرة، اختفى الضغط عن كتفي ليو، وارتخت ذراعاها.

قال: «يا إلهي!»، ثم عدّل وضعيه جسده ليتمكن من النظر إليها: «لقد فعلتها!».

غمرت الفرحة قلبها، وتدفق الأدرينالين في عروقه وهي تقول: «أسرع، أسرع».

وبيد مهتزة، قطع ليو أصفاد كاحليه ثم أصفادها. واندفع الدم إلى أصابعها مُحدثًا وخزًا مثل ذلك الناجم عن وخز الدبابيس والإبر. وعندما همت بالوقوف شعرت بألم في عضلاتها، وبوخز في ساقها، وكانت قدمها مصابتين بالخدر تقريبًا. كانت أيديهما مخضبة بالدماء؛ لكن لم تكن هناك إصابات خطيرة. وبالاعتماد على مخزون الطاقة الأخير المتبقي لديهما، ترنحا إلى حيث توجد حقيبتاهما، وأخذا يدفعان بكل شيء إليهما، وركضا بأسرع ما يمكنهما إلى الخلف نحو الطريق الذي جاء منه، هارين ليحتميا بظل الوادي.

الفصل السابع والعشرون

اندفعا عبر الشجيرات الشائكة والصخور المسننة، وأخذا يركضان على طول ضفة النهر، وينظران مرارًا خلفهما، ثم احتميا تحت الظلال الباردة؛ حيث ظن ليو أن بإمكانهما الاختفاء بعيدًا عن الخطر، واستغرقا في التفكير في خطوتهما التالية.

وبعد ثوانٍ عدة من الوقوف انحنى كل منهما ليتنفس ويسترد عافيته، واستقامت ليلي ثم سقطت أرضًا مستندة إلى جدار صخري. وكان من الواضح أن ابتهاجها بتحررها قد تلاشى، وما تبقى لديها هو مرارة الهزيمة.

قالت: «ما حدث محبط للغاية».

إذا كان هناك كنز بالفعل، فإن شخصًا آخر قد استولى من فوره على كل أدلة ديوك، وأضاع مجهودهما الشاق، وانتزع كل شيء منهما أمام ناظريهما مباشرة. بقدر ما كان دماغه المتأثر بارتفاع هرمون التستوستيرون يحثه على التصرف بتهور والركض وراءهما ومطاردتهما لاسترداد ما هو من حقهما! عرف ليو أن ذلك سيكون تصرفًا غير حكيم؛ لأن الرجلين كانا مسلحين، ومن الواضح أنهما ينتهجان تصرفات تيري المختلفة نفسها. وبالإضافة إلى ذلك، كانت ليلي على وشك أن تفقد أعصابها تمامًا، وعلى الأقل لا بد أن يظل أحدهما قادرًا على التصرف بعقلانية.

في الحقيقة، بدا إلى حد ما كأنه يهتم بالمال فقط. بالطبع هو يهتم بالمال، فهو ليس أحرق ليظن أن المال لا أهمية له؛ لكنه كان يحارب بالنيابة عنهما، خصوصًا عندما بدت ليلي كأنها لم تعد تمتلك أي طاقة للمواصلة. هل كان من شأن الثروة المفاجئة أن تجعل كل شيء أسهل؟ بالطبع نعم، لكنه في أعماق نفسه كان شغوفًا بمساعدة ليلي على بناء حياة تجلب إليها البهجة الحقيقية، أكثر من اهتمامه بأي شيء آخر. فاليأس شعور قاتل، وهو يعرف ذلك جيدًا.

أوحت ووقفها ثم طريقتها وهي تجلس على الأرض بالإرهاق، وبدأت تتناول قطعة من لوح البروتين بفتور، وتحقق بهدوء إلى الصخرة التي أمامها. لم يكن ليو بحاجة إلى أن يكون قارئاً للأفكار ليدرك أنها غارقة وسط دوامة من الأفكار المهلكة. فقبل عشرة أيام من ذلك الوقت، كان ليو يجلس في حفل تخرج كورا، ويتناول العشاء، غارقاً - مثلها هي الآن - في دوامة من الأفكار: إن كورا لم تعد بحاجة إليه بعد الآن، وهو ليست لديه أي فكرة على الإطلاق عما سيبدو عليه الأمر عندما يعيش حياته لنفسه.

قالت ليلي وهي تمضغ وتبتلع بصعوبة: «لا أريد أن أرى أي لوح بروتين آخر فترة طويلة، ولو بعد عشرين عاماً سيبدو أقل من المطلوب».

«معك حق».

بدا أنها لا تكترث لقيادة الأرض تحتها؛ لأنها استلقت على ظهرها وحدقت إلى السماء الصافية التي بدت كأنها محاصرة من كل اتجاه بالصخور التي تلوح في الأفق فوق رأسها. قالت يائسة: «لنلخص الأحداث، لم يكفِ أنني لا أملك أي أموال، أو أننا تعرضنا للسرقة تحت تهديد السلاح، ولكن غداً سأضطر إلى الاتصال بالشرطة والتعامل مع مشكلة الجثة، ولا أعرف من أين أبدأ».

قال: «أعتقد أن الأمر سيكون على ما يرام، فعلى الأقل سنواجه هذه المشكلات معاً وبعدها نواصل حياتنا».

أغلقت عينيها وهي تطلق زفرة بطيئة.

قال: «هل هذا هو الوقت المناسب لتذكيرك بأنني أعرفك أفضل من أي شخص آخر؟».

«ليو، أنا لا...».

قال: «استمعي فقط إليّ، فلديّ في نيويورك شقة صغيرة لكنها جميلة. أعلم أن الأمر ليس مثاليًا؛ لكن تلك المرة يمكنك أن تعودتي معي. بعض الوقت فقط، حتى تتمكن من تحديد الخطوة التالية. لقد ادخرت مبلغًا من المال. وهو لا يكفي لتشتري به مزرعتك مرة أخرى؛ لكنني على الأرجح سوف أحصل على تلك الترقية، وربما إذا عملت عامًا آخر ووفرت كل قرش، يمكننا أن ننتقل إلى الشمال، إلى أي منطقة ريفية حيث يمكنك اصطحاب الخيول معك».

«ماذا سأفعل في نيويورك حتى تتمكن من الانتقال؟».

«ستتظاهرين بأنك في إجازة».

«وماذا عن بوني؟».

«تستطيع نيكول الاعتناء بها وبقية الخيول حتى نصبح قادرين على اصطحابها إلى حيث سينتهي بنا المطاف. وأنا سأعتني بك».

كان وجه ليلي يوحى بأنها تود أن تقول: وما الذي يجعلك تعتقد أنني أحتاج إلى شخص ما ليعتني بي؟

قال: «أحاول فقط إيجاد طريقة يمكننا أن نكون بها معًا». وأضاف مستسلمًا لشعوره بالإحباط: «أما إذا كنت لا تريدين ذلك، فأظن أنه لا فائدة من كلامي هذا».

أغلقت عينيها، وقالت: «معك حق، أنا فعلاً لا أريد ذلك، آسفة. إنني أجلس هنا وأحاول أن أتخيل الذهاب إلى مكان آخر؛ لكنني لا أستطيع أن أترك نيكول. أضف إلى ذلك أن كل ما أملكه من المال هو ثلاثمائة دولار تقريبًا؛ ما سيجعلني معتمدة عليك كليًا وأنا لا أستطيع فعل ذلك». وظلت تكرر بهدوء التعبير عن عدم قدرتها على فعل ذلك.

قال: «الآن بعد أن سددت رسوم كورا الدراسية، يمكنني كسب ما يكفي من المال لإعالتنا نحن الاثنين، فأنا لا أهتم بالمال».

«لكنني أهتم، لا أريد منك أن تتحول من إعالة امرأة إلى إعالة امرأة أخرى. لا أريد أن يكون لدينا مثل هذا النوع من العلاقة».

«أنا لا أرى الأمر بتلك الطريقة على الإطلاق».

اندفعت لتتحدث متجاهلة ما قاله: «يمكنني بيع كوخ ديوك؛ ولكن من الأحق الذي سيشتري أرضاً في هيوستون؟». نظرت إليه، وأضافت: «يجب أن أعتد على نفسي وعلى مجهودي الخاص. فلا يمكنك تحمل هذا العبء نيابة عني».

«حسنًا. لن أجبرك على شيء».

قالت بهدوء: «صدقني، تستهويني محاولتك إقناعي. إن المسألة هي أن هذا ليس أمرًا سهلاً».

قال لها: «بالتأكيد سنجد حلًا ما؛ لكن ربما ليس اليوم. دعينا نمض».

وقف كل منهما متألمًا ومغطى بالكدمات، فضلًا عن اتساخ ثيابهما؛ لكن لا بأس، على الأقل ما زال على قيد الحياة ينعم كل منهما بصحبة الآخر.

في قرارة نفسه فكر ليو بكآبة: غدًا، ربما سيتعين عليّ أن أقول لها وداعًا.

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر جلسا على قمة حافة صغيرة وأرجلهما متدلية، ويده تمسك بيدها. شعرا بأنهما قد مضى عليهما عام كامل وهما مستيقظان. وبدت السماء أمامهما

بديعة وهي تتلألاً وكأنها حجر كريم نادر. وكانت حقيبة ليلي مفتوحة بجانبها، وعلى الرغم من وجود ملابسها فيها، بدت فارغة لعدم وجود دفتر اليوميات بها.

قامت بسحب هاتف تيري الذي يعمل عبر الأقمار الاصطناعية لتشغيله. ورأى ليو أنه يجب أن يكون ممتناً لأن جاي وكيفن لم يأخذه خلال تفتيشهما حقيبة الظهر الخاصة بها، قالت ليلي: «سأخبر نيكول بأن عليها أن تصطحبنا غداً».

أوماً برأسه وهو يراقبها وهي تطلب الرقم من ذاكرتها. وبصوت خافت، سمع رنين الهاتف. «مرحباً؟».

«مرحباً، هذه أنا». ولم يسمع أكثر من الصوت العالي لـ نيكول، ولكن دون أن يتبين الكلمات. هزت ليلي رأسها وقالت: «لقد تعرضنا للهجوم»، وبعد أن صمتت، أضافت: «سأشرح كل شيء لاحقاً؛ لكن تيري كان يعمل مع بعض الرجال الآخرين. لقد تتبعنا اثنان إلى هنا وأخذنا المسدس وقيدنا». صمتت مرة أخرى، وكان بإمكان ليو أن يسمع صوت صراخ نيكول المشوش، وتابعت ليلي: «نعم، أنا جادة. نيكول استمعي فقط. عليكم أن تصطحبونا أنا وليو من حيث تركتمونا، سنحاول الوصول إلى هناك قرابة الساعة الثانية غداً بعد الظهر». صمتت مرة أخرى، ونظرت إليه وهي تقول: «نيكول تخبرنا بأن برادلي اضطر للعودة إلى نيويورك، ووالتر يتعافى في فندق في موآب». ثم حولت انتباهها إلى نيكول مرة أخرى: «إذن أعتقد أنه سيكون عليك القدوم بمفردك لاصطحابنا. استعدي لقضاء ليلة كبيرة في مقهى أرشي قبل سفر ليو».

يا إلهي.

قالت ليلي وداعاً، وسحبت الهاتف بعيداً عن أذنها، وضغطت زر إنهاء المكالمة قبل أن تدفعه في حقيبة ظهرها. حدقت إلى أسفل بضع ثوانٍ قبل أن تطلق صيحة غضب.

قالت: «لقد كرهت ذلك الدفتر؛ لكن الأمر الأسوأ هو أنني أعلم أنه الآن ملك صديقي تيري الأحمقين. كان هذا الدفتر هو كل ما تركه لي ديوك».

لم يكن ليو يعرف ماذا يجب أن يقول، فقد كانت علاقتها بهذا الدفتر معقدة للغاية، ولم يتمكن من التظاهر بفهم مدى تعقيدها؛ لذا بدلاً من التفوه بأية كلمة، ضغط على يدها.

سحبت صورة ديوك وهو يتكى على الشجرة، وأفلتت يد ليو لتحمل الصورة بكلتا يديها. في يوم من الأيام، عندما تتخلص من شعورها الحالي بخيبة الأمل، ربما سيكون بمقدورهما التحدث عن والدها، وكيف غيرت تلك الرحلة مشاعرهما تجاه ماضيهما المشترك؛ ولكن هذا اليوم لم يأت بعد.

قالت بهدوء: «أنا غاضبة جداً ومتشوقة لمعرفة ما إذا كان هذان الوجدان قد عثرا على أي شيء».

اندفعت الكلمات من فمه: «يا إلهي، وأنا أيضاً. إن الفضول يقتلني».

ضحكت: «من ناحية أقول لنفسي: اللعنة عليهما، وآمل ألا يكون هناك كنز من الأساس؛ ولكنني أيضاً أريد إقناع نفسي بأننا كنا قريبين من كنز ديوك».

«أوافقك الرأي».

نقرت ليلي بأصابعها على فخذهما كالعادة، واقتربت أكثر من الصورة، وهي تُضيق عينيها. ثم رفعتها عنها، وعبست ثم حدقت إلى الصورة مرة أخرى، وهي أكثر تركيزاً الآن، وقالت: «انتظر».

كان هناك شيء في صوتها يأسر قلبه، ويجعل الأدرينالين يتدفق في عروقه.

سألها: «انتظر ماذا؟».

أشارت إلى الصورة: «هل ما أراه صحيح؟». أعطته إياها وأغلقت عينيها قائلة: «صف لي كل ما تراه بكل تفاصيله».

«لماذا؟».

هزت رأسها: «أخبرني فقط». أخذ يحدق بجمود في وجهها بضع ثوانٍ دون فهم، وبلا رغبة في التمسك بالأمل الضئيل الذي بدأ يشعر به، حتى مدت يدها ودون أن تفتح عينيها أشارت إلى الصورة مرة أخرى: «افعل ذلك يا ليو».

قال: «حسنًا، حسنًا. إنها صورة بالأبيض والأسود لكوخ في الوادي صغير الحجم، ومصنوع من الخشب، ويبدو أن عرضه لا يتجاوز 4 أمتار على الأكثر، وفيه نافذتان صغيرتان ومتطابقتان بينهما مدخنة، وديوك يتكئ إلى الشجرة التي توجد على اليسار يحمل مشروبًا ويبتسم». أطلق زفرة ببطء وأضاف: «شجرة ديوك، الجدل الذي وجدناه».

«يسارنا أم يساره؟».

نظر إليها ليو في حيرة من أمره: «الجانب الأيسر من الصورة. إنه متكئ إلى الشجرة بذراعه اليمنى».

«ما اليد التي تحمل زجاجة المشروب؟».

نظر إلى الصورة مرة أخرى: «يده اليسرى».

«بالضبط. كم عدد الأصابع التي تراها؟».

أحس بتوتر شديد وهو يقول: «يا إلهي».

نظر إليها فرآها تهز رأسها، وهي تبتسم، وقد اتسعت عيناها: «إنه أمر مستحيل، أليس كذلك؟ فليس لديه في يده اليسرى إلا أربعة أصابع».

«إذن كيف...؟».

استعادت الصورة: «لقد تعمد التضليل لكيلا يتمكن سوى شخص يعرفه جيدًا من فهم الصورة والتخمين، ليو: تلك الصورة صورة معكوسة».

صورة معكوسة!

لم يكن ديوك متكئًا على الشجرة الموجودة على اليسار، بل كان متكئًا على تلك الواقعة على اليمين، وهما لم يبحثا عنها مطلقًا.

سألها: «ولكن هل رأيت جذلاً آخر؟». لم يرَ ليو أي شيء بخلاف الخشب المتعفن والأحجار المتهدمة.

ابتسمت ليلي له قائلة: «لا، ولكن وارد جدًا ألا تتمكن من رؤيته إذا كان قد قام بدفنه تحت المدفأة المنهارة».

أطلق ليو أنفاسًا لاهثة: «يا إلهي. يجب أن نعود».

استدارت ليلي، وأخذت تنقب في الحقيبة بشكل محموم: «أعطني أرقام برادلي ووالتر». أخبرها بالأرقام سريعًا، ونظر إليها وهي ترسل رسالة نصية إلى المجموعة: كانت الصورة معكوسة، لا تأتي الآن يا نيكول. سوف نتصل بك عندما نعرف أكثر.

نقرت ليلي على زر «إرسال» قبل إعادة الهاتف إلى حقيبتها.

قالت: «سنحاول مرة أخرى؟»، وابتسمت ابتسامة عريضة لدرجة أنه كان يستطيع عد أسنانها.

«لنحاول مرة أخرى».

الفصل الثامن والعشرون

بدا المشهد واضحًا تمامًا أمامهما، وبمجرد أن تأكدا من أنه ليس هناك أي شخص آخر في مكان قريب، هرع كل من ليلي وليو نحو المدخنة المتهالكة، عائدين إلى حيث كانا موجودين قبل ساعتين تقريبًا. وعلى الرغم من أن أيديهما كانت مغطاة بالجروح والخدوش، فإنهما لاحظا ذلك فقط أثناء بحثهما في كومة الحطب ليعثرا على الجذل الذي كان في حالة أسوأ كثيرًا من ذلك الذي على الجانب الآخر.

مضت سنوات غطته فيها الصخور والحطام؛ ما يعني أن الخشب لم يجف ويشيخ مع مرور السنوات مثلما حدث مع الجذل الآخر، غير أن جزءًا منه كان منتفحًا، وقد تعفنت وتساقطت أجزاء من اللحاء. عبرا عن أملهما في أن يكون ما تبقى منه مقروءًا.

انحنى ليو ليتأمله بينما كانت ليلي تتجول خلفه، وقد بدا عليها التوتر ثم سألته: «هل ترى أي شيء؟ هل هي شفرة برايل مرة أخرى؟».

«بالتأكيد هناك شيء ما هنا». مد يده نحو الحقيبة وأخرج قنينة الماء ليسكب بعضه فوق سطح الجذل، تمامًا مثلما فعلت هي في المرة السابقة، وقال: «حسنًا، هل ترين تلك الدوائر؟».

جلست إلى جانبه، وعلى الرغم من أن العلامات لم تكن واضحة، فإنها وافقته على أنها كانت مشابهة لتلك التي رآوها سابقًا.

لكنها كانت متعبة، وكلما طال تحديقها إليها، بدا الأمر كأنها تسبح أمامها، وتتحول إلى أشياء صعبة الوصف، قالت: «النظر إليها يجعل عقلي يتوقف عن التفكير».

«هل نحن متأكدان تمامًا من أن الشفرة الأولى كانت وسيلة للتضليل؟ وهل من الممكن أن يفعل ديوك ذلك؟».

«بالتأكيد. أكاد أشعر بأنه كان من الغباء عدم توقعي ذلك».

حدق إلى أسفل في التراب، وإلى أعلى نحو جذل الشجرة، مرارًا وتكرارًا ليتأكد بعدها وقال: «إذا كانت صورة ديوك معكوسة، فهذا بالتأكيد جذل الشجرة الصحيح».

شدت على يده، وقالت: «دعنا نتعامل مع هذا التحدي». بعدها نظرت إلى الخلف تجاه أعلى الطريق ناحية الأخاديد في زعر، إذ لم تكن قادرة على التخلص من الشعور بأنهما ليسا وحدهما: «قد لا يكون هذان الأحمقان ذكيين؛ ولكن على افتراض أننا محقان بشأن جذل الشجرة، فلن يمضي وقت طويل قبل أن يدركا أن الاتجاهات السابقة خطأ. وإذا عثرا علينا فلا أعتقد أنهما سيكتفيان بتقييدنا فقط تلك المرة».

سمعت وقع أقدام تسحق أوراق الشجر خلفهما، وتلك المرة عرفت ليلي أنها لم تكن تتخيل ذلك، وأمسكت السكين بيدها في تحفز، ورأت رجلًا واقفًا على بعد 9 أمتار تقريبًا، وأشعة الشمس الغاربة مسلطة على ظهره. اندفع كلاهما للوقوف، وجذب ليو ليلي خلفه ليحميها.

همت ليلي لتدفع ليو خلفها؛ لكنها سمعته وهو يقول بارتياح: «يا صاح».

«من؟ برادلي؟».

ضحك برادلي بينما كان يتأمل تعبيرات وجهيهما، ثم هز رأسه قائلاً: «يا إلهي ها قد عثرت عليكما، تبدوان مذعورين للغاية. إنه أنا فقط».

تبادل ليو وليلي نظرة قصيرة حائرة.

سأله ليو: «كيف...؟ ماذا تفعل هنا؟ قالت نيكول إنك عدت إلى نيويورك».

بدا برادلي متفاجئًا للحظات: «لقد تحدثتما إلى نبي...، حسناً. أخبرتها بأنني سأعود إلى المنزل؛ لكنني في الحقيقة لم أستطع تحمل فكرة زهابكما من دوني». جفل محاولاً تبرير الموقف: «هذه أكثر مغامرة ممتعة سأقوم بها في حياتي، لم أستطع تفويتها. والآن أخبراني بما حدث، أجزم بأنكما واجهتما الكثير من الأحداث الجنونية»، ثم أطلق صرخة قوية وابتسم لهما.

رأت ليلي أن ليو تحت أي ظرف آخر كان سيتقدم ليعانق صديقه؛ لكنه لم يتحرك من مكانه، ولم تخفض هي سكينها. كما أنها لم تستطع أن تتخلص من الشعور الغريب الذي كان ينتابها ويخيفها كأنها ترى أمامها أفعى مجلجلة. لماذا يخاطر برادلي بالدخول في الوادي بمفرده، إلا إذا كان لا يثق بـ ليو؟ ألم يكن من المفترض أن يقابلهما مرة أخرى في هيوستون كما خططوا؟

غافلاً عن أجواء التوتر المحيطة به، اقترب برادلي، وأشار إلى الجذل: «هل هذه هي الشجرة نفسها التي في الصورة؟ أحسنتم يا رفيقي. لقد وجدتماها».

لاحظت ليلي أن ليو يستخدم قدمه ليمسح تماماً الرموز التي رسمها في التراب دون أن يلفت انتباه برادلي، فأحست بالقلق. كان هناك شيء مريب بالتأكيد، فمتى ترك برادلي نيكول؟ وكيف وجدهما بتلك السرعة؟

ولسوء الحظ، لاحظ برادلي أيضاً تصرف ليو، فتغيرت ملامح وجهه، وقال: «ماذا؟ لا تتصرف هكذا يا رجل».

قال ليو بهدوء: «إنه لأمر غريب أن تظهر هنا، أنا فقط أفكر في الأمر».

أطلق برادلي ضحكة مصطنعة: «ما الأمر. ما الغريب؟ لقد أتيت للمساعدة، والعمل الجماعي، فما المشكلة؟ ألم تقل ليلي إن المغامرة تتطلب العمل الجماعي؟ ما الشفرة؟».

حك ليو ذقنه ونظر بعيداً، شاعراً بانقباض في صدره.

قال برادلي متظاهراً بأن مشاعره قد جُرحت: «ما خطبك يا ليو؟ هذا أنا. ما الذي تفكر فيه؟»، ثم مد يده ليضرب ذراع ليو وهو يمازحه: «لقد عبث هذا الكنز برأسك بالفعل».

قال ليو: «الأمر ليس كذلك». بعدها نظر خلفه نحو الاتجاه الذي اختفى فيه الرجلان الآخران في وقت سابق، وأردف: «الرجلان اللذان احتجزانا تحت تهديد السلاح اليوم لم يندهشا لرؤية اثنين منا فقط هنا. أحاول فهم ذلك».

سأل برادلي وهو يهز رأسه: «عن أي رجلين تتحدث».

تجاهل ليو رده وقال: «بعد قراءة الرسائل التي كانت بين الشباب وتيري علمنا أنه من الطبيعي ألا يندهشا عندما نخبرهما بأنه تركنا، لكن كيف عرفا أننا انفصلنا عن المجموعة، ما دام تيري لم يرد عليهما منذ ذلك الحين؟ من أخبرهما بأننا انفصلنا؟».

حدق برادلي إلى ليو وقال: «عذراً، ما الذي تتحدث عنه؟ هل احتجزك شخص ما تحت تهديد السلاح؟ أكانا رجلين من المدينة؟» ثم قطب جبينيه وأضاف: «صديق لي، النادل؟».

تملكت ليلى حالة من عدم الارتياح؛ ما جعل نبضها يتسارع. قالت بهدوء: «أنت تعمل معهما».

شحب وجه برادلي: «ماذا؟ مع من؟».

أجابه ليو: «كان هناك أربعة أشخاص في تلك المحادثة». بعدها أمال رأسه، وقال له بوضوح، وقد ارتخت أساريره: «كيف عرف جاي وكيفن أن عليهما أن يأتيا إلى هنا إذا لم يتم إخبارهما بصورة ديوك؟ قالت الرسائل النصية إنهم فقدوا أثرنا بعد أن غادرنا المكان السابق أعلى الوادي».

قالت ليلي: «لا بد أن برادلي اتصل بهما، ربما عندما اصطحب والتر إلى المستشفى. إلا إذا... في الحقيقة لم يزعج أحد نفسه سابقًا بالنظر في حقيبة ظهره، وكان بإمكانك الاتصال بهم ليلة العاصفة».

للحظة بدا برادلي مصدومًا حقًا.

ثم تغيرت تعابير وجهه، واستغرق في الضحك، وانحنى حتى خصره وهو يقول: «يا إلهي، لا أستطع تحمل ذلك»، ثم استقام وهو يمسح بيده وجهه: «ليس هذا ما أردت أن تقول إليه الأمور. لا أعرف لماذا أضحك يا رفاق».

وفي اضطراب واضح، أشارت ليلي إلى ليو، وأخذت خطوة إلى الوراء. وهي تقول: «ليو. دعنا نذهب».

لكن ليو وقف بثبات، وأخذ يحدق إلى برادلي قائلاً: «لقد أرسلنا إليك رسالة نصية». بعدها ابتلع ريقه وقد بدت عليه علامات الحزن. وأخبرتها نظرة سريعة نحوه بأنه كان في حالة كبيرة من الصدمة، وسريعًا أضاف: «لقد أرسلنا رسالة نصية إلى المجموعة نقول فيها إن الصورة كانت صورة معكوسة». نظر ليو حوله، وأدركت ليلي أن الأصوات السابقة لم تكن من خيالها. كان جاي وكيفن في مكان قريب، مختبئين في الظل وواقفين هناك طوال الوقت، منتظرين رؤية كيف سينتهي الأمر. وأردف ليو: «ما لا أفهمه هو كيف وصلتك الرسالة إذا كنت هنا بالفعل. فلا توجد إشارة هنا».

قالت ليلي: «بالطبع يستطيع تلقيها إذا كان يقوم بإعادة توجيه جميع الرسائل إلى هاتف متصل بالأقمار الاصطناعية».

مد برادلي يده نحو جيبه وهو يتنهد بشدة، وأخرج جهازًا صغيرًا: «اللعنة، لم أكن أعتقد أنك سوف تلاحظين ذلك». ابتسم ابتسامة عريضة، وأضاف: «من السهل إخفاء الأشياء في

الحقيقية إذا لم يكن هناك أحد سيهتم بتفتيشها فعلاً. يا إلهي، يا ليلي، ما الفائدة من وجود قواعد إذا كنت لن تنفذها؟»

تقدمت ليلي إلى الأمام بغضب، لكن ليو أوقفها، وقال: «لقد كنت هنا طوال الوقت. لقد بدأت تتبعنا في الليلة التي تركت فيها نيكول، أليس كذلك؟»

أدخل برادلي الهاتف في جيبه مرة أخرى، ورفع يديه قائلاً: «يا رفاق، أرى أنه ينبغي ألا يأخذ هذا الأمر منحى مأساوياً إلى هذا الحد. فقط ضعي السكين أرضاً وعودي إلى المنزل. ودعونا ندخل هناك ونحصل على المال. وسوف نضحك من هذا الأمر برمته لاحقاً.»

احمر وجه ليلي من الغضب، حتى إنها صارت ترى كل شيء من حولها مغلقاً بوهج ناري، كررت كلامه بحدة: «عليّ فقط أن ... أعود إلى المنزل؟ وسوف تضحكون على الأمر برمته لاحقاً؟ هل تمزح معي الآن؟»

نظرت إلى ليو، الذي بدا كأنه لا يستطيع أن يصرف انتباهه عن وجه برادلي، وقال في ذهول: «لقد دفعت تيري.»

خرج جاي وكيفن من الظل ليقفا تحت أشعة شمس الظهر، وقالا في دهشة: «ماذا قال؟»
لوح لهما برادلي: «لا تقلقا بشأن ذلك.»

سحب جاي مسدسه، وأسنده إلى ساقه، وقال: «براد، ماذا يقصد ليو بقوله: لقد دفعت تيري؟»

أصابت ليلي القشعريرة، وأحست بأن هناك من يمرر أصابعه الباردة كالثلج على بشرتها.

قال برادلي بانزعاج: «اسمي برادلي، وأنا لم أدفعه. لقد جعل الوضع يخرج عن السيطرة عندما أخرج مسدسه في وضح النهار. لقد كان سقوطه من فوق الجرف خطأه هو.»

قال كيفن: «هل مات تيري؟» وبدا صادقًا في انزعاجه.

قال برادلي: «نعم، لقد مات. وكما قلت، كانت غلطته هو.»

بالكاد تحرك كيفن، ومن الواضح أنه كان غير قادر على استيعاب الأمر. وأخيرًا، نظر إلى ليو ويلي وقال: «لقد مات تيري، وأنتما كذبتما علينا.»

قاطع ليو، وهو يضحك في عدم تصديق: «كذبنا عليكما، لقد احتجزتانا تحت تهديد السلاح وقيدتانا بالأصفاد، ولم أشعر بأننا كنا نخون ثقتكما.»

نفد صبر برادلي وصاح قائلاً: «هذا كله تركيز على شيء عديم الأهمية. لتتجاوز موضوع تيري، فهي لم تكن هناك لتري كيف كان يفسد كل شيء، بل كنت أحاول أن أسحبه بعيدًا عن الحافة، وكانت تصرفاته مخيفة جدًا. فهل قمت بدفعه؟ ربما. لا أتذكر الآن ما حدث بوضوح. لقد قدمت إليكما معروفًا. الآن صار العدد أقل لتقسموا المال معهم.»

قال جاي وهو يتقد غضبًا: «لم نكن لنوجد هنا لولاه.»

صرخ برادلي: «ويحك! لقد تعرفتما عليه من خلال موقع ريديت، بينما عرفتته أنا طيلة سنوات. لم يكن تيري ذلك الشخص ذا الشخصية القوية كما تظنان، كما أنه لم يكن يقضي أغلب وقته في المغامرات، ثم إن ارتداهه سترة بها سبعون جيبًا لا يجعله شخصًا بارعًا، بل إنه مجرد رجل يحب التباهي. نعم، كان يعرف عن ديوك وايلدر أكثر من أي شخص آخر بيننا، ولكن على الورق فقط. فلم يستطع أن يبقي فمه مغلقًا قط ويكون لطيفًا لأربعة أيام فحسب! وقد كانت هناك الكثير من الفرص ليأخذ فيها الدفتر، لكنه كان فاشلاً في توشي الحذر. ولم يتمكن من إغلاق حقيبة ظهره اللعينة بشكل صحيح.»

شعرت ليلي بغضب شديد لدرجة أنها أرادت أن تحلق في الهواء، وتندفع سريعًا لتنقض عليه. أومأت برأسها نحو مسدس جاي، وقالت: «أتمنى أن يُجيد التصويب لأنني إذا تمكنت منك أولًا، فسوف أقتلك.»

همس ليو محذرًا: «ليلي، تمهلي».

ابتسم برادلي لها في بهجة، ابتسامة عريضة أظهرت صفًا من أسنانه التي تشبه اللؤلؤ، ثم دفع شعره الذهبي عن جبهته، وقال: «أنت مختلفة تمامًا عن أي امرأة رأيت ليو معها من قبل». تقدم إلى الأمام خطوات، وأضاف: «أعلم أنك لن تصدقيني، لكنني منزعج حقًا بشأن هذا التطور السيئ للأحداث، فلم يكن ينبغي أن تسير الأمور على هذا النحو، فهل أنت مقتنعة بكلامي؟» أشار إلى الخلف، كما لو أن القرار الذي أدى إلى كل تلك الأحداث يوجد في مكان ما خلفهم، ويمكنهم رؤيته: «كانت الخطة الأصلية هي أخذ الدفتر وتمديره إلى هذين الرجلين. لكن تيري ترك حقيبته مفتوحة، ورأت نيكول الدفتر، وانقلبت الأمور رأسًا على عقب. أنا هنا فقط من أجل النقود. وليس من أجل كل تلك الأحداث الدرامية».

قال ليو: «النقود؟ أنت لا تحتاج إلى هذا، فلديك _»

اعترف برادلي وقد بدا عليه الوهن في لحظة: «لدي راتب أستاذ مساعد، ودين هائل من المستحيل تسديده».

«يا صديقي. كم هو المبلغ _»

قاطع برادلي ليو: «كفى، لقد خططنا لهذا فترة طويلة، ويزعجني حقًا أن الأمر أصبح بهذا التعقيد».

استشاطت ليلي غضبًا، وقالت: «هل تقصد أنك صرت صاحب الحق في هذه الأموال لمجرد أنك قضيت الكثير من الوقت في التخطيط لسرقة دفتر يوميات والدي؟ هل تريد حقًا أن تقول ذلك الآن؟».

أجابها: «قصدي واضح يا عزيزي، إن هذا هو العرف الذي ينص على أن من يجد شيئًا يحتفظ به. ومن الواضح أن تلك كانت قواعد ديوك أيضًا. ولهذا السبب أنت لست على يقين بأنه كان يريد لك أن تحصلي على الكنز». حاولت ليلي الاندفاع إلى الأمام مرة أخرى،

ولكن ليو أوقفها مجددًا. ضحك برادلي قائلاً: «أنتِ سريعة الغضب جدًّا. وإنني معجب بك يا ليلي وايلدر. أعتقد أنك معجبة بي أيضًا».

ثم غمز إليها بعينه.

رفعت رأسها إلى أعلى لتلتقي عينيها بعينه، وقالت له: «تَبًّا لك يا براد».

شعر بمزيد من السعادة لرؤيتها غاضبة، وعلق قائلاً: «لقد فهمت كل شيء الآن يا ليو. فهمت لماذا كنت متعلقًا بها فترة طويلة».

وقف ليو إلى جانبها، ولم يكن مستمتعًا بالحوار، وسأله: «لماذا أحضرتني أنا ووالتر إلى هنا؟ كان بإمكانك أن تأتي مع تيري وتبحث عن الكنز بنفسك. ولم يكن عليك أن تورطنا في الأمر».

ابتسم ليو بفخر، وقال: «هل تعتقد حقًّا أن ليلي لم تكن لتلاحظ إذا اختفى دفتر اليوميات؟ تيري هو من قام بكل البحث في ماضي ديوك وايلدر، وهو من أقنعني بأن المال لا يزال هنا. لكنني أنا من فكر في تشتيت انتباهها باصطحاب حبيبها السابق».

في هذه اللحظة بدا على ليو الإحراج حقًّا أكثر من أن يكون غاضبًا، نظر إلى صديقه، وقال: «لقد قلت إنك لم تكن تعلم أن ليلي هي فتاة المزرعة».

هز برادلي كتفيه: «لقد كذبت. لم يكن من الصعب تجميع كل الخيوط معًا، يا صديقي».

قال جاي: «هذا الحديث ممل للغاية». ثم وجه مسدسه نحو ليلي، فاضطرب ليو بجانبها. بعدها أردف جاي: «هل يمكننا العودة إلى الموضوع الأساسي؟ الاتجاهات الأولى كانت خطأ. ألقي السكين وخذينا إلى المكان الصحيح».

وعندما لم تتحرك، صوب المسدس نحو ليو: «فكري بجديّة يا ليلي وايلدر».

حسبت ليلي المدة التي ستستغرقها للوصول إلى برادلي وتهديده بالسكين، وعلمت أنه لا فائدة من ذلك. فتحت قبضتها، وتركت السكين تسقط على الأرض.

قال برادلي: «جيد» وانحنى ليلتقطها وقال: «قولي لي الآن الاتجاهات الصحيحة».

قال ليو: «انس الأمر، لن تخبرك بشيء».

ابتسم برادلي، واقترب من ليلي ومد يده ليرفع خصلة من شعرها بعيدًا عن جبهتها، فمد ليو يده وأمسك بمعصم برادلي، لكنه أحس بفوهة المسدس تلتصق بجانبه.

قال برادلي بهدوء: «ليو، أخي. خذنا إلى هناك، أو أخبرنا بالمعلومات، ولا تجعل الأمر يسوء أكثر مما هو عليه».

سأل ليو: «لماذا تخاطر بوظيفتك، وصادقتنا، وكل شيء من أجل هذا؟ لماذا لم تتحدث معي؟ فأنا لا أفهم موقفك».

قال برادلي ببساطة: «لم تكن لتتفهم الأمر، فأنت شخص مسؤل، ولم تكن لتقبل بوضع نفسك في هذا الموقف قط، وأنا معجب بذلك، ولكنني تورطت في أشياء لن تفهمها أنت أبدًا، وتورطت لدرجة أن هذين الرجلين سوف يقتلانني فورًا إذا لم أحصل على الكثير من المال. أتريد الحفاظ على حياتي؟ إذن ساعد صديقك الحميم».

هز ليو رأسه ونظر بعيدًا. وقال برادلي بينما كان يلوح لـ كيفن كي يتقدم إلى الأمام: «أعتقد أنه يحتاج إلى التشجيع».

قالت ليلي: «لقد حل الظلام»، فتوقف كيفن. كانت الشمس قد بدأت تغرب؛ وبدأت الظلال تخيم على المكان أكثر فأكثر مع كل ثانية تمر، وفي الوادي، تحوّل لون السماء من اللون الخافت إلى الأسود القاتم في لحظة. وفي غضون ساعة، سيصبح من السهل السقوط من فوق منحدر، أو السير مباشرة فوق كتلة من التين الشوكي. ما يعني أن هناك أكثر من سبب

وجيه لعدم تجولهم ليلاً في الصحراء. استطرقت ليلي: «لن نكون قادرين على رؤية أي شيء».

قال برادلي: «من الجيد أننا مستعدون».

فتح كيفن حقيبته، وأخرج منها ثلاثة مصابيح يدوية قوية ماركة ماجليتس. وعندما رأى تعبيرات وجه ليلي قال لها: «ماذا؟ هل تعتقدين أننا سنحصل على قسط جيد من النوم ثم نبدأ في الصباح بنشاط؟ لا، سنذهب الآن».

ولوح جاي بمسدسه نحو ليو قائلاً: «دلنا على الطريق يا رجل».

الفصل التاسع والعشرون

بحلول الوقت الذي بدأوا فيه تتبع منحى الجرف الصخري من مكانهم عند جذل الشجرة حتى مدخل فتحة الأخاديد، كان آخر ضوء للشمس قد اختفى من السماء. لم تكن ليلي في حالة تجعلها تلاحظ روعة النجوم التي بدت كأنها حبات من اللؤلؤ تتناثر في صفحة السماء، بينما اختفى القمر الخجول خلف الغيوم، وكانت أضواء المصابيح اليدوية الثلاثة تتحرك ذهابًا وإيابًا عبر الدرب، بينما مشى برادلي وزميلاه الأحمقان خلفها مباشرة.

أحست أن صدى أفكارها المتسارعة يبدو أعلى صوتًا من وقع خطواتهم وهم يشقون طريقهم بين الشجيرات. فكرت ليلي في عدة طرق للهروب، واحدًا تلو آخر: ربما يمكنهما الركض، أو يمكنهما الاختفاء خلف أحد الحوائط الصخرية في الوادي حتى يفقدوا أثرهما في الظلام؛ لكن هل يمكنهما تضليل الثلاثة معًا؟ وإلى متى يمكن لذلك أن يدوم؟ بالإضافة إلى ذلك، لم يكن لديهما أي مصدر للإضاءة، ولا تملك مسدسًا. فماذا لو تعاونا معهم ولم يجد برادلي ما يبحث عنه في نهاية المطاف؟ إن العثور على المدخل الصحيح ليس هو كل شيء؛ فما زال عليهم التنقل في المنعطفات الصحيحة عبر ممرات ضيقة مليئة بالحجارة وأشياء أخرى مجهولة في هذا الظلام الحالك. إن هناك احتمالًا كبيرًا لأن يعودوا خاليي الوفاض. وعندئذ ماذا سيحدث؟

لم تتوصل إلى أي إجابة عندما توقف ليو أمام ما بدا أنه مدخل ضيق منحوت في حائط من الحجر الرملي.

قال ليو: «هل يمكنني فقط أن أكرر ما سبق أن قلت عن مدى غباء ما نقوم به من حماقة؟ من الممكن أن نموت جميعًا هنا».

انحنى برادلي، ونظر من خلف ليو نحو المدخل المظلم، وقال: «أنت لست مخطئًا؛ ولكن ألا تذكر ذلك اليوم عندما قامت ليلي بتذكيرنا بأنك حاصل على رتبة نسر الكشافة، ولديك

الكثير من الخبرة في التعامل مع الطبيعة، وما يطرأ بها من مواقف، وأنت أكثرنا تمييزاً في هذه المسألة؟ وأنها بحاجة إليك لحل الألغاز؟ كانت معلومات مفيدة حقاً». ثم قام بنكزه في كتفه، وأضاف: «بناء على ذلك، ستتقدمنا يا بطل».

ضغط ليو على أسنانه وهو يحدق إلى الأمام نحو الشق الصخري، وقال: «سوف أحتاج إلى مزيد من الضوء»، ثم نظر خلفه وأردف: «وإلى الخريطة».

وبعد لحظة من التفكير، فتح برادلي إحدى الحقائق، وناوله الخريطة المنتزعة من الدفتر، ومصباح رأس صغير. كان برادلي أكثر ذكاء مما بدا عليه؛ لذا لم يعطه مصباح يد؛ لأنه يعلم أن ليلي إذا ما أتيحت لها الفرصة، فلن تتردد وستضربه على رأسه بهذا المصباح القوي.

حذره برادلي بهدوء: «لا ترتكب أي حماقة يا صاح».

«حسناً». كان هذا كل ما قاله ليو قبل أن يشعل المصباح.

وما إن أضاء مصباحه، حتى شق شعاع من الضوء طريقه عبر الظلام، وعندما مد يده إلى الورا ليمسك بيدها، أمسكت يده بإحكام شديد. وأخذ بعد ذلك نفساً عميقاً، ثم بدأ يخطو أولى خطواته إلى الداخل.

F . . . e . . . n . . . w . . . e . . . 2

انطلقوا في طريقهم، وقطعوا مسافة تقدر بنحو 60 متراً، وقد تحركوا في صف واحد وسط الظلام الحالك، وفجأة اتسع الممر الضيق، وتماماً كما توقعت خريطة ديوك، تفرع هذا الممر إلى عشرة اتجاهات على الأقل. وكان المكان أشبه بردهة دائرية تتفرع منها مسارات عديدة. قادهم ليو إلى المسار الثاني من اليسار. قال: «اتجهوا نحو المسار رقم اثنين»، ثم انزلقوا إلى صدع ضيق، ولحسن الحظ وجدوه عند وصولهم يتسع لينقسم إلى الشقين الأولين اللذين أشار إليهما ليو بصوت عالٍ: «A... B...».

وهكذا استمر الأمر: صعدوا فوق الصخور، وعبروا بصعوبة فتحات الوديان التي كانت ضيقة بشكل يجعل من المستحيل عبورها، وهم يتتبعون كل مسار حتى وصلوا إلى المسار السادس F. نظر ليو إلى البوصلة الموجودة في ساعته ليحدد اتجاه المنعطف الأول: e وتعني أن عليهم الاتجاه نحو الشرق. وقد سلكوا هذا الاتجاه، ثم اتجهوا إلى الشمال، وبعده إلى الغرب، وقد بدأوا يتوغلون في تلك المتاهة المربكة بينما يحيط بهم الظلام، والموت يترصدهم.

وعلى الرغم من برودة الجو، كان جسد ليلي متعرقاً عندما توقف ليو مواجهًا حفرة ضيقة في الصخر، ووجه ضوء المصباح إلى الداخل.

قال برادلي: «هل هذا هو؟». وكان من المستحيل ألا يلاحظوا نبرة الابتهاج في صوته المنهك.

نظر ليو إلى أسفل نحو الخريطة مرة أخرى، وقال: «يجب أن يكون هذا هو المكان». جاء صوت كيفن من الخلف: «أتمنى أن يكون كذلك».

تقدّم برادلي إلى الأمام ليقف إلى جانب ليو، ثم تمتم قائلاً: «إنه ضيق جدًّا، علينا أن نزحف».

وما أثار دهشة ليلي أن برادلي لم يرسل ليو أولاً؛ بل ذهب بنفسه واختفى في الظلام، وسمعوا صدى صوته وهو يقول: «يا إلهي».

تبعه ليو، ثم كيفن، ثم صوب جاي المسدس نحو رأس ليلي، وهو يجبرها على الزحف أمامه.

كان النفق ضيقًا لدرجة جعلت ليلي مضطرة إلى الزحف على بطنها مسافة تقدر بنحو مترين، أخذ قلبها يخفق من الهلع، وشعرت بأنها ستختنق من فرط الذعر. وفجأة ضرب

الهواء البارد وجهها، وسقطت على أرض ناعمة. فاندفع ليو إلى مساعدتها على النهوض، بينما ظلت هي تنظر حولها في المكان الذي كانت مساحته نحو 7 أمتار.

إنها غرفة سرية وسط الصخور الصلبة، وقد تأكلت جدرانها نتيجة عوامل الطبيعة على مدار مئات السنين، وكانت الأرض تحت أقدامهم رملية متداعية. بينما يظهر فوقهم شريط رفيع من النجوم في السماء. إن جدران الغرفة ناعمة وجافة، وهناك رف ضيق منحوت في الجدار الحجري المقابل لنفق الدخول.

قال جاي ل ليو: «فك الشفرات. ثم اذهب إلى التحقق من ذلك».

اقترب ليو وهو يتعثر، وأضاء نور المصباح المثبت على رأسه الجزء الأمامي من الرف الصخري الذي كان معظمه خافيًا في الظلام. وكانت ليلي خائفة لدرجة جعلتها غير قادرة على التنفس؛ لأن دماغها كان يسترجع بشكل مؤلم كل مشاهد الفخاخ التي رأتها في كل ما شاهدته من أفلام. مد ليو يده على مضمض إلى الأمام ليتحسس المكان حوله.

قال: «يا إلهي».

تجمع الجميع بالقرب منه. وسأله برادلي: «ما هذا؟».

اقترب جاي ووقف خلف ظهر ليو مباشرة، وأخذ يحوم حوله قائلاً: «هل هو كبير يا صاح؟».

أجاب ليو: «أفسح المكان قليلاً». أيًا كان الشيء الذي عثر عليه ليو، فإنه كان محشورًا، واستغرق الأمر بعض الشد قبل أن يسحبوا ما تبين أنه صندوق خشبي.

سعلت ليلي من تأثير الغبار. إنه بحجم صندوق أحذية، وشكله يبدو عاديًا ومؤطرًا بالمعدن، مع قفل ضعيف لإغلاقه.

أمال برادلي رأسه إلى الخلف، وهو يصرخ منتصرًا: «يا إلهي، أجل!». كان صوته يصم الآذان تقريبًا وهو يتردد حولهم، بينما تساقطت حبات الحصى الصغيرة من الاهتزاز، ثم أردف قائلاً: «ديوك، أنت لم تخذلنا قط».

وضع ليو الصندوق على الأرض وتراجع، وسارعت ليلي إبالاقتراب منه.

تقدم جاي إلى الأمام ودفع الصندوق بطرف حذائه قائلاً: «إنه ليس كبيرًا جدًا».

قال برادلي وهو ينحني أمامه مستغرقًا في التفكير: «قد يكون هناك مفتاح في الداخل».

رفع جاي بصره، وهو يحدق إلى ضوء مصباح كيفن اليدوي، وقال: «افتحه يا براد».

كان برادلي يرتجف من الإثارة وهو يمرر كفيه على الخشب؛ لكنه توقف عن تأمل الصندوق، وقال وهو يضغط على أسنانه: «اسمي برادلي».

وخلف شعاع المصباح مباشرة، لمس ليو يد ليلي، وعلى الفور أمسك بها، وتراجعا إلى الخلف نحو بقعة مظلمة. استخدم برادلي الكشاف الخاص به لكسر القفل بسهولة، فانفتح الصندوق، ثم ما لبث أن حدق إليه.

قال كيفن وهو يقترب: «ماذا؟ هل هذه...؟».

صمتوا، وانحنى برادلي ببطء لالتقاط قصاصة من الورق: «اللجنة! ما هذا؟».

انتزعها جاي منه، وزمجر قائلاً: «إنها مجرد مجموعة من الأرقام؟ هل هي شفرة؟». مشى نحو ليلي وثبت القصاصة أمام وجهها: «ما هذا؟».

حدقت إلى سلسلة الأرقام الطويلة المتواليية، واعترفت وهي تهز رأسها قائلة: «لم يقم ديوك بصنع مثل تلك الشفرات أثناء وجودي معه. لا أعرفها».

انتزع كيفن الورقة من قبضة جاي، وسار نحو ليو، وأمسك به من ياقة قميصه. وسحبه إلى الخلف ليدفعه نحو الحائط الصخري. وعندما سمعت ليلي صوت أنين ليو، همت بالتوجه نحوه؛ لكن برادلي أمسك ذراعها بقوة ليمنعها.

قال كيفن وهو ينظر إلى ليو: «هل تعتقد أن هذه مزحة؟»، ثم رمى الورقة على صدره، وأضاف: «تَبًّا، ما معنى هذا؟».

نظر ليو نحوه وقال في غضب: «لقد فعلت ما طلبتموه مني. لقد أتيت بكم إلى هنا». ثم أشار إلى برادلي وأردف: «إنه عالم الآثار هنا، عليكم فهم ذلك يا رفاق».

ابتسم جاي ومر بيده على شعره، وقال: «كيفن، افعل ما يجب عليك فعله».

قام برادلي بتقييد ذراعي ليلي خلف ظهرها، بينما لكم كيفن - الذي يبلغ حجمه ضعف حجم ليو - بقبضته العملاقة ليو في معدته. وعندما انحنى ليو لحماية نفسه، لكمه كيفن في وجهه، كانت ضربة قوية بما يكفي ليسقط على ركبتيه. حاول ليو الرد؛ ولكن بدت لكلماته كأنها تمس جسد كيفن، وصرخت ليلي، وتردد صدى صوتها؛ ولكن لم يكن عاليًا بما يكفي ليطغى على صوت لكلمات كيفن على وجه ليو ومعدته، ثم ركلاته لضلوعه مرارًا وتكرارًا.

وأخيرًا، صرخ برادلي: «كفى».

حاولت ليلي التحرك إلى الأمام مرة أخرى؛ لكن برادلي هذه المرة أمسك شعرها، ودفع رأسها بعنف إلى الخلف، ورأت ليو ممددًا على الأرض، وسمعت أنينه وهو يتنفس بآلم.

توسلت قائلة: «ليو، قُل شيئًا».

بصق دمًا، ونظر إليها بعين واحدة منتفخة محاولاً أن يبتسم: «ربما كنتِ ستفضلين تناول لوح من البروتين كل يوم باعتباره وجبة أساسية على هذا، أليس كذلك؟».

قال برادلي: «لن ينجح الأمر هكذا. إنه بحاجة إلى وجود الدافع المناسب، وهذا هو كل ما في الأمر». وسحب ليلى إلى الأمام بحيث يتمكن ليو من رؤيتها، وتحدث إليه كما لو كان يتحدث إلى طفل صغير، وقال: «ليو، إنها مجرد أرقام. وأنت دائماً ما كنت ماهراً في الأرقام. إذن عليك فقط محاولة فهم ما تمثله أرقامنا تلك؟».

حدق إليه ليو بوجهه الملطخ بالدم، واختفت الابتسامة، بينما كانت عيناه تنظران إليه بغضب.

سحب برادلي ليلى من شعرها مرة أخرى، وأجبرها على الجلوس على ركبتيها وأخذ يلوح بالمسدس، ثم انحنى قليلاً وهمس بصوت عالٍ: «عذراً يا ليلى، آسف على كل ذلك»، ثم التفت إلى كيفن وقال: «اجعله ينهض».

جذب كيفن ليو ليقف على قدميه، وألقى الورقة إليه. رفع ليو قميصه ليمسح عينيه وجبهته، وعندما أنزل القميص كان قد تلطخ بالدماء. ارتجفت يداها بينما كان ينظر إلى الأرقام بتركيز لم يسبق لـ ليلى أن شاهده من قبل.

سأل برادلي في غضب: «ماذا ترى؟».

أجاب ليو: «إنها خمسة وعشرون رقماً دون مسافات فاصلة، إن هذه الشفرة قد تستغرق أسابيع لحلها».

هز برادلي رأسه، وقال: «من المؤسف حقاً أننا ليس لدينا كل ذلك الوقت، فلا تتردد في الجلوس واستخدام الدفتر لحلها. لن نغادر حتى تنتهي».

هكذا أصبح كل ما تستطيع ليلى فعله الآن هو الانتظار.

يمكن لأي شخص أن يفكر في أشياء كثيرة في بضع ساعات قليلة.

جلس برادلي إلى جانب ليلى، وأسند كل واحد منهما ظهره إلى الحائط، وكان برادلي يضع المسدس على فخذه بعدم اكتراث. وظلا يراقبان ليو وهو يعمل، مرت دقائق، ثم ساعات، ولم يدون أي شيء، ولم يستخدم الدفتر. لقد كان يحدق ويتمتم مع نفسه، ويعمل على تكوين بعض المتتاليات الحسابية والشفرات؛ ولكن سرعان ما كان يستبدها على الفور.

ظل كيفن وجاي يسيران ويتحدثان بأصوات خفيضة، وفي النهاية استسلما للنوم على الأرض. أما برادلي فقد جلس ملتزمًا الصمت مستغرقًا في مراقبة ليو، ثم النظر إلى ليلى وهي تراقب ليو الغارق في أفكاره الخاصة.

وفي الواقع، لم تكن ليلى تثق بأي شخص قط. وباستثناء نيكول، لم يكن هناك إنسان واحد حتى تثق به لكي يتولى مسؤولية الاعتناء بخيولها، ناهيك عن حياتها. وعلى الرغم من ذلك عندما سمعا صوت برادلي عند ذلك الجدل، لم تفكر قط في أن ليو قد يكون متورطًا في هذا الأمر معه. وبدلاً من ذلك، شعرت بالقلق على ليو، لم تكثر للخطر الواضح المحيط بهما؛ بل كانت خائفة من وقع تلك الصدمة عليه، وما يعنيه أن يكتشف فجأة أن الرجل الذي كان يعده أحد أفراد أسرته قد خانته بتلك الخسة.

حتى الآن، كان ليو يتصرف بالضبط كما توقعت؛ ظل هادئًا ورزينًا في مواجهة الخطر؛ ولكن لاحقًا - وقد كانت تأمل أن يظلا على قيد الحياة ليكون هناك لاحقًا - من المؤكد أن وقع تلك الخيانة سيكون صعبًا ومؤلمًا. شعرت بالاستياء إزاء خيانة برادلي وكرهت تصرفه أكثر من كرهها فكرة الاستيلاء على دفتر والدها واضطرابهما إلى مساعدة شخص آخر في العثور على هذا الكنز. في تلك اللحظة، شعرت بأنها هي وليو يواجهان بمفردهما العالم كله. وبالطبع ستفعل ليلى أي شيء للحفاظ على سلامته؛ ولكن في ذلك الوقت لم يكن بوسعها سوى الجلوس والوثوق به، فمهارتها لا يمكن أن تنقذهما الآن.

قال لها برادلي: «توقفي عن النقر على الحائط. أشعر بأن هناك مطرقة تضرب على رأسي».

كانت تفعل ذلك دون وعي منها، وقالت: «أسفة، لكنه فقط بحكم العادة».

«حسنًا، إنه أمر مزعج للغاية».

نظرت إليه بغضب، وودت أن تمزق وجهه بأظفارها، همست في أذنه قائلة: «أنت أفسدت صداقة دامت عقدًا من الزمن مع أفضل رجل عرفته في حياتك - فقط من أجل المال».

رد برادلي بكل ثقة: «لقد تضررت تلك الصداقة، لكنها لم تتحطم، ففي كل علاقة توجد لحظات عصبية».

ضحكت بحزن: «لحظات عصبية. أنت واهم».

قال باستعلاء: «انظري إليكما. لا تحاولي التظاهر بأن ما حدث لم يكن في صالحك، فلولا لي لما استطعت أنت وليو التواصل مرة أخرى مطلقًا؛ لذا ينبغي له في الحقيقة أن يكون ممتنًا لي».

«تَبًّا لك».

أدار برادلي رأسه، فرأى ليو منحنياً يحدق إلى الرموز، عندها قال لها: «عندما نخرج من هنا، سنناقش أنا وهو هذا الأمر».

أرادت أن تلكمه بقوة، وتمنت أن تحصل على المسدس لتضرب به عنق كل واحد منهم مرارًا وتكرارًا قبل أن تحبسهم جميعًا في ذلك المكان مع ذلك الصندوق السخيف، وهذا...

تمتم ليو وهو ينظر إليها: «تنفسي يا ليل، لا تدعيه يثر غضبك».

تأثرت ليلي بشدة عندما أدركت أنه على الرغم من إصابة ليو، واستغراقه في التركيز على المهمة الصعبة التي بين يديه، ما زال يحاول الاعتناء بها.

أومأت برأسها وردت بهدوء: «لن أسمح له. أنا بخير».

ضحك برادلي بهدوء: «أنت متيم بها يا ليو».

رد ليو: «وبالطبع أبدو غريبًا بالنسبة إليك، فأنت لا تعرف معنى الحب والإخلاص لشخص ما». ثم أزاح شعره عن جبينه وانحنى ليقترّب من الورقة مرة أخرى.

لم تكن ليلى تعلم كم من الوقت قد مر، لكنها شعرت بجفاف في حلقها وبالتعب والإرهاق. كان الجو شديد البرودة، بل إن الظهور البطيء لضوء الفجر من خلال الفجوة الموجودة في سقف الكهف لم يمنحها أملًا في الكثير من الدفء. وللأسف شعرت أيضًا بأن عليها أن تقضي حاجتها. رفعت بصرها فرأت عيني ليو تتسعان. ولاحظت أنه يرفع حاجبيه - عندها تجدد الأمل في قلبها - قبل أن يعدل جلسته ببطء مرة أخرى، لقد وجد شيئًا ما.

وبعد نحو خمس عشرة دقيقة، قال ببساطة: «أعتقد أنني عرفت الحل».

استيقظ جاي وكيفن. وتمكن ليو من الوقوف، وفي هذه اللحظة حاولت ليلى الاندفاع نحوه؛ لكن برادلي جذبها إلى الخلف عندما أدرك ما كانت تنوي فعله.

سأل برادلي: «حسنًا؟ ماذا هناك؟».

نظر ليو إلى ليلى قبل أن يلتفت إلى برادلي قائلاً: «لن يعجبك ما توصلت إليه».

حدق برادلي إليه بشدة وقال: «أخبرني به على أي حال».

«هذه الشفرة تقول: لقد هزمتك هنا».

هرع برادلي ليمسك بالورقة، وهرع ليو نحو ليلى.

قال برادلي وهو يلتقط الورقة التي وضعها ليو أعلى الصندوق: «ماذا تقصد؟ هل كتب في القصاصة لقد هزمتك هنا؟ هل تمزح معي؟».

متجاهلاً إياه، وضع ليو يديه حول وجه ليلي ومال برأسه للنظر إليها قائلاً: «هل أنت بخير؟».

أمسكت معصميه لتتحسس بأطراف أصابعها نبضه الذي كان قوياً ومتواصلاً، فاطمأنت قائلة: «بخير، وأنت؟».

«أنا بخير». بالطبع كان يكذب، فقد رأت الطريقة التي كان يضع بها يده لا شعورياً على أضلاع جانبه الأيمن طوال الليل. وحتى الآن، حرر أحد معصميه من قبضتها ليضع يده على جانبه من الألم. بالإضافة إلى الخدوش التي كانت تملأ كل مكان بوجهه، والجرح السيئ على جبينه فوق حاجبه، وحتى في ذلك الظلام، استطاعت رؤية الكدمات تحت عينيه.

سحب برادلي ليو بعيداً عنها، وثبت الورقة التي كانت في يده أمام وجهه، وقال: «اشرح كيف توصلت إلى ذلك».

ببطء، شرح ليو الشفرة، التي كانت تسمى «فوجير» - نسبة إلى الجاسوس الفرنسي الذي اخترعها - حيث أوضح أنها عبارة عن وسيلة لتجميع الأرقام لتكوين الحروف. وقد كتب الشفرة وشرح كيف حصل على الإجابة؛ لكن ليلي كانت على يقين بأن برادلي لم يفهم أي شيء. قال ليو إنه استعمل كل رمز أبجدي رقمي يعرفه، لكنه لم يستطع تكوين أي جملة ذات معنى؛ لكن تلك الشفرة نتجت عنها عبارة محددة، وبالتأكيد كان ديوك على علم بشفرة فوجير.

لم يترك ليو ليكمل كلماته بل قاطعه صوت شخص يقذف مصباحاً يدوياً على الحائط الحجري.

قال كيفن: «تبّاً، ماذا سنفعل الآن؟».

ظل برادلي يتحرك في الغرفة ذهاباً وإياباً، ثم قال: «ديوك يسخر منا. الأمر كله بمنزلة لعبة بالنسبة إليه». وفجأة توقف ونظر نحو ليلي مضيئاً عينيه، وأضاف: «المغامرة أهم من أي

شيء، قلت من قبل إن هذا كان شعاره، أليس كذلك؟ هذا الوغد يعتقد حقًا أن المرء سيسعده خوض المغامرة بينما يحتفظ هو بالمال لنفسه». مشط شعره بيده، ونظر إلى جاي وكيفن وقال: «لقد حصل ديوك على المال؛ لذا سنصطحب ليو وليلي ونعود إلى منزله ونقلبه رأسًا على عقب حتى نجد هذا الكنز».

الفصل الثلاثون

استغرق الأمر منهم جميعًا بضع ثوانٍ للتكيف مع ضوء الصباح بعد خروجهم من الممرات الضيقة داخل الوادي. كان ضوء الشمس منعشًا، والسماء صافية بلونها الأزرق الساحر. وفجأة استطاع ليو على الرغم من جسده المغطى بالدماء، وعينيه المتورمتين، رؤية الهيئات غير الواضحة لخمسة أشخاص يقفون على بعد نحو 9 أمتار.

اندفع أحد هؤلاء الأشخاص إلى الأمام، وذهل ليو مما جعله يجذب ليلي خلفه لحمايتها قبل أن يدرك أن الشخص الذي كان يركض بسرعة تجاههم هو نيكول. لكنها لم تكن متجهة نحو ليلي؛ بل تجاوزتهما مباشرة واتجهت نحو برادلي ولكمته بعنف في بطنه. بدت تلك الضربة قوية جدًا ومفاجئة؛ لذا شعر برادلي بالصدمة والألم في الوقت ذاته؛ ما جعله يئن أنينًا حادًا، وينحني إلى الأمام.

ذهب جاي وكيفن لإحضار أسلحتهما؛ غير أنهما فوجئا بأربعة مسدسات أخرى موجهة إليهما قبل أن يتمكنوا من الوصول إليها.

قالت ليلي: «حراس المتنزه؟»، بينما كان عقل ليو يحاول أن يتبين ماهية الذي الرسمى الذي كان يرتديه هؤلاء الأشخاص.

قالت نيكول وهي تتقد غيظًا: «أنت أيها اللعين»، وأمسكت بشعر برادلي وركلته بركبتها في وجهه، فتدفق الدم من أنفه، وخلال لحظات كانت مشاعر ليو القديمة تحته على التحرك لنجدة صديقه قبل أن يتذكر أن برادلي لم يعد فردًا من دائرة أصدقائه بعد الآن. وأخيرًا، اندفع شخص آخر، وركض إلى الأمام، وسحب نيكول بعيدًا، بينما كانت تكيل الشتائم والركلات في الهواء.

شاهد ليو حارسة تصوب مسدسها تجاه الرجل الذي اعتقد دائمًا أنه أحد أفضل أصدقائه.

قالت: «ارفع يديك فوق رأسك».

فعل برادلي ما طلبته منه؛ لكنه رجع بضع خطوات: «مهلاً، أنا هنا فقط مع هذين الاثنيين» - وأشار إلى ليو وليلي - «ونتبع التعليمات نفسها...».

كررت الحارسة بهدوء: «يداك فوق رأسك، واجثُ على ركبتيك. يمكنك أن تحكي لي كل قصصك تلك في مركز الشرطة». وبيدها الأخرى قامت بسحب أحد الأصفاد من حزامها وفتحتهما.

صاح برادلي، بينما كانت أسنانه ملطخة بدمه، وقال: «ما هذا؟ انتظري. ليو. أخبرهم. أنا مع...».

قال ليو بصوت هادئ وثابت: «إنه ليس معنا».

التلفظ بهذه العبارة جعل ليو يشعر بأنه قد غرز سكينًا في قلبه.

قالت الحارسة لـ برادلي وهي تُخرج المسدس من حزام خصره وتسلمه الحارس الرابع: «لديك الحق في التزام الصمت، أي شيء تقوله يمكنه أن يُستخدم ضدك في المحكمة. ولديك الحق في التحدث إلى محام...».

أدار ليو وجهه بعيدًا عن مشهد اعتقال أعز أصدقائه، وشاهد ليلي وهي تركض نحو نيكول وتعانقها وتبكي لشعورها أخيرًا بزوال الخطر، وفي تلك اللحظة تبدد كل التوتر. وفجأة شعر ليو بأنه يستطيع التنفس مرة أخرى، لم يعد مضطرًا إلى كتم أنفاسه للحفاظ على رباطة جأشه بما يكفي لإيصال ليلي إلى بر الأمان.

ومع ذلك، كانت تلك الراحة المؤقتة مقدمة لبداية شعوره بالألم؛ ألم كل لكمة، وكل ركلة وحشية، وكل لحظة شعر فيها بالخيانة وخيبة الأمل. وفجأة شعر بأنه لم يعد قادرًا على الوقوف على قدميه كأن ساقيه تحولتا من لحم وعظم إلى مادة مطاطية واهنة، فسقط

بقوة بينما كان رجال الشرطة يصطحبون برادلي وجاي وكيفن في اتجاه النهر؛ وعلى مسافة بعيدة، كانت ثمة مروحية تحوم في المكان مسببة تناثر رذاذ الماء حولها.

نادى برادلي: «ليو، يا صاح، أخبرهم بأننا لسنا سيئين».

تجاهله ليو، وسحب ركبتيه إلى صدره، وهو يضغط براحتي يده على عينيه قائلاً: «تَبًّا». وظل يتمتم مرارًا وتكرارًا، محاولًا التنفس بشكل أكثر عمقًا. وقد شعر بنبضات مؤلمة ومتكررة في رأسه، بينما كان يحاول فهم هذا الواقع الجديد الذي يواجهه وتقبله.

وارتفعت الأصوات حوله: ليلي تخبر الحراس بما حدث، ونيكول تشرح كيف أن الأمر لم يكن يبدو منطقيًا بالنسبة إليها؛ أن يغادر برادلي في النهاية وهو الشخص الذي كان أكثر تحمسًا لتلك الرحلة تقريبًا.

قالت بصوت مكتوم متأثرة بالطنين المنخفض المستمر الذي كانت تسمعه في أذنيها: «كنت أجلس في مقهى أرشي. وفكرت: لماذا كان يسألني دائمًا عن مقدار المال الذي أعتقد أنه سيكون بانتظارنا هناك وكيف سنقسمه؟ لقد كان كل اهتمامه منصبًا على المغامرة في البداية؛ لكن فجأة تحول كل تركيزه على: كيف سنقسم المال؟، وهل سيتعين علينا إعطاء الحكومة بعضه؟ ولماذا كان مهووسًا بالمال في لحظة، ثم في اللحظة التالية يقرر السفر إلى نيويورك؟ شعرت بأن هناك شيئًا مريبًا».

عندما غادر برادلي، اعتقدت نيكول أنه ربما فعل ذلك فقط للتهرب من الأسئلة عما حدث لـ تيري، ولكن فيما بعد اتصلت بها ليلي وأخبرتها بأن الشباب الضائعين احتجزوهما تحت تهديد السلاح. وعندها جمعت نيكول الخيوط كلها معًا.

قالت ليلي: «ولكن كيف عرفت مكاننا هنا؟».

ردت نيكول: «قمنا بتتبع مكالمتك من الهاتف الذي يعمل بالأقمار الاصطناعية. كما تتبعنا هؤلاء الأوغاد الذين تركوا وراءهم الكثير من الآثار».

تلاشت أصوات الحراس، واقتربت الخطى منه، فشعر بذراعين تلتفان حوله.

وقد حفزته ليلي بالالتكاء عليها قائلة: «هيا انهض».

اقتربت منه أكثر وقالت: «أنت في حالة من الفوضى يا عزيزي، انظر إلى نفسك».

قال لها: «ما زلت لا أصدق ذلك؛ - ما فعله برادلي».

«أعرف، لقد كرهته بسبب أفعاله. يا إلهي، أتمنى أن يبرحه أحد ضربًا». ثم تحركت مسرعة
وجثت على ركبتيها وهي تسأله بينما كانت تنظر إليه: «هل أنت بخير؟».

أوماً برأسه؛ لكن الحركة جعلته يجفل.

قالت لشخص كان يقف بجواره: «أنا قلقة من أن يكون قد أصيب بارتجاج في المخ».
بعدها نظرت إليه وقالت: «ليو، يا عزيزي، هل تعتقد أنك تستطيع المشي؟».

أجاب: «نعم»؛ ولكن عندما حاول، لم تطاوعه ساقيه، وشعر بآلام شديدة في كل جزء في
جسده.

تقدمت نيكول ووقفت إلى جانبه الآخر، وساعدته على الوقوف. أحس بالدوار وكأن
إعصارًا يندفع إلى رأسه، وتمايل جسده وهو لا يزال في مكانه، كان في حالة إعياء شديدة
حتى إنها جعلته يرى نقاطًا سوداء أينما نظر.

تمت ليلي: «برفق، خذ وقتك. إنهم يُجلسون الأوغاد في الطائرة، وسوف ينتظروننا».

أغمض عينيه، ومال برأسه على كتفها ليسترخ قليلاً ويحدد الاتجاهات حوله، لكنه شعر
بالدوار، وكاد يسقط، فأسرعت ليلي وأمسكت يده بقوة.

سمعتها وهي تُحدث نيكول قائلة: «كيف تمكنتِ من إحضار مروحية؟». لم يكن يعرف كيف استطاعت ليلى أن تحافظ على هدوئها في ذلك الوقت. ربما لأن دورها في التحلي برباطة الجأش قد حان الآن، ودوره هو لإظهار مدى ضعفه.

أجابت نيكول: «لقد استعنت بـ جو، أتذكرينه؟ إنه هو الذي يقود تلك الطائرة».

ضحكت ليلى وقالت: «يا إلهي، هل هذا هو جو؟ ذلك الفتى الذي ارتبطتِ به فترة. لقد تذكرته الآن...».

شهق ليو قائلاً: «مرحبًا، أنا ما زلت هنا».

صاحت ليلى: «ها قد سمعنا نبرة الضيق في صوتك، تلك علامة جيدة. دعنا نحاول المشي مرة أخرى، حسنًا؟».

وضعت ذراعها حول خصره، ثم بدأ ليو يمشي خطوة خطوة، ببطء، مستندًا إلى المرأتين اللتين بدتا أقوى من أي رجل آخر عرفه، وتمكن أخيرًا من الاقتراب من المروحية. وشعر في أعماق نفسه بسعادة غامرة، لأن ليلى بخير، ولأن نيكول كانت تربطها علاقة بقائد مروحية، ولأنها استطاعت إحضار الحراس إليهم في الوقت المناسب، ولأنه خرج من الكهف وبحوزته أهم شيء وجدته فيه. بشكل عام كان سعيدًا لأنهما ما زالا على قيد الحياة، لكن كان من الصعب الاحتفال: فقد شعر بنبض موجه حول صدغيه، وكانت أضلاعه تؤلمه بشدة. فضلًا عن أن مجرد التفكير في كل ما حدث... كان يعترض قلبه ألمًا.

وأخيرًا وصل إلى المروحية، وجلس على مقعد بالقرب من النافذة. وآخر شيء تذكر قوله لـ ليلى قبل أن يفقد وعيه، هو سؤالها عما إذا كان هناك أي شيء في جيبه.

الفصل الحادي والثلاثون

لم يشاركهم ليو ما حدث لاحقًا؛ لأنه مكث في الغيبوبة ست ساعات.

حسنًا، لم تكن غيبوبة بالمعنى الحرفي؛ فالأطباء أجمعوا على أنه ليس مصابًا بارتجاج في المخ؛ لكنه كان في حالة صدمة. وقد شعرت ليلي بسعادة غامرة لأنه لم يشهد حالة الاستياء والتوتر التي تلت عودتهم إلى المدينة؛ بينما كان يُنقل إلى مستشفى المقاطعة الذي كان على بعد نحو 50 كيلو مترًا غرب هيوستن. ذهب كل من نيكول، وليلي، ووالتر المغلوب على أمره للإدلاء بأقوالهم في مركز الشرطة. وبما أنهم كانوا قد أخبروا الشرطة من قبل بأنهم ذهبوا للبحث عن تيري، اضطروا إلى التمسك بتلك القصة. ولحسن الحظ، أراد برادلي أن يتجنب تهمة القتل العمد فقص ما حدث بالشكل ذاته.

ولحسن الحظ أيضًا أن تيري كان قد وقّع نيابة عن الجميع على وثيقة تحمّل مسؤولية الحوادث الناتجة عن الرحلة؛ لكن برادلي كان أقل حظًا لأنه لم يستطع الإفلات من كل التهم الجنائية المنسوبة إليه.

أنهى والتر محادثته الأخيرة مع صديقه السابق الذي يقف مكبل اليدين الآن، بعدها اتجه نحو ليلي ونيكول، واستخدم عكازيه اللذين كانا يساعده على الوقوف متزنًا، ليجلس ببطء على أحد الكراسي البلاستيكية القريبة منه. ثم أخبرهما بالتهمة الموجهة لـ برادلي وهي: تهمةتان بالاختطاف، وتهمةتان بالتآمر لارتكاب اعتداء مسلح، وتهمةتان بالتهديد بالعنف، وتهمة سطو مسلح. وقال والتر: «ينتظره على الأقل حكم بالسجن من ثلاث سنوات إلى خمس».

أضاف بصوت خفيض مخاطبًا نيكول: «شكرًا»، وأخذ حقيبة ظهره منها. بعدها استطرد قائلاً: «لقد رفضت دفع كفالته؛ لكنني أخبرته بأنه مسموح له بكتابة رسائل اعتذار من

السجن». شهق ثم قال: «أخبرته أيضًا بأنه يبدو فظيًّا وهو يرتدي ملابس السجن برتقالية اللون».

أطلقت نيكول ضحكة عالية وهي تحدد إليه باهتمام: «هذا صحيح يا عزيزي. دعه يتعفن في السجن».

صح والتر: «لا أريده أن يتعفن؛ لكنني أتمنى أن يقضي هذا الوقت في التفكير حقًا فيما فعله مع ليو. لا أظن أنني سأتمكن من مسامحته في يوم من الأيام، فهو لم يتحلَّ بأخلاقيات الخارجين على القانون الذين كانوا يحترمون أعرافهم».

تقدمت ليلى إلى الأمام نحوه، وربتت كتفه، وهي تحرص على ألا تقترب من قدمه المصابة، وقالت: «هون عليك، أنت أكثر منه وفاء».

عندما عاد جو وبصحبه الضابطة بوشوسوا بعد ساعات عدة ليخبروهم بأنهم قد عثروا على جثة تيري، لم تتمالك ليلى نفسها، وانفجرت في البكاء، ولم تكن تعرف لماذا تبكي. ربما أثرت تلك النهاية فيها بشدة، أو ربما شعرت أخيرًا بالارتياح لانتهاء هذه القصة، وربما بكت لأنها أدركت أنه بعد كل ما حدث، ستظل حياتها كما هي دون أي تغيير، فعلى الرغم من وفاة تيري، ومحاولتهم العثور على الكنز الفاشلة، والطريق الجامح الذي تحملت مشاقه هي وليو، وحقيقة أنها تعرضت لتهديد السلاح ثلاث مرات في غضون بضعة أيام، ستظل تزاوّل المهنة نفسها؛ إحضار السائحين إلى الأماكن نفسها، وتقديم الطعام لهم لتستطيع العيش ورعاية خيولها.

لم يحدث أي شيء فعلوه على مدار الأسبوع الماضي أي فارق في حياتها؛ بل في الواقع زاد الأمور سوءًا؛ لأنه منذ ذلك اليوم فصاعدًا، سواء كان ذلك في الأسبوع المقبل أو بعد مرور عشر سنوات، ستظل تتخيل ليو في كل مكان: ستتخيله وهو يمك رسن الحصان آيس برفق ويقوده ليسير بخطوات سريعة، وهو ينظر إليها بحب من حين إلى آخر أثناء تناوله القهوة، وهو يتحدث إليها ويخبرها بتفاصيل حياته وحبه العميق.

افتترضت ليلى أن انهيارها ساعد على إقناع الشرطة بأنها قد صُدمت بتلك الأخبار؛ لأن الشرطة بوشوسوا اصطحبتها في شاحتها، ورافقتها شخصيًا إلى المستشفى لتكون مع ليو.

هناك أخذت إلى غرفة الطوارئ الهادئة، حيث توجد خمسة أسرة؛ منها أربعة شاغرة. سطع الضوء القوي من خلال النوافذ الكبيرة، وبدا المكان كله كأنه جزء من مستشفى عتيق من الماضي، غارق وسط بقعة هادئة في الريف البديع. كان ليو لا يزال نائمًا عندما وصلت إلى هناك؛ ما يعني أنه لا يمكنها سوى الإمساك بيده... والنظر إليه.

وكما توقعت، وجدت آثارًا من خياطة بعض الجروح في خده ووجنته، بالإضافة إلى كدمة بارزة أسفل عينه اليمنى، وكان هناك جرح في شفته السفلى التي كانت بالإضافة إلى هذا متورمة. وقد نزع قميصه، فبدأت ضلوعه المصابة بكدمات كثيرة، لكنها لم تكن مضمدة، ولحسن الحظ، يبدو أنه لم يعانِ أي كسور في جسده. وكانت هناك أسلاك مثبتة على صدره متصلة بشاشة مراقبة. وافترضت أن ذلك مجرد إجراء وقائي؛ لأن معدل ضربات قلبه كان منتظمًا، وكان ضغط دمه 110/70 تقريبًا. وعلى الرغم من كم الضرب الذي تعرض له، بدا بصحة جيدة، وتعلو محياه سُمرة الشمس. لقد أحببت هذا الوجه. وأحبته هو شخصيًا. ولم تستطع أن تتخيل وجود شخص آخر بأي مكان في العالم يمكنها أن تحبه بهذا القدر.

نظرت إلى يديه، واستغرقت في تأملهما، فليديه يديان قويتان، أصابع طويلة، عضلات، أوتار بارزة. رفعت كف يده إلى أعلى، وربتت بأطراف أصابعها عليه. لاحظت أنه باستثناء بعض الجروح والخدوش المتفرقة، فإن الجزء الأكبر من بشرته كان ناعمًا وغير مشوه. كانت يده متصلبة قليلًا، وأظافره معتنى بها جيدًا. ولم تكن لديه أي حروق من الشمس ولا ندبات. إنها يد أحد سكان المدن، وتنتهي إلى رجل عاش في بناية شاهقة، واعتاد الركض في الحدائق العامة، ويتوقع أن يحصل على ترقية فور عودته إلى المنزل.

هكذا اتضح أكثر فأكثر أنهما ينتميان إلى عالمين مختلفين تمامًا.

انحنت وبدأت تفكر في كيفية توديعه. إنها شخصية عنيدة، وعنادها هذا ساعدها كثيرًا، مع أن هذا كان سيفًا ذا حدين: فهذا العناد يعني أنها لن تتزحزح عن قراراتها؛ ويعني أيضًا أنها شخصية مناضلة.

همست في أذنه بينما كان نائمًا «أسفة». كانت تعلم أنها عنيدة؛ لكنها لا تستطيع حقًا الانتقال إلى نيويورك، ولم تكن تريده أن ينتقل إلى هيوستن أيضًا، لم تكن تريده أن يتظاهر بالسعادة في مدينة لا يوجد فيها سوى متجر عام واحد ومقهى واحد. ربما اعتقد أنه يعلم جيدًا معنى العيش في مكان ناءٍ؛ لكن المرة الوحيدة في حياته التي عاش فيها في مكان مشابه، كانت عندما أقام في مزرعة جميلة، ووقع في حب المكان الذي احتوى مطبخًا مجهزًا جيدًا، وأثاثًا فاخرًا بمظهر «ريفي». لم تكن لدى ليو جرادي أي فكرة عما سيشعر به عند ما يُضطر إلى قيادة سيارة لمسافة 160 كيلو مترًا ليشتري غرضًا ما.

وعلى الرغم من كل هذه الأسباب التي تبرر قرار انسحابها بعيدًا، أدركت بموضوعية أنه من الخطأ ألا ترغب في المحاولة. تردد في ذهنها صوت ليو وهو يحاول إقناعها بأنه يمكنهما اكتشاف حل، وأن هناك طريقًا يمكنهما المضي فيه معًا. كما كانت تعرف أن نيكول سوف تصرخ فيها وتقول إذا كانت بائسة جدًا من دونه إلى هذا الحد، فلماذا لا تحاول التوصل إلى حل؛ لكن ليلي لن تعدل عن قرارها، وعندما فتح ليو عينيه ونظر إليها، بينما كان يبدو عليه النعاس، ابتسم بارتياح، وقد عرفت بالضبط السبب وراء تمسكها بهذا القرار: عندما تركها من قبل، كان الأمر الأصعب هو تلك الفكرة التي ظلت تشغل مساحة دائمة في ذهنها، وتخبرها بأنها لم تكن تستحق وجوده معها. فقد كانت بلا قيمة بالنسبة إلى والدتها، لذلك تركتها، ولم تكن كذلك تمثل أي أهمية بالنسبة إلى والدها لتجعله يبقى بجوارها فترة طويلة. ولىو هجرها ولم يعد إليها ثانية. لقد نجحت ليلي في تخطي كل ذلك من قبل؛ لكنها لا تعتقد أنها تستطيع تحمل عواقب محاولة إنجاح الأمر مع ليو مرة أخرى، لتجده في النهاية يدرك أنها لا تستحق أن يعيش معها وسط ذلك المكان النائي.

قال ليو وهو لا يزال يشعر بالنعاس: «آه، حسناً» ثم حاول الإمساك بخصلة من شعرها ودفعها خلف أذنها قائلاً: «تبدين جادة للغاية».

حاولت أن تضحك؛ لكن ضحكاتها كانت أشبه بالبكاء. ولم تكن تدرك أن عينيها قد امتلأتا بالدموع حتى انهالت تلك الدموع الحارة على وجهها. ما الذي أصابها حتى باتت تبكي كثيراً في الآونة الأخيرة؟ لقد كرهت ذلك.

عبس ليو ومد يده محاولاً مسح دموعها بإبهامه: «ليلي، هناك... دموع تتساقط من عينيك».

قالت وهي تضحك بينما تنهمر دموعها: «اسكت».

نظر إليها بحنو وعشق، فردت عليه في اندفاع حاد: «ماذا؟».

لكن ليو ضحك: «ليس بعد يا عزيزتي».

«ما هذا الذي لم يحن وقته؟».

«لا يمكنك الانفصال عني بعد الآن».

رجعت إلى الورا ثم ذكرته قائلة: «نحن لسنا معاً حتى ننفصل».

ابتسم لكلامها، وشع بريق من عينيه، وقال: «أنت واهمة».

«ليو، لقد تحدثنا في هذا الأمر بالفعل...».

قبض على يدها وقال: «أعرف ما تحدثنا عنه، لكنني لن أستسلم».

ملأت المشاعر قلبها، وعلى الفور سحبت يدها وقالت: «ليس من حقك أن تقرر نيابة عني».

سألها بلطف: «ولكن يمكنك أن تقرري نيابة عني؟».

في الواقع قال هذا بلطف شديد، لدرجة أنها ظلت تحديق إليه بصمت من هول الصدمة. قال وهو يحاول الجلوس: «على أي حال، أنا لا أقرر فيما يخصك أنتِ. لكنني قد قررت من فوري - وهذا قرار يخصني - ألا أتخلى عن فكرة وجودنا معًا». مال بخده على يده وحدق إليها ثانية ثم أضاف: «وسأظل متمسكًا بقراري هذا إلا إذا قلت لي اخرج من حياتي ولا تتصل بي أبدًا مرة أخرى». ثم نظر إليها بثبات: «هل تريدان أن أخرج من حياتك، وألا أتصل بك مرة أخرى؟».

عندما لم تتمكن من الإجابة بسبب تشوش تفكيرها، في تلك اللحظة، أو ما برأسه قائلاً: «جيد، لأن كل تلك الأصوات التي في رأسك، وتخبرك بأنني لن أكون سعيدًا معك على المدى الطويل، أو أنك لا تستحقين أن أتخلى عن حياتي من أجلك، هي مجرد خواطر ياليلي. وكون هذه الخواطر ملحة أو دائمة لا يعني أنها حقيقية».

قالت بصوت عالٍ: «لقد تركتني. أعرف السبب؛ ولكن هذا لا يعفيك من المسؤولية؛ لقد وعدتني من قبل بأننا سنكون معًا إلى الأبد، ولا يمكن أن أتحمل عدم الوفاء بوعده مرة أخرى».

مد يده ليمسح دموعها مرة أخرى: «لم يكن أي منا مدركًا تبعات هذا الوعد. لقد كنا مجرد شبابين مراهقين، أنت عرفتني عندما كنت في أسعد حالاتي. وكانت والدتي على قيد الحياة. وكان لدي كل ما أحتاج إليه. ولم أكن أعرف معنى الحزن». والتقت عيناها بعينيه الكئيبتين، فأردف قائلاً: «لكنني الآن أعرف هذا الشعور جيدًا. فأنا شخص بالغ فقد أمه، ولم يعد في العشرينيات من عمره، وخسر حب حياته. وحياتي في نيويورك بلا روح. أنت لا تعرفين ما يعنيه وجودي معك مجددًا بالنسبة إليّ، وليست لديك أي فكرة عن مدى شعوري بالحيوية بمجرد النظر إليك وأنا على سرير المستشفى، بينما تغطي الجروح وجهي وأعاني صداغًا شديدًا يؤلمني».

شهقت ليلي، وعجزت عن تجنب نظراته؛ بل شعرت بنفسها غارقة في طوفان من المشاعر المتدفقة التي لم تستطع قمعها. فهي في النهاية تعلم حقيقة شعوره.

أضاف: «إذن، هل أنتِ على استعداد لمنحي الفرصة للتفكير في سيناريو مناسب لنا، فلنحاول فقط؟».

كررت ببطء: «فلنحاول، هل تقصد أننا سنحاول أن نكون معًا؟».

أومأ مهممًا: «أطلب الإذن فقط لابتكار بعض الأفكار وسماع رأيك فيها». ثم غمز مازحًا: «يمكنك الانسحاب في أي وقت».

جعلها ذلك تبتسم: «حسنًا، تلك الشروط من الصعب جدًا رفضها».

«حسنًا، لديّ إيمان بأننا قادرون على القيام بذلك، فأنا أحبك. وليس عليك أن تقولي أنتِ لي ذلك؛ لكن أنا حقيقة أحبك».

حدقت إلى يديه ذات المظهر المثالي، ووجهه المصاب، وعينيه اللتين يبدو أنهما تستطيعان قراءة أفكارها بمنتهى السهولة. شعرت بأنه لا مفر من الاعتراف بمشاعرها: «وأنا أيضًا أحبك».

نظر إليها في حنان وتحدث بهدوء: «هذه أخبار عظيمة».

بعدها أشاحت بوجهها، ولم تكن تعلم كيف ستخبره بما لديها من أخبار، لكنها استجمعت شجاعته أخيرًا، وقالت: «لقد عثروا على جثة تيري».

تجمد ليو في مكانه: «أنا مسرور بذلك».

«لا أعتقد أن هناك مشكلة في الأمر. أعني بالنسبة إلينا». تحركت في كرسيها، ومدت يدها لتعقب بغطاء سرير المستشفى الذي يرقد عليه، ثم أردفت: «لكن برادلي...». التقت عيناها

بعينيه مرة أخرى، وقلبا يعتصر ألمًا: «إنه يواجه الكثير من المتاعب».

أشاح ليو بوجهه بعيدًا، وثبت نظره على شاشة مراقبة المريض بجواره، وقال: «يمكنني تخيل ذلك».

ربتت على كتفه، وقالت بهدوء: «سيستغرق الأمر بعض الوقت للتغلب على صدمتك فيه. لقد فشلت عملية البحث عن الكنز، ولكن ربما بإمكاننا أن نخرج من المدينة في نزهة بعض الوقت. فقط نحن الاثنان».

وعند تحدثها عن الكنز، بدا كأنه قد تذكر شيئًا ما فقال على الفور: «هل تستطيعين أن تناولييني سترتي؟».

نظرت إلى الطاولة بجانب سريره، حيث كان سترته وقميصه مطويين بشكل أنيق. ثم التقطت السترة وأعطته إياها، وشاهدته وهو ينزع دون تركيز أسلاك شاشة مراقبة المرضى عن جسده.

فتش ليو في أحد جيوبه، وعبس عندما خرجت يده فارغة، ثم فتش في الجيب الآخر. وسرعان ما أطلق صيحة ارتياح: «آه». وسلمها قصاصة ورق بنية اللون، بدت القصاصة مألوفة لها. قال ليو: «اقرئي هذا».

أخذتها، وتعرفت عليها بالفعل، ومن ثم سألته: «لماذا سنفعل ذلك مرة أخرى؟»، وقد بدت قلقة من أن يكون جرح رأسه أسوأ مما اعتقدت.

قال وهو يتذكر كلماتها التي قالتها له أمس عند حافة الصخرة، وهي تتأمل صورة والدها: «أخبريني فقط ماذا ترين». نفذت طلبه ونظرت إلى القصاصة.

7611179107651167211110969

قالت دون إبداء أي اهتمام: «مجرد أرقام».

«أقريئها». نظرت إليه بعدم تصديق؛ لكنه أشار إلى الورقة التي في يدها، وكرر: «أقريئها بصوت عالٍ، من فضلك».

فبدأت تقرأ الأرقام: «سبعة، ستة، واحد، واحد، واحد، سبعة، تسعة، واحد، صفر، سبعة، ستة، خمسة، واحد، واحد... يا إلهي يا ليو، كيف يمكنك فهم أي شيء من هذا؟».

قال بهدوء: «أكملي فقط».

نظرت إلى القصاصة مرة أخرى، وقالت: «ستة، سبعة، اثنان، واحد، واحد، واحد، واحد، صفر، تسعة، ستة، تسعة». أحصت ليلي تلك الأرقام وأضافت: «خمسة وعشرون رقمًا، ولا توجد فواصل بينها».

«لم يكن لدى ديوك أي فكرة عن أنني سأجد تلك الورقة، لكنك محظوظة لأنني وجدتها».

ترددت، ثم قالت: «لماذا؟».

«لأنها شفرة حاسوبية».

«انتظر لحظة. هل تعني أن ديوك استخدم شفرة حاسوبية؟».

عبس قائلاً: «يبدو أنه فعل ذلك إلى حد ما. إنها طريقة قديمة بعض الشيء، فنحن نستخدم الآن الترميز الموحد في الغالب؛ ولكن نظام الترميز القياسي الأمريكي لتبادل المعلومات (المعروف اختصارًا بـ أسكي) قد استُخدم على مدار سنوات مع نظام إدخال الأوامر الخاص بالحاسوب. ربما كان والدك عجوزًا، أو شخصًا تقليديًا؛ لكنه كان ماهرًا بما يكفي في استخدام كل أنواع الشفرات التي أمكنه العثور عليها. ربما كان يتوقع أن ينتهي استخدام ترميز «أسكي» سيبطل في يوم من الأيام - وأعتقد أنه عفا عليه الزمن بالفعل - ما سيجعل عملية حل الشفرة أكثر صعوبة. أنا لا أعرف في الواقع الوقت الذي أخفيت فيه تلك الورقة في الكهف».

قالت وهي تحاول أن التأكد من أنها فهمت الأمر بشكل صحيح: «إذن، هذه شفرة حاسوبية قديمة تقول لقد هزمتك هنا؟ إنها إحدى عبارات والدي المألوفة بالنسبة إليّ».

أوما ليو: «في نظام أسكي، هناك أرقام تقابل الحروف الإنجليزية الكبيرة، وأرقام تقابل الحروف الصغيرة، وأخرى تعبّر عن أرقام أو رموز. وحقيقة أنه لم تكن هناك مسافات بين سلسلة الأرقام، جعلت من الصعب عليّ في البداية فهم ما كنت أنظر إليه. أعني أنه من الممكن أن تشير هذه الأرقام لأي شيء، ربما تكون رمزًا اخترعه هو نفسه؛ لكن لأنني معتاد رؤية الأرقام وهي مجمعة من أجل كتابة شفرة، نظرت إليهم للمرة الأولى مفترضًا أنها ثنائيات». وأشار إلى الورقة، وأضاف: «حقيقة وجود رقم فردي أنبأني بأنه ربما قام بخلط الحروف الكبيرة والأحرف الصغيرة معًا لجعل الشفرة أكثر تعقيدًا، فالحروف الكبيرة تقابل رقمين، والأحرف الصغيرة هي في الغالب تقابل ثلاثة أرقام».

أحست بالارتباك وقالت: «لا أفهم أي شيء».

«لا بأس. إن الشيء الوحيد الذي عليك أن تفهميه هو أن معظم الناس لن يميزوا شفرة أسكي، فلذلك هي شفرة مثالية من نواحٍ عدة، ولم يكن برادلي ولا صديقه على علم بهذه الشفرة».

ابتسمت بلا اهتمام: «حسنًا، كان هذا عملاً جيدًا؛ أعني اكتشافك ذلك».

ضحك ليو. «هل أنتِ حقًا لا تفهمين ماذا يعني ذلك؟».

«لا».

أراح ليو خده بلطف على قبضتي يديه، وابتسم لها قائلاً: «هذا يعني أنني أستطيع أن أقول لهم أي شيء أريده».

الفصل الثاني والثلاثون

استنشقت ليلي بعض الهواء، ووضعت يدها على وجهها قبل أن تحرك كرسيها بشكل أقرب إلى السرير.

قالت في هدوء مصطنع: «ليو».

«نعم».

«هل تريد أن تخبرني بأنك كذبت عليهم هناك؟».

أوماً برأسه متجاهلاً الألم الذي شعر به في وجنتيه: «نعم».

خلا وجهها من أي تعبير ولم تصدق ما تسمعه: «هل تعني أنه لم يكن مكتوباً في القصة لقد هزمتك هنا؟».

«نعم، لم يكن هذا حل الشفرة».

«إنها ليست...».

أكد وهو يهز رأسه: «تقصدين شفرة فوجير؟ هذه ليست معلومة حقيقية».

سألته: «هل قمت باختلاق شفرة لتخدعهم؟».

«يمكنك قول ذلك».

«وماذا كنت ستفعل لو لم تأت نيكول برفقة رجال الشرطة؟».

هز كتفيه: «كانت تلك مشكلة مؤجلة بالنسبة إليّ».

تصلبت عضلات فكها، وشعرت بشد في الأوتار الموجودة فوق عظام ترقوتها وهي تقول:
«إذن، هل تعرف ما كانت ترمز إليه هذه الشفرة كذلك؟ ليو، توقف عن العبث».

«أشعر برغبة في منحك الفرصة لكي تتوصلي إلى حلها بنفسك، لت شعري بالرضا».

سخرت منه: «أؤكد لك أنني لا أرغب في هذا الرضا أبدًا».

قال مبتسمًا: «تمثلت الصعوبة الحقيقية في محاولة تذكر شفرة أسكي دون كتابتها. وبمجرد أن تذكرتها لم أكن أريدهم أن يروني وأنا أتوصل إلى الحل. اضطررت إلى أن أتخيل كل حرف في رأسي».

«مذهل».

«أكيد. لذلك، بينما كنت أتظاهر بحل الشفرة وأكتب حروفًا بالخطأ، أعجبت جدًا بذكاء والدك لاستخدامه مزيجًا من الحروف الكبيرة والصغيرة».

«لماذا؟».

«لأنهم إذا اكتشفوا مصادفة أن شفرة فوجير المزيفة التي أخبرتهم بها كانت عبارة عن رموز مزدوجة أو ثلاثية، فسيكون من الصعب عليهم جدًا تحديد الحروف بدقة، وتمييز الحروف الكبيرة والصغيرة، لكن...».

قالت وقد أخذت تتوتر: «ليو، أقسم أنك لو لم تقل...».

قال بهدوء: «ابحثي في المنزل».

فوجئت ثم قالت: «ماذا؟».

«هذا ما تقوله الشفرة». شاهد ردة فعلها، وكيف بدت مصدومة: «إنها تطلب منك أن تبحثي في المنزل».

«منزل مَنْ؟».

حدق إليها بثبات.

أردفت: «منزلي؟».

قال: «من يدري؛ ولكن إذا كان والدك حقًا هو الذي كتب ذلك وأخفاه، أليس من المنطقي أن يعني ذلك البحث في منزله؟».

قالت وهي تطلق زفرة: «منزله هو منزلي».

«بالضبط».

انحنت، وغطت رأسها بيديها قائلة: «هل تريد أن تقول إن برادلي كان محققًا فيما قاله ذلك اليوم... عن أن هذا المال كان أمام ناظري كل هذا الوقت...».

«الأمر يستحق أن نذهب للبحث، أليس كذلك؟».

انطلقت شاحنة ليلى القديمة مسرعة على الطريق، واستطاع ليو أن يشعر بمدى قلقها عندما اقتربا من منزلها. ومن جانبها حاولت ليلى التعامل مع توقعاته، فذكرته بأن المكان لا يبدو مثيرًا للإعجاب، وأنها لم تكن تذهب إلى هناك كثيرًا، بل إنها عندما كانت تذهب، لم يكن لديها الوقت أو المال الكافي لإصلاحه وترتيبه. وفي هذه اللحظة، بعد كل ما مروا به، بدا مزاجها متقلبًا، وهو أمر طبيعي: أحيانًا تتفاعل وفي أحيان أخرى تتشائم، وفي أوقات تكون متحمسة بشكل كبير، ثم تصبح قلقة للغاية في أوقات أخرى.

ليو أيضًا كان يشعر في أعماق نفسه ببعض التشوش والاضطراب؛ لكنه كان لديه من الخبرة ما يجعله قادرًا على إخفاء عواطفه جيدًا. وبالطبع سيحتاج كل منهما إلى العديد من جلسات العلاج النفسي في المستقبل؛ لكن في الوقت الحالي، كانت هذه القدرة على الكتمان تخدمه جيدًا. فهل كان خائفًا؟ بالطبع. وهل كان يتشكك في احتمالية وجود الكنز هناك؟ قطعًا. وهل كان يشعر بالقلق من مواجهة خيبة أمل مدمرة أخرى؟ نعم. لذلك ركز اهتمامه على ليلي بدلًا من كل هذه المخاوف، محاولًا طمأننتها، وموضحًا أنه لا يهتم بالحالة التي سيبدو عليها منزلها، وأنه لو لم يجد المال، فسيظل إلى جانبها ولن يتخلى عنها.

لكن عندما توقفا، حدقا عبر الزجاج الأمامي للسيارة في صمت خلال لحظات عدة.

قالت: «أترى؟». تأملت ردة فعله من كذب؛ ما أجبره على أن يحاول التحكم في تعبيرات وجهه.

ذلك لأن المنزل كان في الواقع في حالة سيئة تمامًا كما وصفته.

من مسافة بعيدة، بدا المنزل عبارة عن كوخ خشبي جميل يقبع وسط مجموعة من أشجار الحور القطنية، وتحيط به أعشاب صحراوية يصل طولها إلى الركبة. وبالقرب منه يوجد جدول ماء صغير. وبالنسبة إلى السياج الملتف حوله، والإسطبل الصغير القريب منه، فقد بدا عليهما القَدَم؛ ولكن يبدو أنه كان هناك شخص ما يتولى العناية بهما جيدًا.

عندما اقترب، رأى أمامه كوخًا متهالكًا وفي حالة مزرية... كانت جوانبه مائلة، وسقفه يحتاج إلى ترميم، أو ربما للاستبدال تمامًا. بينما انهارت إحدى درجات السلم المؤدي إلى الشرفة المتعفنة والمتهالكة. وبعض النوافذ كانت بلا زجاج. أما الباب الأمامي فقد بدا متضررًا للغاية بسبب المياه، ولا بد من دفعه بالكتف حتى يُفتح.

ولكن في الداخل، كان المكان نظيفًا، صغيرًا وأنيقًا بشكل مدهش. والأثاث عبارة عن أريكة بسيطة باللون الأزرق الداكن، وكرسيين، وطاولة قهوة قديمة غير أنها مصقولة بعناية. كما

زينت الأرضية الخشبية الصلبة أمام المدفأة سجادة مصنوعة يدويًا من شرائط القماش؛ ما أضفى على الغرفة أجواء منزلية مريحة. كانت غرفة الطعام صغيرة؛ وأوحى مظهر طاولة الطعام بمقاعد الأربعة بأنها مصنوعة يدويًا من خشب الصنوبر. كما بدا مطبخها مرتبًا ونظيفًا، والأجهزة كانت نظيفة جدًا على الرغم من أنها قديمة الطراز، ولم تكن الثلاثية تصدر صوتًا عاليًا.

«إنه مكان لطيف يا ليل».

أطلقت ضحكة هادئة: «أنا متأكدة من أنه لا شيء مقارنة بشقة العزوبية الخاصة بك في مانهاتن».

«إنه إستوديو لا شقة فاخرة، وهذا المكان أكبر منه مرتين على الأقل».

أجابت بصراحة: «إن مساحته نحو 66 مترًا مربعًا».

قال مازحًا: «إن هو أكبر مرتين ونصف المرة».

نظرت إلى أعلى، بينما كانت ابتسامة صغيرة تتكون عند زاويتي فمها.

سأل: «ما قصة الجدران؟»، متمنيًا ألا يبدو السؤال وقحًا.

بدا واضحًا للغاية إلى حد مثير للسخرية أن المنزل بُني على يد شخص لم يكن مختصًا في البناء، فالجدران مليئة برؤوس مسامير مستديرة ومسطحة وموزعة بشكل عشوائي حيث يبدو أنها دقت على مسافات متباعدة، وكأنما كانت تلك المسامير وحدها المسؤولة عن تثبيت الهيكل كله معًا.

قالت بينما كانت تبدو المرارة في صوتها: «لا أعرف، لقد توقفت منذ وقت طويل عن محاولة فهم والدي وأي شيء قام به. لقد بني هذا المكان من أجل أمي؛ لأنها اعترضت على

العيش في منزل قديم متنقل خلال أشهر الشتاء؛ ولكنه بذل مجهودًا بلا فائدة، وأضاع وقته؛ لأنها غادرت في النهاية على أي حال».

«هل اعتنيتِ به هنا؟ أقصد بعد إصابته بالسكتة الدماغية؟».

«نعم. المكان مساحته ليست كبيرة؛ وكنا نحن الاثنان فقط، وممرضة أتت عندما اضطرت إلى العمل. وقد قضى الكثير من الوقت جالسًا على كرسي إلى جانب النافذة وهو ينظر إلى الجبال».

كره مجرد تخيل أن ليلي قد اضطرت إلى الاعتناء بديوك بمفردها، وبالقدر نفسه كره أيضًا فكرة عيشها في هذا الكوخ المتهالك وحدها.

تركته ليلي يتفقد المكان حوله لتبدأ على الفور في العمل. وبإحدى غرفتي النوم الصغيرتين، كما خمن، سمع ليلي تُخرج الأشياء من خزانتها، وتفتح الأدراج وتغلقها، وتطرق الجدران لتتبين ما إذا كانت هناك تجاويف أو شيء آخر غير الخشب. أخذت أيضًا تنقر بقدمها على الأرضيات، وتفحص كل سطح، وكل جدار، كل لوح في أرضية الغرفة لترى ما إذا كان سيهتز. وعلى الفور بدأ مشاركتها عملية البحث، حيث أزال السجاد، وبحث عن مخابئ خلفية في خزائن مطبخها.

وسألها: «أين تعتقدين أنه سيخفي شيئًا ما؟».

توقفت مؤقتًا عن نقر كل حجر في المدفأة، ونظرت إليه بتوتر: «يا إلهي، هل تعتقد أنه يجب عليّ التفكير بهذه الطريقة؟».

تجاهل نبرة صوتها فقد كانت تلك هي طريقتها الدفاعية؛ إذ كانت تحاول ألا تتعلق بالأمل بلا فائدة.

قال ليو بصبر: «أعني، دعينا نطرح بعض الأفكار عن المكان الذي اعتقد أنه موقع لن يخطر على بال أحد على الإطلاق أن يبحث فيه، لقد كان عبقرياً بالفعل يا ليلي. وكان يعرف أن أي شخص يشتبه في أنه احتفظ بالمال هنا سوف يفتش خزانة الثياب. أو سيعتقد أنه أخفاه تحت الأرضية في مكان ما. وسوف يقلب في خزانات المطبخ. وبناء عليه لنفترض أن ديوك اعتقد أنك ستصلين إلى الكهف وتحصلين على الرسالة التي خبأها هناك، ومن ثم تأتين إلى منزلك هنا للبحث، فما المكان الذي اعتقد أنك لم تهتمي به قط، وأنت فقط من سيبحث فيه؟».

جلست على الأريكة وشبكت يديها، ووضعتهما بين ركبتيها، وقالت: «لا أعرف».

قال: «عليك التفكير في الأمر قليلاً. انظري حولك. تأملي المنزل، من المؤكد أن هناك مكاناً معيناً يمثل معنى خاصاً بالنسبة إليه».

«ليو، هناك أماكن محددة بالمنزل تصلح لإخفاء شيء ما».

قال: «بالضبط. وهذا ما يجعل الأمر سهلاً وصعباً في الوقت نفسه، لا بد أن ديوك فكر بطريقة مختلفة ومبتكرة عند إخفاء المال هنا».

رجعت إلى الوراء، ونظرت حولها لكن نظرتها اختلفت الآن. وكعادتها، كانت تنقر بأصابعها على فخذيها، ولأنه قد سمع إيقاع النقر هذا مرات عديدة وجد نفسه ينقر هو الآخر متجاوباً معها، وسار إيقاع النقر كالتالي: نقرة سريعة، ثم نقرة بطيئة، سريعة، سريعة، سريعة، سريعة، سريعة، سريعة، سريعة، سريعة... وفجأة أدرك ليو شيئاً ما.

«ليلي».

توقفت: «ماذا؟».

سأل وهو يشير إلى يدها: «ما هذا؟ ما هذا الإيقاع الذي تنقرينه دائماً؟ هل هو أغنية؟».

نظرت إلى يدها كأنها لم تكن تدرك أنها تفعل ذلك.

أجابت: «لا. إنها طريقة والذي في الطرق على الباب، لقد كانت هذه طريقتنا السرية. فمنذ أن كنت صغيرة، كان يغيب كثيراً، وكنت أبقى وحدي هنا. وتلك كانت الطريقة التي أعرف بها أن ديوك هو من يطرق الباب. بالطبع، كان بإمكانه استخدام مفتاحه مثل أي شخص عادي؛ لكنه كان دائماً يحب الدخول بتلك الطريقة».

حدق ليو إليها، وتسلسل إلى قلبه الكثير من المشاعر منها الغضب، والرغبة القوية في حمايتها، وأخيراً قال: «افعلها مرة أخرى».

ظل ينقر معها مرة، ثم أخرى، بعدها ركض نحو المكتب، وبحث عن ورقة وقلم ليكتب بينما كانت هي تكررهما: بطيئة، سريعة، سريعة، سريعة.

وبحدسه، فتح متصفح هاتفه ليبدأ البحث.

قال: «إنها شفرة مورس».

«ماذا تقول؟»، ثم اقتربت منه، وأخذت تحقق إلى الورقة التي بيده.

L I L I L I L I . . . Lili

قال: «إنها حروف اسمك، عادة نكتبه LILY لكنه استخدم حرف i بدلاً من y، إنها شفرة، وحلها مجرد تكرار لكلمة ليلي مراراً وتكراراً».

«هل تعتقد أن ذلك مهم؟».

«ربما، كما ذكرت إنه تكرار لاسمك ... هذه الشفرة لا ترمز إلى مكان أو اتجاه».

نظر إليها، ولكن انتباهها كان مشتتًا بشيء آخر. كانت تحديق إلى الحائط.

الجدار، تلك الجدران المغطاة بالمسامير.

لقد فهم الآن. لم تكن المسامير موزعة عشوائيًا، بل كانت على شكل أنماط في كل مكان. مسامير مفردة كأنها نقطة، وأخرى يتراص بعضها بجوار بعض على شكل خط. كانت النقاط والخطوط في كل مكان.

لقد كتب كلمات بالمسامير في كل شبر من الكوخ حرفيًا.

«هل كانت تلك المسامير دائمًا هنا؟».

هزت رأسها: «لقد فعل ذلك بعد عام من مغادرة أمي. وحينها اعتقدت أنه فقد عقله، أو أنه يعمل على شيء ما». لقد صرخت ليلي، ووضعت يدها على فمها، ثم قالت: «بعد إصابته بالسكتة الدماغية لم يكن يستطيع النطق بأي شيء سوى اسمي. هل تعتقد أنه كان...».

سأل ليو بصوت مليء بالحماس: «هل كان يحاول أن يقول لك شيئًا؟ كان يقول ليلي مرارًا وتكرارًا». فغر فاه، وحقق إليها: «بما أن طرفته السرية كانت اسمك، وهو لم ينطق بعد إصابته بأية كلمة سوى اسمك، فالإجابة هي نعم، أعتقد أنه كان يسعى لقول شيء ما».

ضغطت بيدها على جبهتها: «يا إلهي، اللغز».

«ماذا؟».

وقرأت المقطع من ذاكرتها: «أنت تكره الذهاب، لكنك ستذهب. ليو، ديوك كان يعلم أنني أكره الذهاب إلى مدينة إيلي. فعندما كنت طفلة، لم يكن فيها أحد يمكنني اللعب معه مطلقًا. وكان ديوك يأخذني معه، ليقضي ساعات في المقهى متحدثًا مع السكان المحليين الذين كانوا يحبونه جميعًا، بينما أجلس أنا عند مشغل الأغاني وأسقط ربع دولار يليه ربع دولار لكي أختار من بين مجموعة الأغاني مرارًا وتكرارًا». رفعت يدها وظلت أصابعها

ترتعش على جبهتها وهي تقول: «سوف تحتاج إلى الذهاب، ولكن ليس إلى المكان المخصص لك. كانت الصورة في دورة مياه الرجال، وأنا سأستخدم دورة مياه السيدات». تجمد وجهها من الصدمة وهي تحدق إلى ليو: «هذا اللغز وُضع من أجلي. ديوك تركه لي لأقوم بحله. وقد ختم اللغز باسمي».

وقفا في صمت وذهول مدة دقيقتين قبل أن ينطلقا متباعدين ومسرعين نحو الجدران المقابلة بحثًا عن كلمة ليلي المكتوبة برؤوس المسامير، وأخذًا يتحسنان كل جدار، ويطلقان صيحة عالية عند اكتشاف كل نمط.

لم يحتاجا إلى حفظ شفرة مورس، كانا فقط يحتاجان إلى العثور على الأنماط المصنوعة بالمسامير: نقطة، وخط، وأربع نقاط أخرى. سحبت كرسي الطعام ووضعت أمام جدار غرفة المعيشة، ثم وقفت فوقه حتى تتمكن من رؤية من السقف عن قرب، والتأمل بدقة. فعل ليو الشيء نفسه عند واجهة المنزل، من السقف إلى ألواح الأرضية، ثم تفقد المدفأة، والباب الأمامي، وجذوع الأشجار القصيرة المستخدمة في بناء الجدار تحت النافذة؛ حيث كان ديوك يحب أن ينظر إلى الجبال،

وهناك

تحت خطاف المعطف، تحت معطفها الشتوي ووشاحها، في المنتصف تقريبًا عند مستوى الخصر، كان هناك جذع شجرة بارز إلى حد ما أكثر من غيره، وبه انحناء بسيط، وقد حُفر عليه بالمسامير بالنمط ذاته.

نقطة، خط، نقطة، نقطة، نقطة، نقطة، خط، نقطة، نقطة، نقطة، نقطة.

هتف: «ليلي!».

ركضت، ولمست بأصابعها رؤوس المسامير المتراصة وهمست: «هذا هو».

تقدم إلى الأمام، وتحسس الجذع بشكل طولي. كان هذا الجذع عند نقطة الاتصال بين الباب الأمامي والجدار، وطوله أقل من متر. قالت وهي تنظر إليه في ذهول: «لقد قطع. لقد قطع الجزء الأمامي بعناية. فهل ترى نقطة الالتقاء بعد تثبيته مرة أخرى؟». ثم انحنت ليلى لتنظر جيداً: «لم أرَ هذا من قبل».

«لم يره أحد».

تملكته موجة من الحماس العارم، حتى بدا كأن صدره لم يكن قادرًا على احتوائها. وأخذت عروقه تنبض باسمها. مال إلى الأمام وسألها: «هل يمكن فصل الجزء الذي تم قطعه؟».

أطبقت أطراف أصابعها حول الجذع باحثة عن مكان مناسب لتُحكم قبضتها حوله. وعندما حركت يدها إلى الأمام والخلف، بدأ الجزء الأمامي في التحرك قليلاً، فأمسكت به ليلى بقوة أكبر، وسحبت الجزء العلوي حيث تلتقي نقطة الانحناء بالجذع الآخر المثبت فوقه، ومع حدوث قرقرة هادئة، انفصل الجزء الأمامي ليكشف عن تجويف في الداخل.

شهقت ليلى وهي تنظر إلى الظلام في الداخل قبل أن تمد يدها لتقول بعدها: «لا أرى - شيئاً...». سحبت ذراعها إلى الخارج، فإذا بأصابعها تمسك بظرف قديم متجدد مكتوب عليه من الخارج بخط اليد - وقد أدرك ليو أنه خط والدها - هذه الكلمات:

من أجل ليلى،

ستعرض نفسك للخطر إذا فتحتَه.

وكان في داخله مفتاح وعملة ذهبية.

الفصل الثالث والثلاثون

في تمام الساعة 8:43 في صباح اليوم التالي، وقفت ليلى أمام بنك إلك ريدج - الموقع الحالي لما كان في السابق بنك وادي سان ميغيل - وقد أخذت أنفاسها تتسارع.

وكانت هناك لوحة مكتوب عليها:

مبنى مار

1892

موقع بنك وادي سان ميغيل

أول عملية سطو على بنك لـ بوتش كاسيدي

24 يونيو 1889

قالت وهي شاردة الذهن: «لا بأس بما إذا لم نعثر على شيء. فنحن لا نعرف ما إذا كان الكنز قد وُجد أم لا».

لقد قالت هذه الجملة من قبل نحو خمس عشرة مرة أثناء قيادتها من هيستر، يوتا، إلى تيلورايد، كولورادو. وبدا أنها على استعداد لقولها أكثر من مائة مرة، ولم يكن ليو ليشكو منها ولو ثانية واحدة، فلم ينم أي منهما الليلة الماضية ثانية واحدة، فالأمل والترقب والتوقع كانت هي الريح التي عصفت بتركيزهما وراحتهما.

إن الأمل هو أخطر أنواع المخدرات، وكانت ليلى واقفة على شفا هوة بين عالمين: عالم يعدها بكل شيء أرادته في الحياة، وآخر يتعين عليها فيه أن تكتشف كيف يمكنها تحويل

الحياة التي تعيشها إلى الحياة التي تريدها.

حدقت إلى الزجاج الملون وقالت: «ماذا لو لم يكن مفتوحًا بعد؟».

قال: «البنك يعمل من الساعة الثامنة والنصف».

أقترب منها، ولف ذراعيه حول خصرها، وشعر بمعاناة جسدها مع كل نفس تأخذه، وانتبه لكيف كانت تطرد الهواء سريعًا بمجرد استنشاقه. لم يكن هناك مكان في داخلها لأي شيء سوى هذا التوتر.

قال: «حتى لو لم يكن هناك شيء في انتظارك في الداخل، فليس عليك قط أن تعودني إلى ما كانت عليه حياتك من قبل».

أومأت برأسها مسرعة شاردة الذهن.

«أنا هنا الآن. لست وحدك».

زفرت مرة أخرى، وتمكنت أخيرًا من أخذ نفس أكثر عمقًا قائلة: «أعرف».

«أحبك، ولن أتركك أبدًا».

نظرت إليه وقالت: «قلها مرة أخرى».

«لن أغادر. وإنني على استعداد لأقف هنا معك أسبوعًا إذا كان هذا هو ما تحتاجين إليه؛ ولكن إذا كنت مستعدة، فكل ما عليك فعله هو فتح الباب والدخول».

مدت يدها وأمسكت بالحاجز النحاسي لينفتح الباب الزجاجي الثقيل. فضربهما الهواء البارد بشدة على حين غرة. وكان كلاهما يحتاج إلى الاستحمام ووجبة دسمة. لم يدرك ليو

مدى الفوضى التي بدا عليها حتى وجد نفسه يقف في الردهة اللامعة بملابس ممزقة كانت هي نفسها التي ارتداها عندما خرج من المستشفى منذ تسع عشرة ساعة فقط.

وللأسف لم يكن هناك مدخل سري يمكنهما استخدامه لكيلا يشعرا بالحرى من مظهرهما. إنه يوم الاثنين، ومع انشغال الجميع بأجهزتهم المتصلة بالإنترنت، كان البنك هادئاً في الداخل؛ ما جعل من السهل ملاحظة اللحظة التي وقف فيها رجل أمام مكتبه خلف نافذة الصرافة، وأخذ يحدق إليهما بينما كان يعدل رابطة عنقه أسفل ياقة قميصه.

مشى على مهل وهو يبتسم لهما ابتسامة غامضة، بينما كان صوت خطواته يتردد صداه في جميع جوانب الردهة الواسعة.

أمسك ليو بيد ليلي التي بدأت تتعرق، وعلى الفور شبكت ليلي أصابعها حول يده، فضغط على يدها ليطمئننها، وقال بصوت خفيض: «لا بأس».

ردت: «حسناً، ما من مشكلة». ابتسم الرجل - طويل القامة، النحيل، الذي تراجع خط شعره الأمامي وكانت جبهته تلمع مثل البلاط الرخامي الذي عبره من فوره ليقترّب منهما - ابتسامة عريضة، وكشف عن مجموعة من الأسنان كبيرة الحجم. وقال وهو يركز نظره على ليلي فقط: «أستطيع أن أخمن، ولكن فقط للتأكد، أعتقد أنه من الأفضل أن تخبريني باسمك».

التفت ليو ليستوعب رد فعلها، متسائلاً عما إذا كان يمكنها أن ترى الإجابة عن كل مخاوفها وهي تتكشف في تلك اللحظة. قطبت جبينها في دهشة وحيرة، حركت فكها بطريقة دفاعية، ورأى ليو الطريقة التي قمعت بها الأمل بقبضة محكمة.

قالت: «ليلي وايلدر. وأنت؟».

«إد توتنهام». ومد يده ليصافح ليلي، ثم أضاف: «يا إلهي، ليلي وايلدر، لقد بدأت أفقد الأمل في قدومك إلى هنا».

الفصل الرابع والثلاثون

لارامي، وايومنجد شهرين

اجتمع الأصدقاء الأربعة معًا وسط أجواء احتفالية، ولم تنتبه نيكول إلى كوب المشروب الغازي، فتدفق السائل أسفل يدها.

قالت دون انزعاج: «يا إلهي». ثم مالت برأسها لتعلق بقايا المشروب الذي انسكب على معصمها وعلى طول الجزء الخلفي من إبهامها.

تتبع والتر حركاتها تلك بعينيه - قبل أن ينتبه إلى ليلي التي كانت تحديق إليه - وفي تلك اللحظة أحس بأن قلبه يذوب، ثم ارتشف مشروبه في جرعة واحدة.

قربت ليلي كوبها إلى شفيتها، وأغمضت عينيها، بينما كان المشروب الغازي الفوار يدغدغ أنفها، ويمر بمذاقه اللاذع عبر لسانها. لم تحب هذا المشروب على الإطلاق، ولكي تكون منصفة، نادرًا ما أتاحت لها الفرصة لتجربته من قبل؛ لكن ليو قاد السيارة إلى المدينة للتسوق وإحضار الطعام لعشاء تلك الليلة، وأحضر إلى المنزل ذلك المشروب، ووعدا بأنها ستجد مذاقه جيدًا؛ لذا كانت مصممة على تجربته لتفهم سبب إعجاب الكثيرين به.

وكالعادة، عبّرت نيكول عما يجول بخاطر ليلي بالفعل: «طعمه كأنه شراب سعال مخلوط بمشروب غازي». ألصقت نيكول لسانها بسقف حلقها عابسة، وقالت: «إنه رديء».

ابتسم ليو لهما، وكان في قمة سعادته؛ لذا لم يتذمر من كلامها، وقال: «سوف آخذ مشروبك»، وبدأ مد يده نحوه.

أخذت نيكول الكوب بعيدًا، وشربت المشروب عن آخره قائلة: «لم أقل قط إن لدي مشكلة مع شراب السعال».

وقف ليو ضاحكًا، ثم ذهب إلى المطبخ ليحضر زجاجة أخرى. لقد أنفق بسعادة خمسمائة دولار على صندوق من تلك المشروبات التي لم تُرَق ليلى ولا صديقتها المفضلة. في معظم الأيام كان هو وليلى يقضيان الوقت بمفردهما: هو يطبخ بينما كانت ليلى تُنهي أعمالها المسائية في الإسطبلات، وبعد الانتهاء من جميع المهام، كانا يتناولان معًا مشروباتهما جالسين أمام الطاولة الطويلة الفخمة في غرفة الطعام الفسيحة، بينما يقرأ كل منهما كتابًا، أو يشاهدان فيلمًا. وبغض النظر عن بيانات حساباتهما المصرفية الآن، كان ليو قد تبنى... بكل سعادة فكرة عيش الحياة البسيطة.

ولكن تلك الليلة كانت مميزة؛ بسبب التثام الشملي؛ لذا كان لا بد من وجود بعض المشروبات المنعشة. لقد استقل والتر الطائرة من نيويورك، وقدم ذلك الصباح. أما نيكول فقد قادت السيارة من... حسنًا، المنزل المجاور. وفي الأسبوع الماضي كانت قد أتمت عملية شراء خمسين فدانًا مزروعة بالمريمية على ضفة النهر، وهي قطعة أرض مجاورة لمزرعة وايلدر.

قالت ليلى وهي تعيد ملء كوبها: «دعونا نحتفل بأن نيكول قد أصبحت مالكة قطعة أرض».

يا له من احتفال.

وأضاف والتر: «ونحتفل بإعادة فتح ليو وليلى مزرعة وايلدر رانش».

أوضح ليو سريعًا: «الصيف المقبل». كانت نبرة صوته متوترة بعض الشيء بسبب إدراكه كل ما يتعين عليهم القيام به: شراء الخيول وتدريبها، وتجهيز النزل والكبائن للضيوف، وتعيين موظفين. وبالطبع القيام ببعض الرحلات والسفر خارج البلاد.

إن هذه الرحلات جزء من اتفاق ألزمهما به والدها المتوفى: ستقضين شهرين على الأقل كل عام في التعرف على العالم الخارجي.

هذا ما تمناه لها ديوك.

خفتت ابتسامة ليو، ورأى أن ذلك الحزن الذي كان حبيسًا داخل قلب ليلي منذ طفولتها بدأت شدته تقل. كانت تعبيرات وجهه تقول: أحبك، ولن أتركك أبدًا. ربما بحلول الصيف المقبل، ستبدأ إدراك أن كل ما يحدث حولها يقينًا هو حقيقة وليس خيالًا، وتبدأ تلك العقدة التي نمت داخلها تنحل لتصبح حبلاً متراخيًا، أو تتحول إلى شيء آخر أفضل؛ حبلاً ناعمًا من الحرير يزين حياتها كلها.

سألها والتر: «هل ستسمحين لنا برؤية تلك الرسالة؟». وعندما أومأت برأسها، وقف ليو، وذهب نحو المكتب وعاد ويده ورقة صفراء مطوية.

أخذ والتر الورقة منه، وسألها مرة أخرى: «كم مرة قرأتها؟».

أجابت: «ربما ألف مرة». وعضت على شفيتها دقيقة قبل أن تضيف: «سيستغرق الأمر بعض الوقت حتى أشعر بأن كل ما حدث حقيقي».

قال والتر: «توقعت ذلك». بعدها شاهده وهو يقرأ الرسالة، وشعرت بأنها تعرف محتوياتها بشكل جيد بما يكفي لتتبع الكلمات أثناء تحرك عينيه عبر الصفحة.

عزيزتي ليلي،

إذا كنت تقرئين تلك الرسالة، فهذا يعني أننا قد أنهينا الرحلة، وأنت على وشك فتح صندوق يحمل داخله مستقبلك. أتمنى أن تكوني قد استمتعتِ بهذه المغامرة. لقد استغرق الأمر مني بضع سنوات لرسم كل تفاصيلها، والآن وأنت تقرئين تلك الكلمات، أمل أن تتمكن من قول إننا قمنا معًا بأفضل مغامرة في حياتنا.

ولكن لعلمي أنك كنتِ قد بدأتِ تكريهين ألغازي، وتيقني من ذلك كما لو كنت أقف خلفك تمامًا بينما تقرئين الرسالة، فإنني أمل ألا تكريهيني لأنني جعلتك تمضين بعض الوقت في حل هذا اللغز. فهذا الرجل العجوز ما زال يحب أن يصنع حيله المألوفة، ولا أستطيع أن أخبرك بكم أنا فخور لأننا قمنا بهذه المغامرة معًا.

أعتقد أن هذه هي المرة الأولى التي أترك لك فيها ملاحظة لن تضطري إلى فك شفرتها. أليس كذلك؟ حتى أنا لا أحب إضاعة الكثير من الوقت في ترجمة شيء ما. علاوة على ذلك، ما دمت قد نجحت في الوصول إلى تلك الرسالة، فلك الحق في أن تحظي بقراءة سهلة (أضيفي إلى ذلك أنه حتى لو أتيحت لي الفرصة لقول كل هذا وجهًا لوجه، فأنت تعلمين أنني ما كنت لأقدر على ذلك).

هل تتذكرين عندما كنت صغيرة، كنت أدعوك بالجندب؟ فقد كنتِ تقفزين من مكان إلى آخر في الفناء الأمامي، وتقسمين أنه لا بد أن تهبطي واقفة على قدميك وإلا فسوف تنفجرين غضبًا. لقد أحببت حينها البحث عن الكنوز أيضًا، كنتِ صديقتي الصغيرة.

أعتقد أنك توقفت عن الإعجاب بكل تلك الأشياء عندما غادرت أمك. أو ربما كان ذلك سيحدث على أي حال مع تقدمك في السن؛ لكنني أتخيل أن مغادرتها كانت السبب الذي جعلك تكرهين كل ما أحبه أنا. لقد كنتِ دائمًا تحبين الخيول؛ ولكن في يوم من الأيام كنت تحبين المشي مسافات طويلة، والبحث عن الكنوز أيضًا. أردتك أن تعودي للقيام بذلك؛ ولكنني أفهم لماذا لم تفعلي؛ لأن هذه الكنوز هي الشيء الذي أبعد أمك عنا، وأبعدني عنك أيضًا. ومع ذلك، لم يكن باستطاعتي مقاومته قط، وأعلم أن هناك شيئًا ستحبينه بالقدر ذاته؛ لذلك أمل أن تتفهمني موقفي يومًا ما.

لقد وجدت معظم هذا المال بعد نحو شهر من مغادرة والدتك. لقد كنتِ أنتِ حينها في المزرعة مع عمك دان. مضيت في طريقي ولم تكن لديّ خطة. لقد تجولت في أماكن لم يسبق لي أن ذهبت إليها من قبل. حتى إنني ضللت طريقي مرة أو مرتين، ثم وجدت نفسي في ذلك الكهف الأخير، وهناك وجدت ذلك الكنز، وكل تلك النقود، وكل تلك العملات القديمة معبأة في نحو خمسة عشر صندوقًا خشبيًا مغبرًا. وصدقًا، كانت تلك هي المرة الأولى في حياتي التي خرجت فيها إلى الصحراء دون أن تمتلكني حمى البحث عن الكنز، وعندئذ وجدت الشيء الوحيد الذي كنت أبحث عنه طوال حياتي كلها.

استغرق الأمر مني بضعة أسابيع لإخراج كل شيء من هناك، وبعد ذلك لم أكن أعرف ماذا أفعل به. إن عقلي كان يحدثني قائلاً: «هذا هو الوقت الذي سنبدأ فيه أنا وويلي حياة جديدة من اختيارنا الخاص»؛ ولكنني حينها كنت على يقين بأننا سوف نختار أشياء مختلفة. كنت أرغب في مواصلة البحث في الأرض عن شيء يفاجئني؛ ولكنك كنتِ سترغبين في البقاء مع خيولك.

حينها، جعلني ذلك الخاطر أفكر: «هل كانت لديها حرية الاختيار من قبل؟ وهل كانت لتختار هذه الحياة إذا رأت العالم خارج تلك الحدود؟».

أمل أن يجعلك كل هذا تفهمين سبب بيعي المزرعة. إن هذا المكان لم يجعلني أشعر بأي شيء سوى أنني مُحاصر. أعلم أنك كنتِ تحبين المكان هناك؛ لكنني لم أرد أن أشعر بأنني مقيد بالبقاء في تلك الأرض بعد الآن، ولم أكن أريد منك ببساطة أن تستسلمي لمصيرك. كان هذا هو قراري، وأنا ما زلت أرى أنني كنت محقًا. أريد أن أخبرك بشيء مهم، وبما أننا نجحنا في اجتياز ذلك البحث الجنوني معًا، وبما أنك ما زلتِ تقرئين، فهناك فرصة لتفكري في كلماتي.

أنت في مستقبل عمرك، لا تربطي نفسك بمكان أو بشخص. لا تحاصري نفسك بعالم ضيق الأفق، حتى تخرجي للعالم الفسيح وتشاهده بعينيك بعدها اتخذِي قرارك.

أعلم أنك تحبين تلك المزرعة؛ ولكنها ستعني لك شيئًا مختلفًا عندما تخرجين إلى العالم الحقيقي، ثم بعد ذلك تختارين البقاء فيها. إن هذا ما أقدمه إليك. وبمنحك هذا المال، أريد منك أن تسافري. وهناك خيول في جميع أنحاء العالم يا ابنتي. اذهبي لركوبها. أريد منك أن تستكشفي، وتوسعي دائرة نشاطاتك، وأن تكوني شجاعة. وبعد قضاء عام كامل في القيام بكل ذلك، إذا وجدتِ أنك ما زلتِ تريدين المزرعة، فقومي بشراء أرضك الخاصة، واصنعي اسمًا لنفسك بهذه الطريقة.

أعلم أنك ربما تعودين إلى لرامي وتظلين هناك إلى الأبد، ولن تفهمي أبدًا لماذا لم أستطع فعل ذلك، ولماذا لم أستطع البقاء في مكان واحد. ربما بعد ما أن تقومي بعدة رحلات، قد تعشقين السفر أنتِ أيضًا، وترغبين في جعله جزءًا من حياتك كما فعلت. أو ربما ستكرهينه؛ ولكن على الأقل ستعرفين ما يستهويك، وعندئذ سيكون رفضك هذا الأمر نابغًا من حكمة حقيقية. على الأقل ستتاح أمامك جميع الخيارات، وهذا هو الشيء الوحيد الذي أريده لك.

الأهم من ذلك كله، أنني لا أريد أن ينتهي بك المطاف بعيش نصف حياة.

لذلك افتحي صندوق الودائع الآمن هذا.

واستمتعي بالحياة.

- ديوك

مسح والتر عينيه سرًا قبل أن يمرر الورقة إلى ليو مرة أخرى، وقال: «هل أخبرك بشيء. كان من الممكن أن يكون هذا البحث أسهل كثيرًا لو كان ديوك هناك».

مدت ليلي يدها لتمسك كوبها، بينما امتزجت ضحكتها برشف مشروبها: «لم يكن ليساعدك، هل تمزح؟ أتخيل كيف كان يمكن لشفرة أسكي أن تجعلني أصاب بالجنون في النهاية. كان حلها سيستغرق أسابيع، لاكتشف في النهاية أن هذه القصاصة تطلب مني البحث في المنزل؟ إنه أمر مريع. أحمد الله على وجود ليو».

ذكرها ليو قائلاً: «لكنك وحدك من كان باستطاعته حل اللغز، وأنتِ من كان على دراية بنمط النقر على الباب الذي كان يشير إلى اسمك يا ليلي».

مدت نيكول يدها إلى الزجاجاة، وانحنت بجانب والتر، فتشتت انتباهه لحظات، فتظاهرت بأنها غافلة عن الطريقة التي كان ينظر بها إليها، وملاأت كوبها إلى حافته، وبدأت تناول

مشروبها قائلة: «لا أستطيع التوقف عن التفكير في أنه خطط لقيامك بهذه المغامرة. أعتقد أنها كانت مغامرة رائعة».

قالت ليلي: «بالطبع ستعتقدين ذلك، بعد أن مر كل شيء على ما يرام».

بجانباها، أرجع ليو ظهره إلى الوراء وهو جالس على كرسيه، وقال: «يبدو الأمر غريبًا؛ ولكن أعتقد أن علينا أن نكون ممتنين ولو قليلاً لكل من برادلي وتيري. فلو لم يورطانا في الذهاب إلى هناك، لما عرفنا أي شيء مطلقاً».

ترددت حول الطاولة همهمات تؤكد أنهم يوافقونه الرأي.

لم تهتم وسائل الإعلام بالجريمة، أو ضخامة الكنز، أو تلك المجموعة غير المؤهلة للقيام بهذه المهمة التي تمكنت في النهاية من العثور على الكنز - بل انحصرت كل اهتمامها في مناقشة كيف أخفى والدها كل ما اكتشفه في مدينة تيلورايد حيث سرق بوتش كاسيدي أول بنك له. كل النقود، والعملات المعدنية، والمجوهرات، والوثائق. فكرت ليلي في قرارة نفسها قائلة يا له من وغد، وأطلقت ضحكة قوية، وسقطت على الأرض في منتصف البنك مباشرة بعد أن أمسك ذلك الرجل اللطيف بيدها، وبعد أن أدركت أن ديوك كان قد وجد المال بالفعل قبل سنوات من إصابته بالسكتة الدماغية، وبالتأكيد قبل أن يبيع المزرعة. وبعد ذلك جرى فتح صندوق الودائع الآمن، وسقطت الرسالة على الأرضية الرخامية عند قدميها.

خمسة عشر مليون دولار بعملة اليوم. لم يبد لها هذا رقمًا حقيقيًا. وبعد مفاوضات مع السلطات، ذهب جزء منه إلى المتنزهات الوطنية، والجمعيات التاريخية، وغيرها من الأراضي القبليّة الجنوبية الغربية. وجرى تقسيم ما تبقى بينهم. كان والتر لا يزال يبحث ويزن خياراته، وقد علم أن هناك 1,500 موقع لشركة بيكتو في جميع أنحاء القارة، في الولايات المتحدة، والمكسيك، وبورتوريكو. وقد ظنت ليلي أنه لم يحسم أمره بعد، ولم

يحدد المكان الذي سينتقل للعمل فيه؛ لأنه ينتظر ليري أين سينتهي المطاف ب نيكول. أما هي، ليلي، فبالطبع قد استخدمت أموالها لشراء المزرعة المجاورة.

وبالجزء المتبقي من المال اشترى ليو و ليلي مزرعة وايلدر من جوناثان كروس، ولأنها حظيت باهتمام وسائل الإعلام، كان الإقبال على زيارتها شديدًا لدرجة أنها حُجزت تمامًا لثلاث سنوات مقبلة. صارت ليلي الآن ناضجة بما يكفي لتعرف ما الذي تريده؛ ولكن ذلك لم يعنِ أنها لن تحترم رغبات والدها، حتى لو بدت مضللة؛ لذا قررا استخدام الأرباح في السفر. أولاً: رحلة مع كورا إلى اليابان ليلتقي ليو وشقيقته بأقاربهما الذين لم يسبق لهما التعرف عليهم.

قال والتر: «يا لها من قصة غريبة».

ربما كان يتحدث عن بوتش، أو ديوك، أو عن كل ما مروا به في شهر مايو؛ ولكن عندما نظرت ليلي إلى ليو رأت أن القصة الأكثر جنونًا هي أنها وقعت في الحب عندما كانت في التاسعة عشرة من عمرها، وعاشت عقدًا من الزمن وحيدة تتخبط لينتهي بها المطاف هنا مرة أخرى، ولتنقذها ذكرياتها التي اعتقدت دائمًا أنها مصدر تعاستها، ولتعيش بسعادة مع الرجل الذي كانت قد أقنعت نفسها بأنها قد فقدته إلى الأبد.

أنهوا مشروباتهم، ولعبوا الورق. وقضوا وقتًا ممتعًا تعالت فيه أصواتهم (صراخ نيكول)، وتبادلوا بعض اللكمات الخفيفة (مرة أخرى بتحريض من نيكول)، ضحكوا كثيرًا وتعهدوا بصداقة تمتد مدى الحياة. كما خططوا لرحلتهم الجماعية الأولى، وسخرت نيكول من والتر لادعائه أنه يرتدي قميصًا أبيضًا.

ولكن عندما كان عقرب الساعة الصغير يحوم حول الساعة الثانية، نظر ليو إلى ليلي تلك النظرة التي كانت تعني أنه يجب الانتهاء من تلك الحفلة الصغيرة. بعدها نهض وأخبر الجميع بأن عليهم الآن الخلود إلى النوم.

في أعماق نفسها أحبت ليلي التباهي بأن تلك المزرعة وهذا الرجل وهذا الحب العظيم الذي أضاع حياتها - والذي اعتقدت ذات مرة أنه ضاع منها وصار لغيرها - أصبح أخيرًا من نصيبها، وقد أخبرها ليو بأن سعادتها هي أفضل مظاهر جمالها. إحساسها بالأمان لن يأتي بسهولة، فقد ظلت تعمل على تحسين نفسها، وهذا يعني أيضًا أنها أمضت أيامًا عدة تتساءل عن الموعد الذي سوف ينهار فيه كل شيء، لتدرك حينها أن الحلم صار حقيقيًا؛ لكن تلك الليلة، تجاهلت كل مخاوفها، وودت فقط لو كان بإمكانها أن تكتب بالدخان رسالة في صفحة السماء تعبّر بها عن هذا الشعور، وأن تصرخ من الفرح ليرتد صدى صوتها في جنبات المتاهة المتعرجة.

قبل الذهاب إلى النوم سألتها: «هل أطعمت بوني الحبوب؟ لقد تركت الكيس على البرميل في الغرفة الملحقة بالإسطبل.»

أومأت برأسها: «أنت تتحدث كما لو أنك لا تعرف أنها لن تسمح لي بأن أنسى. هل أزلت بقايا الطعام؟»

ضحك: «أية بقايا طعام؟ لقد أكلت نيكول كل شيء.»

سألها ليو عما إذا كانت قد أغلقت البوابة الجانبية، فأجابته بـ نعم. وسألته هي عما إذا كان قد اتصل بشقيقته - التي ستأتي لزيارتها قبل بداية الفصل الدراسي الأول - فقال إنه قد فعل ذلك. ثم سألتها أيضًا عما إذا كان قد قام بضبط ماكينة القهوة لتبدأ تحضير القهوة في الخامسة صباحًا؟ فأجاب: «نعم يا ليلي.»

كان عليها الاهتمام بكل التفاصيل، فالخيول ستنتظرها في الصباح الباكر حتى إن كانت لم تخذل إلى النوم إلا في وقت متأخر.

وفي تلك الليلة من منتصف يوليو، بينما كان أعز صديقين لديهما ما زالوا في الردهة وخيولهما شبعى ونائمة في المرعى، لم يكن هناك أي شيء آخر يتعين عليهما القيام به.

وكل ما تبقى هو التفكير في أن تدوم تلك السعادة إلى الأبد.

الغلاف الخلفي



إشادات بكتابات مؤلفتي الروايات الأكثر مبيعًا وفقًا لصحيفة نيويورك تايمز كريستينا لورين

"هذا هو ما نحتاج إليه بالضبط؛ مهرب حقيقي بين صفحات كتاب مليء بالمغامرات والرومانسية المشتعلة والفرص الثانية. ثق بي، ستود أن تبقى مع ليبي وليو".
- جودي بيكولت، مؤلفة الكتب الأكثر مبيعًا وفقًا لصحيفة نيويورك تايمز- عن هذه الرواية

"هذه الرواية مغامرة مرحة لا تتوقف تخرجك من رتابة الأيام، وستجد بين صفحاتها معنى النشوة والسعادة".
- كاثرين سينتر، مؤلفة الكتب الأكثر مبيعًا وفقًا لصحيفة نيويورك تايمز- عن هذه الرواية

"رواية رائعة ودافئة ومبهجة. أضفها إلى قائمة الكتب التي تريد أن تقرأها في أسرع وقت، وسيشكرك مستقبلك على ذلك".
- صحيفة واشنطن بوست عن رواية *The Soulmate Equation*

"رواية رائعة ومضحكة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، يتغللها القدر المرغوب من المشاعر. إنها الرواية الرومانسية الكوميدية المثالية للشعور بالسعادة".

- هيلين هوانج، مؤلفة الكتب الأكثر مبيعًا وفقًا لصحيفة نيويورك تايمز- عن رواية *The Unhoneymooners*

"لا يمكن أن يحدث أي شيء على نحو خاطئ في رواية لكريستينا لورين".
- إنترتينمنت ويكلي

"رواية مضحكة بقدر دفتها، ومثيرة بقدر رقتها. هذه القصة رائعة للغاية، ولها سحر لا يقاوم منذ البداية وحتى النهاية. لقد أحببت هذه الرواية جدًا، إنها روايتي المفضلة لكريستينا لورين حتى الآن".

- إيميلي هنري، مؤلفة الكتب الأكثر مبيعًا وفقًا لصحيفة نيويورك تايمز- عن رواية *In a Holiday*

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a bookstore



1. [الغلاف](#)
2. [الغلاف الأمامي](#)
3. [حقوق الطبع والنشر](#)
4. [الأغلفة الداخلية](#)
5. [من أعمال كريستينا لورين](#)
6. [إهداء](#)
7. [ملاحظة المؤلفتين](#)
8. [تمهيد](#)
9. [الفصل الأول](#)
10. [الفصل الثاني](#)
11. [الفصل الثالث](#)
12. [الفصل الرابع](#)
13. [الفصل الخامس](#)
14. [الفصل السادس](#)
15. [الفصل السابع](#)
16. [الفصل الثامن](#)
17. [الفصل التاسع](#)
18. [الفصل العاشر](#)
19. [الفصل الحادي عشر](#)
20. [الفصل الثاني عشر](#)
21. [الفصل الثالث عشر](#)
22. [الفصل الرابع عشر](#)
23. [الفصل الخامس عشر](#)
24. [الفصل السادس عشر](#)

25. [الفصل السابع عشر](#)
26. [الفصل الثامن عشر](#)
27. [الفصل التاسع عشر](#)
28. [الفصل العشرون](#)
29. [الفصل الحادي والعشرون](#)
30. [الفصل الثاني والعشرون](#)
31. [الفصل الثالث والعشرون](#)
32. [الفصل الرابع والعشرون](#)
33. [الفصل الخامس والعشرون](#)
34. [الفصل السادس والعشرون](#)
35. [الفصل السابع والعشرون](#)
36. [الفصل الثامن والعشرون](#)
37. [الفصل التاسع والعشرون](#)
38. [الفصل الثلاثون](#)
39. [الفصل الحادي والثلاثون](#)
40. [الفصل الثاني والثلاثون](#)
41. [الفصل الثالث والثلاثون](#)
42. [الفصل الرابع والثلاثون](#)
43. [الغلاف الخلفي](#)